

الإرهاب

التهديد والرد عليه

تأليف: إريك موريس
و الألف هو
ترجمة: د. أحمد حمدي محمود



الإرهاب

التهديد والرد عليه

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

و. سمير سرهان

رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمنى المطيعي

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

محمود عبده

الإشراف الفني

محمد قطب

الإخراج الفني

مراد نسيم

الإرهاب

التهديد والرد عليه

قالبف: إريك موريس
و الان هو
ترجمة: د. أحمد جدى محمود



الجمعية المصرية لامتانة الكتب

١٩٩١

إهداء

إلى الصديقين الكريمين

السفير عثمان نوري واللواء رفعت حسنين

وقد مثلا افضل تمثيل ما ينبغي أن يتحل به

المسؤولون عن الأمن القومي في عهدين مختلفين .

اقرار بالفضل

الدكتور جون يوتر عالم نفسى ومتخصص فى سيكولوجية الارهاب ،
ونحن نشعر بالامتنان لما قدمه من عون للكتاب ، أفادنا بوجه خاص فى
الفصلين الرابع والخامس اللذين يثبتان خبرته فى هذا الشأن .

ولقد شاركت ليزكين يالكثير فى الأبحاث والاستطلاعات الأولية ،
وقامت باميلاموريس بتدوين مخطوطة الكتاب على الآلة الكاتبة . ويستحق
التقدير سيمون ويندر من دار ماكميلان للنشر لما قام به من جهد عند
إخراجه هذا الكتاب . ولا يفوتنا أن نشكر - بوجه خاص - كايت يوفى
ومن اشتركوا معها فى تنقيح المخطوطة .

وأخيرا لابد من شكر زوجيتنا وأفراد أسرتنا لما تحملوا من عناء
وما قدموا من عون .

أريك موريس

الآن هو

مقدمة المترجم

لعل الارهاب من بين أبشع آفات عصرنا رغم حضارته الباهرة . وبلاستطاعة تشبيهه بأفة فظيعة أخرى كهروض الايدز . ولربما صح القول بأنه قد أصبح معروفا في بلدان العالم كافة ، المتقدم منها والمتخلف ، وفي الدول الكبيرة والصغيرة على السواء ، وبالرغم من صعوبة تحديد من نقل الارهاب عن من ، الا أن الأرجح هو القول بأن البلدان النامية قد نقلته وتعلمته من البلدان المتقدمة ، فلا غرابة إذا ذكر لنا مؤلفا كتاب الارهاب الذي ترجمناه - بصورة عابرة - أن الفلسطينيين قد تعلموا أساليب الارهاب من أعدائهم ، وإن كانا قد مرا مرور الكرام على دور اسرائيل الخطير في تعريف العالم باستراتيجية الارهاب وتكتيكاته وتناسيا رغم ما ذكرنا من أمثلة وفيرة أحداثا هامة كصرع برنادوت واللورد موين ، ونسف فندق الملك داود في القدس . الخ . ولم يعد أحد يذكر أن من نفذوا هذه الأحداث الدامية قد كوفئوا بعد ذلك بتولي المراكز القيادية في بلادهم .

واليوم تتناسى معظم أجهزة الاعلام هذه الوقائع التاريخية الهامة ، مفضلة نشر أخبار ما يسمونه الارهاب الفلسطيني في عناوينها الرئيسية . على أن كل هذه الانتقادات وغيرها لا تحول دون وجوب تعليلنا من الدول المتقدمة أيضا كيف نحارب الارهاب ، ونعرف أحدث الوسائل التي اهتمت اليها « لتصعيب » أهدافه وحماية الشخصيات المرموقة من الاغتيال أو الاختطاف . ولقد بذل المؤلفان جهدا ملحوظا في تجميع هذه المعلومات المفيدة عن الارهاب . وكم أمل أن يفيد هذا الكتاب جهات كثيرة في طليعتها المسئولون عن الأمن ، ومن تقتضى واجباتهم الاكثار من

السفر على الطائرات والدبلوماسيون ، وأن لا يعير القاريه الحضيف أية
عبارة ظالمة أو مفرضة تنتقص من دور المنظمة الوطنية التي تشيد
بدورها الدول التي تقدر كل من يحارب في سبيل الحرية وكرامة
وطنه . انها هيئة التحرير الفلسطينية التي درج مشاهير الارهابيين
أصحاب القدم الراسخة في الارهاب على تسميتها بالمنظمة الارهابية .

والله ولي التوفيق

١٠ ح ٠ م

لم يسبق تعرض المسئولين والمسافرين من بلد لأخر لخطر الارهابيين على نحو ما حدث هذه الأيام ، وربما حاجى المشتغلون بالاحصاء وقالوا ان هذا الخطر قد لازمنا طيلة العقود الثلاثة الأخيرة . وقد يكون ذلك كذلك ، غير أن التوعية والاجراءات السياسية والقانونية المترتبة على الدروس المستفادة كان لها أثر واهن - فيما يبدو - فى الاقبال من تهديد الجماعات الارهابية . فلا ننسى أننا أثناء كتابتنا لهذه المقدمة رأينا المخبرين الاعلاميين فى العالم القريب وهم يتسابقون بلا جدوى الحصول على معلومات عن مصير ركاب الطائرة البوينج ٧٤٧ ، التى اختطفها ارهابيون من العرب عند أحد ممرات مطار كراتشي .

وكما امتدت شبكة التجارة بين الدول ، وأصبحت تغطي مساحة كبيرة ، كذلك أرغم المسئولون من رجال الأعمال على السفر وانتحال لانجاز مهام المؤسسات ، انها أسفار قد تسوقهم الى أماكن غير مألوفة ، قد يخضعون فيها لقوانين غريبة وأساليب مختلفة فى الحياة . وفى الوقت نفسه ، يستمر التحسن فى وسائل السفر وتسهلاته ، على نحو اجتذب المسافرين العابر ، وشجعه على القيام بالمزيد من الرحلات الحافلة بالثغمرات والمخاطر . وبينما حدث تحسن فى تسهيلات السفر واجراءاته فى رئاسات المؤسسات ، فانه من المؤسف الاعتراف بوجود أوجه خلل ونقاط ضعف فى محطات الوصول والموانى والمطارات ، بمقدور الارهابيين استغلالها .

وأما أن الارهابيين سيواصلون استغلال نقاط الضعف هذه ، فأمر مؤكد ، وهل هناك ما هو أهم فى نظر الارهابيين من الناحية

الدعائية ، وهل هناك ما هو جدير بالنشر في شتى الأنحاء أكثر من أخبار اختطاف الطائرات والسفن والقطارات التي تحمل ركابا من مختلف الاجناس ، والتي تضم عادة نساء وأطفالا ؟

وليسبت عملية الاختطاف هي الخطر الأوجده ، فبوسعنا أن نساوى بين ما يجري في حالات السفر وبين الأحداث التي يتزايد فيها استعمال المتفجرات مما يزيد من المساحات التي تخصص لنشر مثل هذه الأخبار ، ومما يزيد من مقدار اثارها . وبالإضافة الى ذلك ، فقد شاهدت السنوات الأخيرة تحولا مطردا - وإن كان مازال بسيطا - في دوافع الاختطاف . فلقد تحول الدافع الاجرامي الصرف عند المنظمات الارهابية الى وسيلة آمنة نسبيا لزيادة القدية والمبالغ المطلوب ابتزازها . فمن هم أهداف الارهاب ؟ يقينا ، انهم لا يقتصرون على العائلات صاحبة الثراء . فلقد تزايد ادراك قيمة الصكوك التأمينية التي تخصصها الشركات الكبرى لمواجهة المستقبل ، وما يبيته ، وبذلك انحصر الخطر الذي يتعرض له المسئولون الى مستوى الخطر الشخصي .

وإذا تذاكرنا بعض أحداث وقعت منذ أكثر من عقد من الزمان (وقد حددنا هذه الفترة الزمنية عن عمد) وإذا ضمنا في كلامنا جميع أشكال السفر ، وراعيننا ما ترتب أو لم يترتب عليها من إجراءات ، سنرى أن المسئولين الدائمي التنقل بين مختلف الدول سيحسنون صنعنا لو تساءلوا : « هل تحسنت الأحوال عن ذي قبل ، وما الذي يجب أن أعرفه ؟ ، وما الذي بمقدوري أن أفعله ؟ » .

٢٢ يناير ١٩٦٦

في ٢٢ يناير ١٩٦٦ ، استولت جماعة مؤلفة من ٧٠ رجلا على الباخرة سانتاماريا أثناء عبورها البحر الكاريبي . وكان يقود الجماعة الكابتن هنريك جالفاسو ، وهو من المنفيين السياسيين ، ومن زعماء خصوم حكومة الدكتور سالازار (الرئيس السابق للبرتغال) وكانت الباخرة في رحلة سياحية ، وتحمل على ظهرها ستمائة من الركاب المتعددي الجنسيات ، ومن بينهم نساء وأطفال .

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، استولت على المركب جماعة من الركاب مسلحة بالرشاشات والقنابل اليدوية بعد أن هاجمت العبارة وقتلت الضابط الثالث ، الذي قاوم الهجوم ، وجرح ثلاثة آخرين من طاقم الباخرة .

وإذاً جالفاو رسالة بالراديو الى جميع صحف العالم ، ذكر فيها كيف استولوا على الباخرة سانتاماريا باسم جماعة جنتو Juntó المستقلة لتحرير الجمهورية البرتغالية التي يتزعمها هومباركو ديلجاردو (الرئيس الشرعى المنتخب) والذي جردته من حقوقه ادارة سالازار من باب الخيانة والغدر .

واستطرد جالفاو مطالباً العون من جميع الحكومات الحرة ، كما طالب بالاعتراف السياسى بهذا الجزء المنحدر من أرض الوطن .

وجرى بحث اشتركت فيه بعض الدول ، وقام أحد طرادات بحرية جلالة الملكة بتنسيق عمليات البحث والتدخل ، وأسفر ذلك عن اكتشاف إحدى الطائرات الأمريكية للباخرة سانت ماريا ، واضطر جالفاو لتغيير مسار سفينته ، وفى ٣١ يناير ، اشترك جالفاو فى المباحثات هو والادميرال البحرى الأمريكى ، وفى أول فبراير جرت بينه وبين أحد الأدميرالات البرازيليين مباحثات أخرى ، وترتب على ذلك دخول سانتا ماريا لميناء « رسيفى » . وفى ٢ فبراير سمح لمعظم الركاب بالنزول من الباخرة ، وفى ٣ فبراير ، قبل جالفاو عرض الحكومة البرازيلية بلجوفه هو وأتباعه الى البرازيل .

وكانت هذه أول عملية حديثة للاختطاف فى البحر . واستمرت ١١ يوما . وقتل أحد أفراد الطاقم ، وجرح ثلاثة غيرهم . ولم تتحقق المطالب التي تقدم بها جالفاو ، بالرغم مما حدث من ترخيص اشترك فيه ٣٠٠.٠٠٠ شخص عند عودة سانتاماريا الى لشبونة . وهذا يشهد بما لدى الناس من انحراف فى حب الاستطلاع ، ويمدى التأثير الدعائى لنشر أنباء هذه الواقعة . ثم حوكم جالفاو ، وثلاثة آخرون (بما فى ذلك الجنرال ديلجاردو) غيابيا فى لشبونة ، ثم صدر الحكم عليهم بالسجن لمدة متفاوتة (من قبيل عدم اراقة ماء الوجه) . ولم ينفذ أى حكم من هذه الأحكام .

وترتب على هذه المحاكمة اصدار الحكومة البرتغالية قانونا يعاقب القرصنة بالنسجن من ١٦ الى ٢٠ سنة ، وعرفت القرصنة بأنها الاستيلاء بالقوة على مركب أو طائرة .

ويعد هذا الاجراء الذى قام به البرتغاليون من المحاولات الاولى التى أقدمت عليها الحكومات الحديثة لتبشيد القوانين كوسيلة لمحاربة الارهاب .

وفي ١٠ نوفمبر ١٩٦٦ ، ظهر اسم جالفوا مرة أخرى بين رؤوس عناوين الصحف ، عندما استولى أعوانه على طائرة برتغالية ، وهي تحلق في الفضاء في طريقها من كازبلانكا (الدار البيضاء) الى نسيبونه ، وأرغموا الطيار على التحليق فوق لشبونة ، بينما قاموا بإسقاط منشورات تحت الأمان على مساعدة جالفوا في حربه ضد سالازار ، وانتهى الأمر بأن هبطت الطائرة في طنجة التي طرد منها جالفوا ورفاقه ، وسمح لهم مرة أخرى باللجوء الى البرازيل حيث أرغموا على العيش تحت رقابة الشرطة ، ويحق للكابتن جالفوا أن يطالب بالاعتراف بالسبق في أمرين : أولا ، قيامه باختطاف باخرة في عرض البحر وثانيا - اختطافه طائرة بقصد إسقاط منشورات - أضف الى ذلك ، أنه مازال يتمتع بالحرية نسبيًا !

١٢ أكتوبر ١٩٦٧

في ١٢ أكتوبر ١٩٦٧ ، هوجمت طائرة كوميت BEA دمرت من أثر انفجار قنبلة أثناء رحلتها من أثينا الى نيقوسيا بقرص • وذاع على نطاق واسع الخبر بأن الجنرال جريفاس (وهو ارهابي يتبع أيوكا ، وكان يتزعم الثورة اليونانية ضد الحكم البريطاني) كان ينوي السفر على هذه الطائرة ، ولكنه ألغى رحلته قبل اقلاع الطائرة • وبدلا من ذلك ، سافر في طائرة أخرى فيما بعد • وأثبتت فحوصات المختصين لحطام الطائرة بعد انتشالها من البحر أن القنبلة وضمت تحت مقعد في كابن الطيار ، وقتل جميع ركاب الطائرة •

فهل كان لجريفاس علم سابق بذلك ؟ ، ولو صح ذلك ، فلماذا لم تستخدم هذه المعلومة لاتخاذ أرواح الضحايا ؟ • وما هي القواعد التي تتبع في قياس طريقة انتقال المعلومات بين الرسميين والشركات التجارية ؟ •

١٣ أكتوبر ١٩٧٧

وفي ١٣ أكتوبر ١٩٧٧ ، اختطفت طائرة تابعة لشركة نوفتهانزا كانت في طريقها من جزر مايوركا الى فرانكفورت من قبل جماعة تسمى نفسها « جماعة الكفاح ضد الامبريالية العالمية » • وكان من المعروف أنها تعمل بالتعاون ومنظمة الجيش الأحمر ، وكان على متن الطائرة ٨٧ من الركاب الالمان وخمسة من طاقم الطائرة ، وطالب الارهابيون بأن تقوم حكومة ألمانيا الغربية باطلاق سراح ١١ من مسجناء (يادار هوفن) ، وأن

تقوم الحكومة التركية - في نفس الوقت - بالافراج عن عضوين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وبعد عملية الافراج ، يسلم مبلغ وقدره ثمانية ملايين جنيه استرليني .

واستمرت الطائرة تحلق زهاء ١٢٢ ساعة فوق الشرق الاوسط ، وأعادت ملء خزان الوقود في روما وقبرص وبيروت والكويت ودمشق ، بينما رفضت مختلف الدول العربية السماح بهبوطها في أراضيها ، وانتهى الأمر بأن هبطت الطائرة في دبي لاعادة ملء الخزان . وتمت المفاوضات عن طريق وزير الدفاع في الامارات العربية ، وقبل انتهاء الموعد الرسمي المحدد (ظهر ١٦ أكتوبر) هبطت الطائرة في عدن ضد رغبة حكومة اليمن الجنوبية . وفي عدن كان الهبط مقللاً فاضطر الطيار الى الهبوط على الرمال الناعمة خارج المهبط . وأطلقت النار على القبطان شومان عندما أصر على الخروج للتفتيش على قاع الطائرة . ثم بارحت الطائرة عدن يقودها مساعد الطيار ، ووصلت يوم ١٨ أكتوبر الى مقديشو بالصومال حيث استقرت . وفي منتصف الليل ، هاجمت الوحدة الخاصة للحدود في ألمانيا الغربية (GSG) الطائرة بنجاح ، واشترك اثنان من العاملين بخدمة الطيران الانجليزى في تقديم المشورة للجماعة الألمانية .

وانجز عملية اختطاف الطائرة رجلان وامرأتان . وقتل اثنان من الارهابيين ، وجرح الرابع وقبض عليه ، وتم التعرف على قائد العملية وهو زهير يوسف أكاشى ، الذى كان مسئولاً في ابريل ١٩٧٧ عن قتل رئيس وزراء اليمن سابق وزوجته ودبلوماسى آخر كان مرافقاً له فى لندن .

وعلى الرغم من عدم معرفة الطريقة التى اتبعت فى هذه العملية على وجه الدقة ، الا أنه يعتقد أن الاسلحة المستخدمة فى العملية قد هربت رغم وجود نظام أمنى فى المطار ، ومازال الحال بعد عشر سنوات على ما هو عليه .

٢٣ مايو ١٩٧٧

وفى ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، حدثت أول عمليتين اوهابيتين متزامنتين فى شمال هولاندة .

فقد تم الاستيلاء على قطار داخلى كان فى طريقه من تسفولله الى جروننجن . وهرب السائق ودق جرس الخطر وقبض على ٥٢ كرهائن . وعلى بعد ٣٠ كيلومتراً من القطار المختطف ، بدأت محاصرة اجدى

المدارس في بوفينسميلده ، وقبض على ١٢٥ طفلا وخمسة مدرسين كرهائن .

ونفذ العمليتين ارحابيون من احدى جزر الهند الشرقية ، وطالبوا بالافراج عن بعض سجناء من مواطنيهم ، كانوا قد سجنوا اثر قيامهم بعمليات ارحابية أخرى قبل ذلك ، وطالبوا أيضا بطيارة بوينج ٧٤٧ تنقلهم هم والرهائن من شيبول الى بنين ، حيث كانوا يأملون اللجوء اليها .

وتركزت العمليات على بعد كيلو متر من القطار في مخزن للفحم تحت الأرض اتخذ كمركز قيادة صغيرة بالقرب من المدرسة في بوفينسميلده . وحوصر موقعا الحادثين ، وأجريت توصيلات تليفونية بين القطار والمدرسة بناء على طلب الارهابيين . وفي اليوم الثالث ، وضعت عصابات على عيون بعض الرهائن ، وأرغموا على الوقوف خارج القطار حتى يراهم الجميع ، والرجال ملتفة حول أعناقهم . وفي المدرسة ، تدخلت الأقدار ، وأرغم انتشار العدوى بأحد الأمراض الارهابيين على إطلاق سراح الأطفال . واحتفظوا بالمدرسين الخمسة كرهائن ، وخلال أربعة عشر يوما ، جرت مفاوضات بلا طائل . وفي هذه الاثناء ، أفرج عن ثلاثة رهائن من المحتجزين في القطار : امرأتان حاملتان ، ورجل تعرض لنسوبة قلبية ، وفي الساعة الخامسة صباحا ، اتخذ قرار استعمال القوة ، وأمرت وحدة مكافحة الارهاب وقوات البحرية الملكية والقوات الجوية الخاصة B.B.E. بهجوم القطار والمدرسة في نفس الوقت . وأفرج عن الرهائن سالمين .

واتبعت الحكومة الهولندية تكتيكا جديدا للغاية في هذه العملية عندما أنشأت مركزا لمواجهة الأزمات في مدينة هيچ ، واشترك أحد علماء النفس الحكوميين في الفريق المسئول وفي القرارات التي كان يصدرها .

٩ مارس ١٩٧٧

وفي ٩ مارس ١٩٧٧ ، استولى المتشددون الاسلاميون على ثلاثة أبنية منفصلة في واشنطن . واستبقوا ١٣٤ رهينة زهاء ٣٩ ساعة : وينتمي هؤلاء المسلمون الى جماعة تدعى جماعة الحنفى ويقودها خليفة عيه الخالص . وجماعة الحنفى من الجماعات التي انشقت عن المنظمة المسماة منظمة الاسلام الأسود . وحدث هذا الانشقاق بعد مصرع زعيم المنظمة مالكولم .

ولقد أحدثت هذه الجماعة أكبر قدر من الاضطراب للشرطة عندما استولت على ثلاثة أبنية في وقت واحد . فلقد استولى في البداية وفي الساعة الحادية عشر أربعة مسنحون بالطبنجات والمناجل على مبنى Bnai Brith الذي تملكه منظمة يهودية ، واحتفظوا بعدد يتراوح بين عشرة ومائة من الرهائن ، وبعد ذلك ، وفي منتصف النهار ، تم الاستيلاء على المركز الاسلامي القومي في حي السفارات . وكان يضم ١٥ رجلا ، ثالثا - وبعد ذلك بساعتين ونصف الساعة ، وفي حي كولومبيا كونترول احتل الارهابيون قاعة مدينة واشنطن ، وقبل احتلال المبنى ، حدثت معركة تبودلت فيها طلقات النيران ، وقتل مخبر صحي وجرح أحد العاملين بمكتب مستشار المدينة في رأسه وصدده . واحتجز العدة وأربعة آخرون كرهائن .

وسارعت شرطة المدينة بالسيطرة على المواقع الثلاثة ، واستعانت بأفراد من القنصاة ، وسدت جميع مخارج المنطقة . وبعد وقت قصير ، قدم عبد الخالص مطالبه . وصورت هذه المكالمات لتلفزيونيا . وطالب في مكالمته بتسليم ستة من السجناء من الذين قتلوا ستة من عائلته ، (ففي ١٩٧٣ شن ستة من خصومه المسلمين غارة على بيت عبد الخالص وقتل خمسة من أطفاله وحفيد عمره عشرة أيام) . ولم يتوقف واستمر الحنفزيون ينحون باللائمة على المسلمين السود ، ويتسبون اليهم هذا بالاعتداء ، وطالب عبد الخالص بعد ذلك بتحريم عرض فيلم محمد رسول الله في شبكة تليفزيون الولايات المتحدة ، اذ يعد تصوير الرسول من الانتهاكات الكبرى في العقيدة الاسلامية ، وأخيرا طالب باسترداد مبلغ ٧٥٠ دولار باعتبارها حقا له ، (فقبل ذلك بفترة من الزمان حوكم عبد الخالص لأنه أهان أثناء محاكمته أعضاء حركة المسلمين السود . والمبلغ المشار اليه هو قيمة الفرامة التي أرغم على دفعها) .

ولقد استجابت الشرطة لمطلبه الأخيرين لكي تثبت تعاطفها معه وحتى يكون بقدورها اجراء تفاوض فعال معه عن طريق التليفون .

وفي ١٠ مارس وفي وقت متأخر من النهار ، قام سعاد مصر وباكستان وايران بالتفاوض هم وعبد الخالص ، وسمح لهم جميعا بدخول مبنى Bnai Brith حيث كانت تتم عملية التنسيق للسيطرة على الارهاب ، وارتضى الارهابيون في نهاية المطاف الاستسلام .

وفي أواخر يوليو ١٩٧٧ ، قدم جميع أعضاء الحنفية للمحاكمة وأدين الجميع بتهمة المؤامرة والاختطاف . وبالإضافة الى ذلك . فقد

صدرت أحكام ضد عبد الخالص واثنين من رفاقه على تهمة القتل من الدرجة الثانية للمخبر الصحفي .

وذكر أن شرطة المدينة قد صممت على عدم السماح للارهابيين بالمساس بالأمن خارج المبنى .

سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٧

الدكتور هانس مارتين شلاير من المشتغلين البارزين بالصناعة ، ومن الشخصيات المرموقة في مجتمع ألمانيا الغربية ، بحكم شغله وظيفة رئيس اتحاد عمال ألمانيا الغربية وباعتباره مستشارا للحكومة في مسائل العمال والاقتصاد ومديرا لمصنع ضخيم لسيارات مرميديس بنز . ولقد توقعت الشرطة للأسباب المذكورة آنفا أن يكون هدفا أوليا للارهابيين ، وزودته بأربعة من رجال الحرس الخاص لمرافقته في جميع الأوقات ، وبالرغم من جميع هذه الاحتياطات ، فقد وقع شلاير في ٥ سبتمبر ١٩٧٧ في كمين في براونفيلس . وأثناء الاعتداء قتل نيران الرشاشات اثنين من رجال الحرس الخاص وأحد مستشاري الأمن وسائقا ، أما شلاير بالذات فقد اختطف .

وأعلنت وحدة الكوماندو (الفدائيين) للجيش الأحمر بعه اتصالها بوكالة الأنباء في ألمانيا الغربية مسئوليتها ، (فلقد مات هاوستر - وهو ارهابي من بادرباينهورف متأثرا بجراحه أثناء غارة على السفارة الألمانية باستكهلم ١٩٧٦) . وأرسلت وحدة الفدائيين خطابا الى حكومة ألمانيا الغربية متضمنا مطالبه الارهابيين ، التي اشتملت على الآتي : تسليم مبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه استرليني لكل عضو من الأعضاء الأربعة عشر السجناء في سجن شتوتجارت ، والافراج عنهم جميعا ، وتأمين وصولهم سالمين الى مطار فركنפורت ، ويرافق السجناء المستر ديفيس بايوت المحامي السويسري ، ومن المدافعين عن حقوق الانسان ، وأيضا الدكتور مارتين نيمولر ، وهو من الشخصيات النازية المعروفة . وافترض أن الشرط الأخير سيضمن تأمين وصول هؤلاء السجناء .

وسجل الارهابيون شريطا سمع فيه صوت شلاير وهو يجيب على الأسئلة الشخصية التي وجهتها له الشرطة ، لاثبات أنه مازال على قيد الحياة ، وفي ٩ سبتمبر ارتضى ديفيس بايوت القيسام بلبور ضابط الاتصال بين الشرطة والارهابيين ، وكانت هناك جملة أحداث مروية لم تكن هناك أدلة لاثباتها ، ودارت المناقشات على نحو أقرب الى التخاطي ، ثم وصل ائذار نهائي الى مكتب بون لوكالة الأنباء الفرنسية يحتوى على

صورة فوتوغرافية لشللاير وهو مازال على قيد الحياة ، ومرة أخرى ترك هذا الحادث الرمدى ، والذي كان فيه شللاير بين الموت والحياة دون اتخاذ أى إجراء .

وتدخلت الأقدار فى الأسبوعين الأولين من أكتوبر عندما أقدم ثلاثة من سجناء بادر ماينهوف فى شتامهايم على الانتحار ، ونجحت القوة الضاربة G.S.G. 9 فى اقتحام الطائرة المختطفة فى مقدشيو ، وكادت هذه الحادثة تقرر مصير شللاير . فقد عثر على جثمانه فى قاع سيارة فى مولهاوس فى الألزاس فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٧ . وجاءت أنباء بينت أين يمكن العثور على جثته بعد أن تمت المحادثة التليفونية بين جناح الجيش الأحمر والجريدة اليسارية الباريسية Liberation . فلقد أزهقوا روح شللاير بكل جلاء من قبيل الثار ، بعد أن احتفظوا به كرهينة زهاء ثلاثة وأربعين يوما .

وليس من شك أن موت شللاير كان أمرا مبيتا عندما أعطت الحكومة الألمانية أوامرها باقتحام طائرة اللوفتهانزا فى مقدشيو ، وسمحت للصحافة بإذاعة أنباء انتحار السجناء فى سجن شتامهايم . ومن المثير للانتباه أن نلاحظ أن الصحف لم تخمن أى شيء عن هذا الموضوع آنئذ قبل حدوثه .

واكتفت التقارير الصحفية بالتحدث عن أنواع الركائب والاتصالات التى استخدماها المستولون المصريون . وفى جميع هذه الأحداث ، احتجز كرهائن أناس لا ناقة لهم ولا بعر ، بل وأزهقت أرواحهم فى بعض الحالات ، وبالمثل فإن كل حادثة من هذه الأحداث قد قدمت درسا للجهات المستولة ، لا يلزم أن يكون أحد قد تعلمه ، وعلى الرغم من زيادة التعاون الدولى الحديث بين أجهزة الشرطة ووكالات الاستخبارات ، فإن عدد العمليات الارهابية قد كشف عن زيادة رهيبه . وإذا تأملنا ما حدث من تصاعد فى الأحداث فى عشر السنوات التالية ، عندما كان المسافرون فى رحلات عمل أو للترويج عن أنفسهم ، يلفون أنفسهم من آن لآخر فى موقف لا يصدقون عليه ، فإن المستقبل سيبدو كتيبا حقا .

وإذا حدثت عمليات ارهابية فى الفنادق وفى ساحات الرياضة والمطاعم والطرق العامة ، وفى محطات نهايات أوتوبيسات النقل العام والسينما والمسارح والمنازل الخاصة ، فإين ياترى يصادف المسافر الأمن والسلامة ؟ باختصار انه لن يعثر على مثل هذا الاطمئنان قط .

ومع هذا فإن بمقدور الانسان عتسما يعى ما يحدث فى مثل هذه الحالات أن يحد دراميا من خطورة هذه المناسبات التى يكون فيها موضع تهديد بأن يفهم ماهية هذا التهديد . فباستطاعته أن يتعلم كيف يعرف الدوافع والممارسات والأساليب التى يتبعها الارهابى العصرى . وبوسعه أن يتعلم القواعد البسيطة التى تساعد على أن يصبح عسير المنال كهدف للارهاب ، بغير أن يغير بالضرورة من مقومات أسلوبه فى الحياة .

وليس على الاطلاق من الأمور غير المألوفة أن يختطف شخص ما عن طريق الخطأ ، وبخاصة فى البلدان التى تشيع فيها أساليب الخطف بالجملة ، وبطريقة عشوائية ، ويستأجر فيها الخاطفون من ينوب عنهم من المتخصصين فى عمليات ال Snatch وانتهاز الفرص ، بدلا من أن يكون من يتولون هذه المهمة المنتفعون الحقيقيون بالفدية التى تسلم فى نهاية المطاف ، كما أنه ليس من غير المألوف أن يختطف أحد المسئولين من أجل التأثير الضاغط على المؤسسات الشديدة الثراء . ومن الأمور المتزايدة الحثوث فى أمريكا اللاتينية أن يختطف شخص ما لأنه يبدو كاته واحد من أصحاب الحيثية ، وثمة شىء ما بمقدور المسئول من أهل الدراية أن يفعله لتخفيف الخطوات التى يتعرض لها شخصه فى جميع هذه الحالات . وحتى اذا حدث الأسوأ واختطف أو احتجز فى حادث اختطاف طائرة ، فهناك بعض ضوابط بوسعه أن يلاحظها لأنها ستفيدة كثيرا أثناء فترات احتجازه التى يحتمل أن تطول لمدة طويلة .

لقد خططنا هذا الكتاب هادفين الى توعية الجهات المسئولة عن السفر ، وإن كنا نهدف أكثر من ذلك الى مساعدة من يحتمل تعرضهم للتهديد لكي يتمكنوا من التصرف فى عالم غير متعاطف طالما استطاعت العمليات الارهابية وضعه تحت رحمة أمثال طرف ثالث لم يتدرب أو تعرف على ما يحدث فى العمليات الارهابية .



أولاً: طبيعة الإرهاب الدولي ودرجته

١ - نظرة تاريخية

فى السنوات الأخيرة ، شاهد العالم الحر عددا دافم التزايد من الحركات السياسية غير التقليدية ، وتعرف على نوعية من الحركين السياسيين الذين لم يالفهم . وتراوحت الأسلحة المستخدمة فى مختلف البقاع بين العصيان المدنى وحركات الانقلاب ، وبين اغتيال الطفاسة ، وحروب العصابات ضد الارهاب ، وزودت مثل هذه الأحداث الصحافة ومختلف وسائل الاعلام بمادة حافلة بالمشيرات .

وأول نتائج ذلك هى أن الرأى الصام قد أصبح ينظر الى الارهاب كشيء مستحدث ، وكثيرا ما عبر عن هذا الانطباع المعقبون وصانعو السياسة على السواء ، واعتبروه قضية مسلما بها . والحق أن العنف السياسى ، الذى كثيرا ما يكون من النوع الذى لا يستساغ ، كان ملازما لنا طيلة العصور ، واليوم يختطف الارهابيون رهائن من البشر ، وفى الماضى كانت قبائل الانكا تستولى على أوثان القبائل التى قاموا بقهرها ويضعون أيديهم على هذه الرهائن للتأكد من عدم تمرد أولئك الذين قهروا ، وإذا بدأنا بقايل وهابيل فى التوراة فسنرى قصتهما محملة بقصص العنف السياسى ، وأيضا يمثل العنف جوهر تاريخ يونان ورومان .

فى ولاية يهوديا الحافلة بالمتاعب ، انهك جيش الاحتلال الرومانى فى عهد يسوع المسيح فى التعامل مع مثيرى المتاعب من أمثال الازيزوقراط و « السيليكارىكان » الذين يمثلون الجناح المتطرف من انتصبيين الصهاينة . ولقد بلغ تمردهم ذروته فى مأساة قلعة « ماسادا » التى لجأت الى تشتت اليهود « Diaspora » ، وهى نقطة بداية الكثير من الصراع الدينى العنيف المحتدم حاليا فى الشرق الأوسط .

وقد صور شكسبير بروتس كصاحب مبادئ ومعتقدات ثابتة ، تحول الى ادهابي في عيد منتصف مارس ، اى عندما اشترك في عملية اغتيال يوليوس قيصر ، ومن أبطال الأساطير الفولكلورية : روبين هود ووليم تل ، اى أولئك الذين شنوا حربا ضد الطغاة . وينحدر أصل الارهاب من العهد الذى كان يمجّد الثورة ضد الطغاة .

وتعد مشكلة هل يفتخر اغتيال الطغاة من القضايا المعقدة في أصولها الأخلاقية والسياسية ، وليس بمتصورنا أن نشجب مثل هذه الأفعال على الفور . فلا يخفى أنه قد مرت عهود لم تعرف فيها أية وسائل أخرى لمقاومة الطغيان . ففي يوليو ١٩٤٤ ، أخفق الكولونيل فون شتاوفنبرج في محاولة قتل هتلر ، وكانت مؤامرة الجنرالات مازالت في مهدها ، وطالب القوهمرر بانتقام رهيب من مقترفي هذه الجريمة الحقيقيين أو الموهومين ، ومازال هناك حتى يومنا هذا من يعتقدون أنه ليس من واجب الجنرالات اذاعة القادة السياسيين (١) ، وهو رأى يشترك في تردده كثيرون بلا شك من أبناء جيش ألمانيا الغربية اليوم ، وعلى أفضل الأحوال ، فإن هذه النظرة تعتبر ضيقة وساذجة للغاية ، فلو أن المخابرات السرية في بريطانيا - أو أى انسان آخر (فيما يتعلق بهذه المسألة) - قد أمرت في أواخر الثلاثينات بالقيام بعملية مماثلة ، ونجحت في الخلاص من أدولف هتلر ، لما كان من المستبعد أن ينظر الى فعلتها على أنها عمل ادهابي مؤيد من الدولة ، ولكنه كان سيمتبر عملا تحريريا للعالم أيضا ، فيفضله كان الحسام سينجو من التعرض. لنمار حرب عالمية ثانية .

« لقد دمر بحارنا ودمر شواطئنا وحرق مدننا وحطم أرواح أهلنا » . هكذا وصف أصحاب اعلان استقلال أمريكا الملك جورج الثالث عندما لجأوا الى الارهاب ، واتخذوا هذه الناحية ذريعة لما اعتبروه صراحة جريمتهم التحررية ، وفي مثل هذه الحالات ، لا ينظر الى قتل « أصحاب الستر الحمراء » (*) Redcoats والموالين Loyalists على أنها جرائم ، ولكنها تعد أفعالا وطنية .

وتكمن الصعوبة في أن الارهابيين قد زعموا في جميع غصور التاريخ أنهم محروون ، يحاربون ضد الاستبداد الذى يجعل عن الوصف .

(١) "Montgomery of Alamein" - كتاب "History of Warfare"

ص ٥٢٥

(*) الجنود الانجليز

وضد ما فيه من شراسة ، والرد الحبيث على ذلك هو أن مثل هذه المزاعم لا توصف بأنها مشروعة الا عندما تحقق نجاحا فحسب . ففي مثل هذه الحالة ، يكون المعيار هو ما تحققه من انتصار على المضطهد ، واستقلال للبلاد . وتكون كل دولة هي المحك الأخلاقي لنفسها ، وهي التي تضع معايير السلوك والتي تحدد ما يليق وما لا يليق . وفي السنوات الاستثنائية لتصفية الاستعمار ، التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، كان هناك العديد من الأمثلة التي ظهر فيها مقترفو الأفعال الإرهابية في الماضي بمظهر المحاربين من أجل الحرية ، والذين أصبحوا فيما بعد رؤساء للدول . وينحدر الإرهاب من جذور عتيقة . بيد أنه لا القانون ، ولا ما يدعى بتقدم البشرية قد قدم عونا لتوضيح ما يعنيه الإرهاب ، أو بين لماذا نقبله .

واليوم قد وقفت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وقفة شجاعة جسورة ضد الإرهاب الحديث ، وبخاصة ، عندما حدثت دولاً بالاسم كليبيا وإيران ، لتأييدهما ، بلا شعور بالمسئولية ، لمثل هذه الأفعال . غير أن اللجوء الى الإرهاب كوسيلة من وسائل فن إدارة الدولة له تاريخ عريق مجيد .

وبالمقدور رد الاختطاف الى القرن الثاني عشر ، على أقل تقدير . عندما سجن الملك ريتشارد قلب الأسد كرهينة في إحدى قلاع الزاين الى أن دفع رعاياه فدية سراح الملك لأسرة أرشيديوق النمسا والامبراطورية الرومانية المقدسة . وفيما بعد أصبح الأطفال هدفا مستحبا للاختطاف . ويعتقد بوجه عام أن أصل الكلمة في اللغة الانجليزية «Kidnapping» يرجع الى علاقته باختطاف الأطفال (باعتبارها تشتمل على كلمة *kidnap*) . وفي القرن السابع عشر ، والقرن الثامن عشر ، كان الأطفال يختطفون ويباعون في سوق الرقيق للمستعمرات في نيو انجلند .

وفي القرن الثاني عشر ، والقرن الثالث عشر ، كانت « فريضة » الاغتيال تتم تنفيذا لأوامر السلاطين العثمانيين للخلاص من المعارضين والمنشقين . وبعد ذلك بستة قرون ، استهل اثنان من الزعماء اليقويين المتطرفين في جماعة الأمن العام لبازيس : « روبسبير » و« سان جوست » عهدا من الرعب يقال أن ضحاياه قد تجاوزوا الأربعين ألف نفس ، وبدأ هذا العهد في سبتمبر ١٧٩٣ ، عندما أعلن مجلس قيادة الثورة بعد أن

(*) هكذا عبر المؤلفان عن الموقف وتناسيا أنهما الأصل الذي علم الإرهاب لجميع بلدان الشرق الأوسط ، فلا تنسى دور الاستخبارات الانجليزية والأمريكية .

انتهى من اعدام الملك لويس السادس عشر بالمقصلة أن « الرعب هو قانون اليوم » حتى يستطاع التخلص من جميع المشبوهين من أعداء الجمهورية . وصنع أصحاب التيجان في أوروبا خارج حدود فرنسا بعد اعدام الملك فأعلنوا الحرب على الثورة التي رأوها بحق قد تحطت أنظمتهم في العالم .

وفي العصور الأحدث ، أعاد الأرمين في القرن التاسع عشر اكتشاف فاعلية احتجاز الرهائن ، بينما ظهرت لأول مرة فكرة التنظيم الارهابي السياسي حوالى الوقت نفسه في الجمعيات السرية في إيطاليا وأسبانيا . وعلى منتصف القرن ، انتقلت فكرة هذه الجمعيات الى الألمان قبل أن يعرفها الروس .

غير أن الارهابيين الروس كانوا مختلفين ، فلم يقتصر الأمر على مناصرتهم لنظام محكم من الارهاب ، ولكنهم مارسوه أيضا ، واستخدم الفوضويون والثوريون الرسائل الملمعة والأجهزة المتفجرة المرتجلة *TED* ولم تنج عاصمة واحدة في أوروبا من هجماتهم . وشهدت المنطقة الواقعة بين البرلمان وميدان *Square Mile* في لندن عددا من أحداث القاء القنابل . واعتدى في باريس وبرلين وفيينا وسان بطرسبورج (ليننجراد حاليا) على بعض الشخصيات من عليا القوم ضحايا الفوضويين والعلميين (*nihilists*) والارهابيين الثوريين الذين نجحوا في تحويل الحياة الى جحيم عند نهاية القرن في نظر أولئك المشتغلين بالمسائل العامة . ومن اللغو الظن بأن الجيش الأحمر الياباني وجاعة أيلول الأسود أو جماعة الجهاد الاسلامي قد جاءوا بما لم يأت به الأواخر .

اذ كان اللجوء الى الرعب كسلاح سياسي من مفاتيح استراتيجية لينين لبناء أول دولة شيوعية ، وبناء على توجيهاته قامت جماعة الفشيكا تحت قيادة الرفيق دزورينسكي بارهاب الجماهير الروسية ، وكانت هذه سابقة اقتدى بها ستالين وخلفاؤه ، حتى وإن كانوا قد لجأوا الى وسائل قبيحة أبشع . وغدت مثل هذه الوسائل الارهابية التي لجأت اليها الشرطة السياسية الروسية *OGPU* ، الأداة المفضلة لستالين لفرض سياسته « وروسنة » الاتحاد السوفيتي بالقوة ، وتزعمت الجماعة التي جاءت في أعقابها الـ *NKVD* عمليات التطهير ، وأثبتت أن لارهاب الدولة ذراعا طويلة ، وبخاصة عندما اغتالت المنشق تروتسكي ١٩٤٠ ، أثناء اقامته بالمكسيك ، واستخدمت الـ *NKGB* كأداة لتأكيد أن الصراع بين السوفيت وألمانيا النازية حرب وطنية كبرى يخوضها المواطنون

الروس ، ويزود ال KGB والجماعة العسكرية GRU بأساتذة لتدريب مصسكرات تدريب الارهاب في براج وباكو وأوديسا وطشقند . ويفد انها التلاميذ من مختلف البلدان ، وبذلك أثبتوا الاستمرار التاريخي لشعار لينين الذي يرى أن الحزب الشيوعي يستند الى مبدأ التهديد الذي لا يعترف بأى حدود أو محرمات . وليس من شك أن فلسفة الالتجاء الى الارهاب ومستلزماته فى العالم اليوم - وهناك وثائق مؤيدة له - قد ترجع الى النموذج السوفيتى المصمم بعناية وحقق .

وساعدت وسائل الاتصالات الحديثة عندما سرت التنقل من دولة لأخرى وأتاحت سبل الاتصالات انتليغونية ، على انتشار الارهاب ، كما أن هناك دولا أخرى شجعت الارهاب لتحقيق أغراضها عن طريق المنح المالية وتقديم المعونات وقبول الارهابيين كلاجئين ، وبذلك تكون قد استهانت بامتيازات البرتوكول الدبلوماسى . وأشعر الارهاب بعض الدول مثل كوبا وكوريا الشمالية واليمن الجنوبية وليبيا بشئ من القوة ما كانوا ليحصلوا عليه فى حالة عالمنا الواعى . فلقد جنحت الدول الأميسل الى الطغيان الى تصفية خصومها الذين يعيشون فى المنفى مما أحدث اضطرابا لدى أعدائهم ، وتنتظر هذه الدول الى مثل هذه الأعمال على أنها البديل الحقيقى للحرب .

والاستمرارية التاريخية موجودة فى تكنولوجيا الارهاب . فخلال مختلف العصور ، سواء فى عهد الارهابيين المناهضين للقيصرية فى القرن التاسع عشر ، أو الحركة الايرلاندية المطالبة بالاستقلال فى أعقاب الحرب العالمية الأولى IRA ، أو فى أحداث هذه الأيام ، رأينا الارهابيين يتمتعون بالقدرة على الحصول على أحدث التكنولوجيات . ومن أفضل الأمثلة التى تثبت ذلك ، محاولة جى فوكس Fowkes نسف البرلمان الانجليزى ١٦٠٤ باستعمال ٣٦ برميلا من البارود . وهناك بعض أمثلة تاريخية فوجئ فيها المسئولون بالتكنولوجيات التى استعملها الارهابيون . فلقد نسفت جماعة الجهاد الاسلامى مجمع البحرية الأمريكية فى بيروت باستعمال لورى قديم مشحون بالمتفجرات . وكانت البحرية مستعدة لمواجهة السيارات الصغيرة المجهزة بالقنابل ؛ ولكن لم يخطر ببال قائد هذه القوة امكان مواجهة التهديد الذى يحدثه لورى مشحون بالمفرقات يقوده فدائي انتحارى ، وبذلك قتل ٢٤١ من الرجال الذين تحت قيادته .

والارهابيون قادرون تماما على استثمار أية تكنولوجيا تقس بين أيديهم ، فسرعان ما تعرفوا على ميدان الالكترونيات ، وحصلوا على قنابل ذات فاعلية أضخم وأفضل ، ولقد اتضح أن قبلة الارهابى تقوم بدور

السلاح الجوى عند الفقراء ! وربما صبح مثل هذا الكلام . غير أنه في حالات مماثلة لما يجرى في بيروت وغيرها ، فإننا نرى الإرهابى أقدر من القوات الجوية المحترمة على التمييز والاتصاف بالدقة ، عندما يطلب منه تعميم أى هدف ، كما أثبتت السنوات الأخيرة .

والإرهاب صورة من صور التشهير . انه من المهام القذرة التى يقدورها أن تنتعش فى المجتمعات الحرة لأنها تحتاج الى تسبب أمثال هذه المجتمعات التى تعمل بها ، فعندما تقدم قوات الأمن على النار يصيح الإرهابى « يا للعار ! » مستغلا الاحساس الديموقراطى بأن ما يفعله عبارة عن لعبة مشروعة . على أن التشهير الإرهابى ليس أمرا جديدا ، فلقد قدم لنا الشاعر الانجليزى رديسارد كبلنج فى قصيدته Danegeid مثلا يرجع الى عهد السكسون : « اذا أنت دفعت للدانمركى الضريبة المستحقة (Danegeid) ، فانك لن تتخلص قط من الدانمركى Dane

وظهر نوع جديد من الإرهاب غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية ، التى كشفت - وبخاصة فى الشرق الأقصى - زيف ما يقال عن تفوق الجنس الأبيض ، وحضارته المبنية على الآلة ، وبذلك أعلنت مولد قوميات جديدة ، ومن بين القوى الامبريالية ، التى تعرضت للنخز والضعف ، كان هناك من أدرك أن الوقت قد حان لتخل هذه الدول عن دورها ، لأن عهد سلطانها قد ولى واندثر ، وقام بعض آخر بخلق المشكلات لنفسه ، عندما قاموا بمواجهة الحروب غير النظامية والإرهاب باستعمال تكتيكات تقليدية شعارها « أطلق النار وتحرك ! » .

وبعد أن عانت بريطانيا الأمرين من الآثار المدمرة لحرب العصابات فى ايرلاندة ، فإنها قد تعرضت لشيء مماثل من قبل حركة المقاومة الصهيونية(*) ، وما تبعها من إرهاب متطرف فى فلسطين . ولم يخطر ببال الاسرائيليين الجدد أن أولئك الفلسطينيين الذين يعملون لاسترداد أرضهم سيعون الدروس المبررة المستفادة مما فعله الاسرائيليون ، وأنهم سيحاولون تطبيقها عندما يحين الوقت .

وأخفق الجيش الفرنسى فى الهند الصينية فى التعلم بسرعة كافية أن حروب الشعب التى شنها ماوتسى تونج وهوشى منه وفو هيجينج جياي لها أبعاد متعددة . أما الأمريكيون وما عرف عنهم من ثقة صينية

(*) تسمى للؤلذان الإرهاب الصهيونى « بالمقاومة » وعفا الله عما سلف ورحم الله اللورد موين ونسف فتدق الملك جورج بالقس .

يجساره تكنولوجياتهم ونظرتهم العلمية للحرب ، فانهم قد عجزوا دائما عن الادراك الصحيح للغايات المحددة لفيتنام الشمالية وتكتيكات ابراهيمي الفيتكونج ، الى أن انتهى الأمر بتورطهم وبلوغهم لحالة من الاذلال الوطني. ويهدف ابراهيمي عندما يعمل على مناهضة الاستعمار الى السيطرة على أثلة الجماهير ، وبذلك تكون مواجهته بأعمال حربية على الطريقة التقليدية بلا طائل الى حد كبير .

على أن الجيوش الغربية تفكر بطريقة تقليدية . فلقد تعلم ضباطها كيف يفكرون بلغة الجيوش التي تعمل في ميادين المعارك ، وتهتم كليات الاركان في بريطانيا والولايات المتحدة اهتماما خاصا بما دار من حروب على الأرض الأوربية ، والتكتيكات الفردية ، ولا يخصص الا النزر اليسير لدراسة « الحروب الصغيرة القذرة » dirty little wars . كل هذا بالرغم من أن الجيش البريطاني لم ينعم بأى سلام منذ ١٩٤٥ لآكثر من سنتين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية يجيل من الزمان ، استحوذت الحروب الصغيرة القذرة على انتباه القوى الغربية الى حد كبير أو صغير ، الى أن اضطرت هي أيضا للخضوع لازعاج حالات جديدة من العنف . فقد بدا لها أن « هذه المجتمعات التي ظهرت بعد العصر الصناعي » - كما كان علماء الاجتماع يسمون الى وصفها - قد أفرخت جماعات من الارهابيين الذين يزغوا من بين صفوف حركات الطلبة اليساريين المتطرفين المعترضين على مادية البلدان المتحالفة والولايات المتحدة ، وفي سنة ١٩٦٨ ، بلغ الاضطراب والشغب في الاحرام الجامعية ذروته . ففي ابريل من ذلك العام ، قبض على « أندرياس بادر » عندما كان يشعل النيران في أحد المخازن بفرنكفورت ، ودافع عن نفسه في المحكمة بالقول بأن اشعال النار كان أمرا ضروريا « لايقاط الجموع البشرية وتنشيطها » . وحكم عليه بالسجن ، ولكن قبل أن تنتهي مدة حبسه قامت باطلاق سراحه جماعة من مؤازريه . كانت بينهم أولريكن ماينهوف . وهكذا ظهر اسم عصاية « بادر - ماينهوف » في رؤوس عناوين الجرائد . وظهر ابراهيميون شتوا الحرب على الجمهورية الاتحادية لألمانيا الغربية ، وكانوا من أصحاب الجسب والنسب . ومن ملاك السيارات الفارعة !

وانضمت الى « بادر - ماينهوف » جماعة أخرى هي Bonnie Clyde التي مثلت الجناح المتصلب في الجيش الأحمر ، وهي حركة اوعايشة تعتمد على قاعدة عريضة تتلقى العون من الغافلين والساخطين من أبناء الطبقة المتوسطة . ولهم نظراء في إيطاليا بجناحيها اليميني واليساري

أشهرهم « الألوية الحمراء » . وما كانت هذه الجماعات لتنجح في مهمتها لولا وجود شبكة كبيرة من المتعاطفين وأكثر أسانذة الجامعات والصحفين وغيرهم من المثقفين . نعم لقد زودت الجامعات بالبنية الأساسية التفريضية للارهابيين الجدد . وقد نجحوا نجاحا ملحوظا لفترة ما .

وبينما كانت قوات الأمن تعمل على مواجهة هذا الارهاب بدأت بشائر الارهاب في الشرق الأوسط تتوافد على أوروبا ، فلقد حاول العرب التغلب على الاسرائيليين في أربعة حروب تقليدية ، ولكنهم فشلوا ، ومن هنا لجأ الفلسطينيون الى الحملات الارهابية الموجهة الى شعب اسرائيل وممتلكاتهم خارجها وعلى من اعتقد أنهم يقدمون الدعم لاسرائيل .

وفي سنة ١٩٧٠ ، استهلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عهد الارهاب الفلسطيني فاخترقت ونسقت بعض الطائرات في مصر والأردن ثم جاء شهر سبتمبر ١٩٧٢ وروع العالم عندما شاهد اطلاق النار في مطار «Furstenfeldbruck» بميونخ ، وصورت كاميرات التلفزيون الرهائن ، وكان بينهم الفريق الأولمبي الاسرائيلي وأحد ضباط الشرطة وطيار هليكوبتر ، وقتل أربعة من هؤلاء الفدائيين في عملية بوليسية ، انخرقت بطريقة مؤسفة عن طريقها الصحيح .

ونظر الى عملية الهجوم في ميونخ على أنها تمثل انطلاق سلالة جديدة من الارهاب . ولم تكن عملية ميونخ عملية قومية ، ولكنها كانت عملية فلسطينية تورط فيها بعض أعضاء جماعة « بادر - ماينهوف » ، فبمساء أسسته الصحافة « الارهاب اللوثي الجديد » .

فهل يعد ارهابيو هذه الأيام مختلفين عن جلودهم الذين ظهروا عبر التاريخ ؟ ليس من شك أنه في أحد الجوانب هناك اختلاف قوى مباشر ، اذ كان ارهابيو الماضي فقراء فقرا شنيعا ، أما اليوم فإن الارهاب مهمة عاتية ، اذ تحصل حركات مثل منظمة التحرير الفلسطينية على دخل يفوق الدخل القومي للعديد من الدول ، وبفضل ما لديها من مسوادر مالية ضخمة ، استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، بشعبها المختلفة أن تتعلم دروسا من الجريمة المنظمة . واقتدوا بالنموذج الذي وضعت أسسه ألمانيا في الولايات المتحدة وإيطاليا ، فاستثمروا أموالا طائلة في أوروبا ودخلوا في سوق امتلاك المقارات والمضاربات في البورصة ، وبذلك ضاعفوا ما لديهم من أموال .

وهناك مصدر هام آخر للدخل هو المخدرات . ففي بعض المداخل الهامة لأوروبا الغربية مثل مطار فرانكفورت ومطار شارل دي جول يفرتسا .

ومطار هثرو بلندن ، توفد الجماعات الفلسطينية مبعوثيها وتهرب كميات هائلة من المخدرات لتوفير المال اللازم لشراء معدات الارهاب ، وهناك جماعات ارامية أخرى متورطة بالمثل . فلقد استثمرت جماعات مثل (IRA) والجماعات البروتستانتية شبه العسكرية في شمال ايرلاندة أموالها بقدر كبير في المشروعات المحلية وفي شراء بعض العقارات وأسواق النقل ، ولكن لدى العصابات المقيمة في مدن أمريكا اللاتينية في الستينات موارد هائلة . وقدرت المبالغ التي اكتسبت في إيطاليا عن طريق عمليات الاختطاف والابتزاز بخمسة وستين مليوناً من الدولارات دفعت من باب القدية في منتصف السبعينات ، وييسر المال والاتصالات الحديثة للارهابي اصابة أهداف كانت فيما مضى بعيدة المنال .

فحالياً هناك قدر من الارهاب يفوق ما كان يحدث في الماضي ، ففي الفترة التي أعقبت حرب يوم كيبور (نصر أكتوبر) ١٩٧٣ ، تضاعفت أحداث الارهاب عشر مرات . وكانت أهدافه بريطانيا وألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا وإسرائيل ، واليابان ، والولايات المتحدة ، التي كان نصيبها نصيب الأسد ، إذ بلغ عدد قتلها ٣٠٪ من ضحايا الارهاب .

وهناك من يفسرون هذه الظاهرة على أنها مؤامرة من محترفي الارهاب الذين يسعون الى اضمحلال الروح المعنوية في المجتمعات الديمقراطية وتقويض أركانها . ولاحظ معقبون من المتبصرين مثل بول جونسون (٢) أن البشرية قد انزلت خطوة خطوة نحو عصر ارامي وعلى نحو لا يكاد يصره أو يدرك به أحد .

وليست الاحصاءات التي عملت لحصر الارهاب الدولي هي وحدها التي تبين مثل هذه الزيادة في الانتشار ، ففي أسوأ الفترات التي ازدادت فيها حوادث الشغب الداخلي في الولايات المتحدة ، أي بين ١٩٦٥ و ١٩٦٨ قتل ٢١٤ فرداً وجرح تسعة آلاف من أثر الاحتجاجات الطلابية والارهاب السياسي وعمليات الشغب في أحياء السود والأقليات . وبالمقدور مقارنة هذه الأرقام بعدد ضحايا حوادث القتل (١٢٠٠٠) والاعتداءات

(*) يسمى الكاتبان هنا الى محاولة تشويه سمعة منظمة التحرير الفلسطينية ، باقناعها في للشككة الدولية للمخدرات . وقد كذبت الحقائق الحديثة هذه الفرية ، واتضح أن المركز الرئيسي للتجارة الدولية للمخدرات في أمريكا الشمالية والجنوبية ، وأن رؤوس الأموال التي تستثمر في هذا القطاع تقدر بالمليارات من الدولارات . وظهرت تورط بعض رؤساء الدول وما خفي كان أعظم .

(٢) David Fromkin - استخدمه بها في مقال The Strategy of Terrorism (مجلة Foreign Affairs) ، ١٩٧٥ .

العنيفة (٢٥٠.٠٠٠) التي تحدث سنويا في الولايات المتحدة . حقا ان هناك اعدادا اكبر من ذلك يقتلون في المنازعات الفردية أو حوادث السيارات ، أى يفوق عددهم أعداد من يلاقون حتفهم في أحداث الارهاب في شتى أنحاء العالم .

على أنه اذا لم تك الاحصاءات كافية لاثبات وجود مشكلة كبرى فما هو ياترى سر اهتمام عموم الناس بهذه الأحداث ؟ . أغلب الظن أن هناك سببين يساعدان على تفسير سر انشغال الناس بالارهاب : السبب الأول - هو أن الارهابيين يلجأون للعنف من أجل « الاثارة » . ويرجع اختلافهم عما كان يجرى فيما مضى الى الطرق التي يتبعها الارهابيون في الدعاية لأنفسهم . فهم يختارون العروض العنيفة المبهرة كعمليات الاختطاف التي تنظم تنظيميا دوليا ويشارك فيها أفراد من مختلف الدول . أما أخبار قتل أصحاب الحيثية أو المذابح العشوائية للأبرياء ، فإنها تحتل العناوين الرئيسية ، أو تخصص لها برامج لتغطية كل أخبارها ، وتشاهد في حجرات الجلوس أثناء تناول الافطار في أجهزة التلفزيون الملون . وتنقل المشاهد الأخاذة للعنف بواسطة الأقمار الصناعية الى شتى أنحاء العالم ، وتراها الملايين .

وثبتت الناحية الدعاية على نطاق واسع رغبة هؤلاء المولعين بالعنف في تفخيم أعمالهم التي تنشر بالبنت العريض وتذاع في جميع الاذاعات وهكذا فإن هدف الارهابي هو جمهور المشاهدين الذين تزعجهم أخبار الجريمة وتفزعهم وتقلقهم . ويتمائل معهم في احتلال العناوين الرئيسية في الصحف الزعماء القوميون الذين تهتم أجهزة الاعلام بابرار أعمالهم ومآثرهم . وكثيرا ما تكون هذه الظاهرة من عوامل الاغراء التي تشجع الارهابي ، ولقد كان الرئيس جيمي كارتر يتعرض يوميا للتأنيب علنا (هـاء ٤٤٤) يوما مما دفعه الى اعداد بمئة انقاذ انتهت بالفشل والاذلال .

بطبيعة الحال ، لن يمر وقت طويل الى أن تصبح الجماهير محصنة ضد نماذج العنف ، فلم يعد موت أحد الجنود في ايرلاندة الشمالية أو مصرع أحد رجال الدين يأمر انتباه أجهزة الاعلام ، بنفس القدر الذي كان يحدث فيما مضى ، وهذا يفسر الجانب الثاني الأكثر افزاعا في طابع الارهاب المعاصر واهتمامات الجماهير ، أن عشوائية العنف هي وحدها التي تحدث مثل هذا الذعر .

ولقد صعد الناس في بريطانيا من جراء الهجوم الذي شنه الجيش الجنهوى (الايولاندى) على الفندق الكبير فى برايتون ، وكاد الارهابيون

ينجحون في اغتيال رئيسة وزراء بريطانيا ومجلس وزرائها . وربما كانت
النشرة التي اذاعها الجيش الجمهوري في أعقاب هذا الحادث أشد
صفاقة : « لقد تم تحطيم أسطورة تمتع الحكومة البريطانية بالمناعة ،
ويكفي هذا لتعزيز جرأتنا وثقتنا بأنفسنا ، وستحدث أعمال هجومية في
المستقبل ؛ وستحدث دائما اعتداءات في بريطانيا وستحدد الوقت والمكان
بعناية وان كنا لن ننبه الى ذلك (٣) » .

وتملك الجماعات الأصغر نسبيا القدرة على التدمير وإزعاجنا وإفلاقنا
بقدر لا يتناسب والقوة الفعلية لهذه الجماعات ، وهنا يكمن موطن تهديد
الارهاب الحديث ، الذي لن يقلت منه أحد .



(٣) التحدث باسم الجيش الجمهوري الايرلندي في مقابلة أجراها معه *Slim Fein*
في مجلة *An Poblacht* ١٩٨٥ .

٢ - الارهاب

ما هو الارهاب ؟ الظاهر ان هناك قدرا ضئيلا من الاتفاق بين الخبراء ، عندما يتعلق الأمر بالتعاريف . وبمقدورنا أن نتحايل على مشكلة التعاريف ، عندما يتصل بحثنا بما يندرج أو لا يندرج تحت عنوان الفعل الارهابي . غير أن مثل هذه الفقهيات تتداعى عندما تنفجر قبيلة مموهة ، وتحدث أثرا ملمرا في مخزن أحد المحلات الحافلة بزبائن عيد الميلاد ، أو عندما تتحطم إحدى الطائرات أثناء تحليقها في الجو .

ومصطلح الارهاب من المصطلحات الدالة على الاحانة . انه الاسم الذي يستعمله من هو موضع تهديد . وفي القرن التاسع عشر ، كان الارهابي هو الشخص الذي يشترك في نوع خاص من الأعمال العنيفة ضد الدولة . وللمصطلح استعمالات تقليدية ، وبراجماتية وثرورية . ويختلف الأمر تبعا لمن يستعمله ، وهل هو مقترف أحد هذه الأفعال أو من ضحاياها . على أن الأمر لم يعد كذلك الآن . إذ كان المقترفون فيما مضى يخوضون حرب عصابات لتحرير بلادهم ، مما يجعلهم من الفدائيين ، لا اربابيين . أما أتباع الفريق الآخر ، فانهم يستعملون كلمة ارهاب للدلالة على أي فعل يتضمن أحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع ، وينضوي تحتها ألوان متعددة من العنف ، ابتداء من عمليات اختطاف الطائرات في الفضاء الى القاء القنابل بلا تمييز ، الى عمليات الاختطاف ذات الطابع السياسي ، والاغتيال ، وحوادث القتل باسم الدين ، وابتلاع الملكيات العامة .

ومن المتعذر اقامة نظرية واحدة أو تعريف أوحد يحيط بمثل هذه الأنواع المتعددة ، ومن الخطأ الاعتماد على مثل هذا المعيار الذى لا يميز بين مختلف الشرور بالنسبة للإرهاب ، ويعد الغموض الذى يكتنف استعمال المصطلح من الأسباب الأساسية لاساءة فهم طبيعة الإرهابى ، والتهديد الذى يحدثه بالتبعية .

ولقد وصف مقترفو أحداث التمرد ومشارك الشوارع والصراعات المدنية ومثيرو التشغب بين العمال والداعون للعصيان والمشاركون فى حرب العصابات فى الريف ، وأعمال الأمر الواقع ، وأفعال جماعات الضغط باسم الحفاظ على البيئة أو حقوق الحيوانات ، فى أوقات مختلفة ، بأنهم إرهابيون . وينزلق المصطلح ، وتزل قدمه ، ويهتج الى الابتعاد عن الدقة . وربما بلغت مثل هذه الصفات مستحبة عند أجهزة الاعلام ، ولكنها تسبب لنا جميع أنواع المصاعب . انها تضخم من قدر الإحصاءات ، ومن ثم فهي تجعل المشكلة تبدو أضخم من حجمها الحقيقى . وبذلك تحدث ذعرا كبيرا . كما أن الوصف بلا تمييز يعقد مهمة فهم طابع الإرهاب . وسنرجى مسألة كيفية مواجهة هذه المشكلة الى أن نتمكن من فهمها .

وعندما يواجه الكتاب والأكاديميون هذه المشكلة فهم يتبعون اتجاهات شتى . اذ تعتقد احدى المدارس أن مفتاح حل مشكلة الإرهاب يكمن فى ضرورة فهم الشعب . وتركز هذه الطريقة التى يحينها علماء النفس تحبيذا كبيرا على دراسة من هم الإرهابيون ، ولها أوجه قصور واضحة . فليس بمقدور مثل هؤلاء الخبراء التحدث عن أى إرهابى حى حقاً . ولا داعى لاثارة مسألة تعذر تحليلهم لنفسية هؤلاء الإرهابيين . والإرهابيون الذين قاموا بأدوار فعالة ، يتمصون من أية عملية تحليل طويل المدى لأعمالهم ، وربما كشف أولئك الذين ألقى القبض عليهم أو احتجزوا عن بعض معلومات ذات نفع ، ولكن بمجرد ابتعادهم عن الدور الفعال الذى قاموا به ، فإن قيمة هذه المعلومات تكون محدودة ، وأخيراً فإن أولئك الذين تقاعدوا أو تمت اعادتهم الى الطريق القويم - شأن المحاربين القدماء فى كل مكان - يميلون الى التحكم فى ذاكرتهم . وفى هذه الحالة ، ستعرض ذاكرتهم للتأثر بالموقف الحاضر ، وربما بدا من الخطر المضلل التعميم حول الرجال والنساء الهائمين على وجوههم ، أى أولئك الذين يعيشون بلا أسماء أو متكرين فى ظل أكتوبة حياة حافلة بالغموض والأسرار .

ومن الراجب علم استخلاص أى نتائج عامة عن الإرهابيين الذين يختارون للدراسة ، حيث يتعين تجنب عقد مقارنات بين سلوك من يتبعون

ثقافات مختلفة • ان الايرلنديين والالمان والزواج الأمريكيين والعرب جميعا يمارسون أفعالا من العنف ، ولكن هل يعنى هذا ان لديهم صفات شخصية مشتركة ، وسمات انسانية واحدة ؟ • قد يتوافر لهم جميعا صفة الشباب وحيويته ، والالتزام ، وقد يشتركون فى أنهم جميعا قد نذروا أنفسهم لقضية ما ، وان كان طيارو المقاتلات الحربية ، والملاكون يشتركون معهم فى نفس الصفات • وهل هناك الكثير من الجدوى فى البحث عن أوجه ارتباط ، أو أساس مشترك بين عامل سفن بروتستانتى فى بلغاست ، وأحد الفلسطينيين من خريجي الجامعة الأمريكية ببيروت ، وأى مناضل زنجي يقيم فى حى الزواج بنيويورك ، أو كولونيل فى الجيش الأسباني ، أو كاهن من أمريكا اللاتينية ؟

فى ٣٠ مايو ١٩٧٢ هبط ثلاثة أعضاء من الجيش الأحمر الياباني فى مطار اللد فى اسرائيل • وبمجرد وصولهم الى مبنى السفريات بالمطار ، وضعوا أيديهم فى الحقائب التى يحملونها بأيديهم ، وأمسكوا بطنجاتهم الأتوماتيكية وقنابلهم اليدوية ، وفتحو النيران ، وقاموا بحركة على طريقة Kamikaze (*) وسفكوا دماء جميع المحيطين بهم الى أن أطلقت النيران عليهم • وقتل أربعة وعشرون رجلا وجرح سبعون آخرون • ولم يك معظم الضحايا من الاسرائيليين ، ولكنهم كانوا من المسيحيين من بورت ريكو من الحجاج الى الأرض المقدسة •

ولم يقدر البقاء الا لواحد من هؤلاء الارهابيين • وعندما استجوب كشف عن احدى الشبكات المعقدة للارهاب الدولى • فلقد جندت المجموعة ثم نقلت الى كوريا الشمالية ، حيث تم تدريبها ، وجاءت الاعتمادات المالية من ألمانيا الغربية ، وبعد نقل أفراد المجموعة الى الشرق الأوسط ، تلقوا تدريباتهم النهائية فى معسكرات لحرب المصائب ، فى سوريا فى بادىء الأمر ، ثم بعد ذلك فى لبنان • وفى إيطاليا ، قاموا بتلقيهم وتسلحهم بمعرفة عميلهم ، أى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، قبل شروعهم فى الطيران لتنفيذ المهمة المطلوبة منهم فى اسرائيل ، التى قصد منها أن تكون رحلة انتحارية أى بلا عودة •

وعندما سئل لماذا عمل كارهابى مرتزق ، اعترف الارهابى الذى بقى على قيد الحياة - وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره - بأنه التحق بالجيش الأحمر لأن أخاه الأكبر عضو فيه • فهل يتوقع من القانون والنظام العام للدول أن يفقر مثل هذه الأعمال باعتبارها ترجع الى عوامل موروثة ؟

(*) الطيارون الانتحاريون الذين كانوا يهاجمون السفن الأمريكية فى الحرب العالمية ويتعمدون تجرير طائراتهم بالارتطام بتلك السفن لتفجيرها •

ولقد قدم علماء النفس بعض المعلومات النافعة عن الغاية المرصية للارهاب بشتى ألوانه . فلقد أقدم على اقتراح الكثير من أفعال العنف - خصوصا اذا تمعنا فى القائمة الطويلة لمرتكبي عمليات اغتيال الأمريكين - أولئك الذين تعرضوا لاضطراب عقلى حاد ، ومن ثم كانت دوافعهم خليطا مشوشا من الفانتازيا والشعور بالغبن والتطلعات السياسية غير الناضجة .

وهناك استثناءات ملحوظة ، وإن كان أغلب مختطفى الطائرات بالمقدور ارجاع أفعالهم الى الخلل النفسى وليس الشعور بالغضب السياسى الذى يسعى للتعبير عن نفسه فى شكل أفعال وبطولات . وهناك أيضا الارهابيون المصابون بنهان - أى الذين يعانون من اضطرابات عقلية - ممن تستهويهم الهالة المحيطة بالعنف وجماعات الارهابيين . وهناك آخرون يحققون غايتهم عن طريق الانضمام الى الشرطة والقوى الشبيهة بالمسكرية . ويرى الأستاذ ريتشارد كلاترباك - وهو من الثقاة الانجليز البارزين فى معرفته بأحوال الارهاب - ان الارهابيين يحتذبون المخبولين ، كما أنهم يحولون العقلاء الى مخبولين اعتمادا على تلقينهم عمليات القتل . ولقد قدم علم النفس أيضا بعض التقنيات والتكتيكات المفيدة فى الميدان الحافل لعملية تبادل الرهائن ، ومع هذا فالظاهر أن هناك الكثير مما يجب أن يجرى قبل أن يتسنى لنا تقديم تعقيبات صحيحة عن حالة عقلية القاتل أو بروفيل شخصية من يلقي القنبلة من العقلاء .

وكثيرا ما تتدخل المشاعر عند محاولة فهم الارهاب . وأيا كان الطريق المتبع ، فمن الحيوى الحرص على التزام الموضوعية . فبعض يتبع النزعة القائلة بأن جميع الارهابيين منحرفون ، وما يؤمنون به من سياسات شديدة التطرف ، بحيث يصعب أخذها مأخذ الجد ، ومطالبهم بعيدة عن الواقع مما يحول دون الاعتناء الى قرار أو حلول وسط عند التفاوض معهم .

فى أغسطس ١٩٨٥ ، قتل الارهابيون الشيعة أحد الموظفين الأمريكين فى شركة T.W.A. ، ثم أخذوا يتنقلون على غير هدى بين الجزائر وبروت . ويبدو أنه لا وجود لأي مخرج فى مثل هذا النموذج الكلاسيكى من الأحداث الارهابية . وعجز المتشددون عن اقناع المسئولين بأن الإجابة ستكون اطلاق النار على عجلات الطائرة أثناء وجودها على مدرج مطار الجزائر . وبعد ذلك اقتنعوا بعدم وجود أمل فى الحل الوسط ، وأن أية محاولة دبلوماسية مضيعة للوقت . وسرعان ما أدرك الرئيس ريجان ومستشاروه - رغم حركاته التياترية - أن الارهاب ليس

من المشكلات الواضحة المعالم ، وشرعت الادارة الأمريكية في التفاوض في سلسلة من المناورات الدبلوماسية الحساسة والمتوازنة توازنا دقيقا . وكان الثمن الذي أرغمت الولايات المتحدة على دفعه في هذا الاجراء هو الاعتراف بدور الارهابيين وشرعية وجودهم ، وبدورهم التمثيلي في العالم وبدا هذا الاجراء في نظر بعض النقاد تمنا باهظا للغاية .

وكانت عملية الاختطاف في بيروت من الأحداث الحافلة بالمفارقات . فلقد سعى وزير الخارجية الأمريكية شولتز للحصول على مساعدة سوريا لتأمين اطلاق سراح الطائرة وطاقمها وركابها ، وفي الوقت نفسه ، فانه لم يتعد عن اتجاه المسئولين في وزارته الذين رأوا أن سوريا راسخة القس في معسكر تلك الدول المؤيدة للارهاب ، الى جانب اليمن الجنوبية وليبيا وايران . وكان نهوض الرئيس الأسد وقيادة حركة أمل كوسطاء مخلصين لاجراء تسوية من التناقضات التي وقعت فيها السياسة الخارجية الأمريكية ، ولعلها تسببت في أحداث اضطراب أعظم في مثل هذا الحادث المثير لمواظف النفس ، ومع هذا فعندما وضع هذا الموقف في كفة ، ووضع في الكفة الأخرى ، الافراج عن الرهائن ، فانه بدا تمنا زهيدا .

واثبت حادث اختطاف T.W.A في بيروت أن رأى الخبراء في العالم الحر ليس قريبا على الاطلاق من فهم ماهية الارهاب ، ومن هم الارهابيون ، وأن كل ما يوسعنا أن نفعله هو أن نفحص حدود الارهاب ، ونحاول أن نرسم اتجاهها معقولا وسط الاضطرابات والتناقضات .

وأول حد ينبغي أن يرتبط بمدى عنف الفعل ، فالارهاب هو التهديد باستعمال عنف غير عادي لتحقيق غايات سياسية . على أن أمثال هذه الأفعال الارهابية تعد رمزية أكثر منها وسيلة ، وتتخذ بقصد أحداث تأثير سيكولوجي أكثر منه مادي . ولقد عرفه المرحوم ريمون آرون ، وهو من المعقبين السياسيين وخبراء علم السياسة على هذا النحو : يوصف الفعل العنيف « بأنه ارهابي » عندما « تكون الآثار السيكولوجية المترتبة عليه غير متناسبة البتة هي والنتيجة المادية البتة » . (١) . ان هذا الملمح من المخلات السيكولوجية هو مفتاح فهم الارهاب اليوم . فالدعاية المسلحة للعنف هي بمثابة مسرح يؤدي الارهابي دوره فيه . بينما يعد الهدف هو المتفرجين الذين ييلفهم عن طريق وسائل الاعلام . وفي هذا المقام يكون ضحية العمل الارهابي بكسل بساطة مجرد رمز .

(١) Raymond Aron - في كتاب Century of Total War ١٩٨٤

ان جوهر الارهاب يتركز على ثلاثة عوامل :

١ - مصدر العنف .

٢ - المتفجرون .

٣ - الضحية ، ويحسن بنا أن نذكر أن المصاحب الضروري للارهاب هو الخوف ، وأن الغاية القصوى هي التهديد .

ولقد أصبح الارهابيون يتمتعون بمهارة فائقة في استعمالهم العنف لجلب الانتباه ، وفي الكثير من الحالات ، تكون الغاية المرحلية هي دفع حركتهم ليس تجاه ادعاء القوة ، وانما تجاه الشهرة فحسب . وهكذا قد تساعد أية عملية قتل مبهره ، أو أى حديث تلفزيوني عن مصير الرهائن على تدعيم مكانة المنظمة الارهابية . وتساعد أيضا على نشر رسالتها ، وبذلك تجتلب التعاطف ، بل وتجتنب أنصارا للقضية .

ومن الناحية العملية ، يعد الارهاب مسألة تخص العالم برمته ، ومن ثم فإن علينا أن ننظر بعين الاعتبار الى المجتمع الذى تجرى فيه . وفي بعض أجزاء من العالم ، هناك مجتمعات ، العنف فيها مسألة متوطنة . وفي مثل هذه الأحوال ، يصبح العنف أمرا معتادا ، أى من عادات العشرة ، ويتخذ مظهر الطقوس ، بحيث لا تلفت الأنظار الكثير من الأفعال التى كان من المفروض أن تسترعى الانتباه ، لولا ذلك . وتسيطر على مجتمعات أخرى أنظمة القاعدة الأساسية للحكم فيها هي القمع والتعذيب والقتل بحكم القانون ، ويخضع فيها الناس للارهاب . أما أولئك المعارضون فليهم أن يسايروا النظام السائد بالبحث عن خصومهم وذبحهم .

وبزغ في الأزمنة الأخيرة نوع آخر من الارهاب ، وبخاصة في تلك البلدان التى أثبتت فيها الحكومات عجزها عن مواجهة المواجهة العنيفة أو التحديات العنيفة . ويسخر الساهرون على النظام القانون لصالحهم فيقتل رجال الشرطة المشبهين والقتلة ، بدلا من القبض عليهم ، وبذلك يكون عملهم أشبه بعمل وحدات المشاوية .

والعنف من مقومات الارهاب ، ولكن هل يعد الارهاب عملا حرييا ؟ ومرة أخرى اننا نصادف اعتيادا عن الاجماع من قبل الخبراء ، أما الارهابى بالذات فلا تساوره أى شكوك فى دوره كمحارب ، فبعد أن تستحوذ عليه الحاجة لتقديم أوراق اعتماده كإرهابى بعد التعريف بدوافعه ، فإنه يظل مقتنعا بأنه يقاتل فى حرب ، ويتصور نفسه جنديا ، حتى إذا لم يرتد.

زيا عسكريا ، أو لم يتدرب تدريبا نظاميا . وقد تكون المنظمة الارهابية ذات تنظيم مؤقت . وقد لا يتلقى أعضاؤها أكثر من الحد الأدنى من التدريب ، الا أنهم يعتبرون أنفسهم جنودا . فأسلحتهم هي البندقية والقنبلة ، وميدان قتالهم هو شوارع المدينة ، وأهدافهم هي النقاط المعرضة للخطر والحساسة في المجتمع الحديث .

وفى الحق فإن الارهاب قد يتخذ الكثير من المظاهر التي نقرنها عادة بالصراعات التقليدية ، وتلعب الحرب السيكلوجية دورا هاما عندما يكون الهدف هو تحطيم معنويات القوى المعادية أو حكوماتها ، وأولئك الذين يعملون عليه في مؤازرتهم . والدمار المادى له مكانة عليا في قائمة أهداف الارهابيين . اذ قد يؤدى تدمير الموارد ووسائل النقل ومرافق الصناعة الى شل الحكومة . وقد يحدث هذا التدمير شعورا بعدم الارتياح . والقلق يدفع الأصدقاء والآخرين الى سحب تأييدهم وتمويلهم واستثماراتهم . وقد تتعرض التجارة الى الانكماش ، ولا ننسى أن التجارة هي عصب الحياة وروح اقتصاد الأمة .

وقد شعرت المؤسسات العسكرية الجديرة بهذا الاسم دائما بصعوبة الاعتراف بالارهاب كمظهر من مظاهر الحرب ، فقال الجنرال « روبرت الى » عن حرب العصابات التي شنها الكونغراليون في الحرب الأهلية الأمريكية : « اننى أرى العملية بأسرها شرا خاليا من أية شوائب خيرة » . وبغض النظر عن هل يعد الارهاب شرا أم لا فقد استخدم هذا النوع من الصراع من قبل الكثير من المتقاتلين عبر العصور . ولما يساعد اذراء الارهاب على اختفائه ، وفى بعض الحالات يكون الجندى المحترف هو مصدر ما ينتابه من اضطراب . ويذكر المؤلفان أنهما خلال تجربتهما فى أكثر من مناسبة عندما كانا يرافقان الضباط أنهما قد قيل لهما ان الجنود تحت قيادة الضباط كانوا فى حالة حرب هم والارهابيين فى ايرلاندة الشمالية ، وان ظلوا ينظرون شذرا الى الحرب غير التقليدية ، وطريقة الرد عليها ، ومن ثم فإن المؤسسات العسكرية قد أرغمت بتأثير الظروف على قبول مسئولية عملهم كرجال مسلحين فى التعامل والارهاب . ولقد مر بهذه التجربة الاسرائيليون والفرنسيون وجنوب أفريقيا والروس فى شرق أوروبا وأفغانستان ، وبذلك يكون الأمر الواقع قد أضفى الشرعية على المحرمات .

وهناك آخرون قد يرون هذه الحجة مثيرة للغضب ، وربما زأوا ان الارهابيين ليسوا محاربين فى حرب عصابات ، لأنهم جنود غير نظاميين

يشنون حربا على القوات المسلحة التقليدية . وهكذا يكون الارهاب قد أغشى الفارق بين المقاتلين والمدنيين ، بينما يعد الفصل بينهما هو الغاية الأساسية لقوانين الحرب . ويعمد الفريق الأخير الى تحديد ماهية الجريمة ، فحتى عندما تستخدم حدة القتال ويسوده الاضطراب ، فإن المحاربين يظلون قادرين على التمييز بين ما هو شرعي ، وما هو بعيد عن الشرعية في الحرب .

ويرغب الارهابيون في الحصول على الكعكة ، وأكلها أيضا ! فهم لا يقيمون أية تفرقة أو اختيار بين أهدافهم ، ويخفقون في التمييز بين الأهداف العسكرية المشروعة والمدنيين . ومع هذا فإنهم يطالبون ضحاياهم عندما يقبض عليهم بالتفرقة ، وتخصيص مكانة لهم تفصل بينهم وبين المجرمين العاديين . ولم يساعد تذبذب الحكومة البريطانية في هذه المسألة فيما يتعلق بايرلاندة الشمالية على تسهيل مهمة قوات المحافظة على الأمن ، كما أنها لم تؤد الى الاهتمام الى حل لهذه الأزمة .

« الأرضية التي يقف عليها أحد الأشخاص هي سقف الشخص الآخر . كما أن من يبدو ارهابيا في نظر فلان ، يبدو في نظر علان محاربا ومحررا » ، وقد كان هذا القول صحيحا في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، أو كان هذا هو العهد الذي تولى فيه زعماء المنظمات الارهابية بعد هزيمة أسيادهم المستعمرين شرف ورئاسة دولهم . وإذا سلمنا بمقدرة القيادة الاسرائيلية على تتبع ماضيها الى العهد الذي كانت تحارب فيه البريطانيين ، فإننا لن نجد عن تفسير لماذا اتسم رد فعلها - بلورها - بشدة العنف في مواجهة التهديد الفلسطيني .

وما زالت هناك أجزاء من العالم تعاني فيها الشعوب المغلوبة على أمرها من قدر كبير من الاغراب والقمع من قبل الحكومة ، حيث تسود التفرقة وعدم المساواة ، ويشعر الفرد بعجزه قبالة الحكومة والمؤسسات الكبرى ، وفي بعض الأمثلة يرمز الاعتداء السياسي الى آخر ما تبقى للشخص البسيط من مقدرة يود لفت النظر اليها . وبمقدور الارهابي أن يعبر عن رسالة الكثيرة من الآخرين الذين يشعرون بالضيم ، ويفتقرون الى فرصة اسماع صوته . وعندما يشعر الثوري بالاجباط ، ولا يمتثل على منفذ يساعده للقيام برد فعل تجاه الأحداث ، فإنه يختار الارهاب . ويتعين الاعتراف بهذه الاعتبارات لا كمبرر للارهاب ، وانما كوسيلة لالقاء الضوء عليه .

ولن تساعدنا حقيقة إدراكنا أن الخلافات العرقية واللغوية والعنصرية والدينية قد تزيد العنف على إمكان مواجهة الازهاب . وغاية ما يوسعها

أن تفعله هي تعريفنا بإحدى الحقائق الراسخة ومؤكداتها أنه ما لم تقتلع الأسباب الأساسية ، فإن الإرهاب لن يمحى قط ، وفي الوقت نفسه غمناك رد يقول أن علينا أن نتجنب مواقع الاضطراب حتى وإن كانت منتشرة في شتى الأنحاء . وكما حدث في حالة اختطاف T.W.A فقد اختطف الإرهابيون الطائرة المسافرة من أوروبا إلى الشرق الأوسط .

ومن المعقول أن نفترض أنه عندما طارد الأصوليون المسلمون والمليشيات الولايات المتحدة حتى طردوها من لبنان ، فانهم لم يتوقفوا عند شواطئ البحر المتوسط ، ولكنهم تابعوا القوة المكلفة بهذه المهمة حتى عادت إلى مقر دارها . ومن المحتمل أن يكون هناك متطرفون مسلمون « ينامون » بالولايات المتحدة ، وينتظرون توبه البروجي التي تدعوهم إلى الحرب المقدسة ، بالقيام بأعمال إرهابية في الداخل الأمريكي لأمريكا في أمريكا الوسطى . وعندما سمعت الولايات المتحدة لشن الحرب على الإرهابيين ، فانها قد خلقت أعداء عديدين لها .

وبمعنى ما فعلت تهديد الإرهابيين الآن أفدح منه في أي عهد مضى سواء في الداخل أو الخارج . وقد عادت « موضة » اختطاف الطائرات لأن قدرة المختطف على تسريب الأسلحة إلى داخل الطائرات أعظم من قدرتنا على اكتشافها . ويضم الإرهاب الآن نخبة من الرجال والنساء الذين لا يبالون بالحياة أو الموت ، ومن ثم فانهم سيقدمون على القيام بأفعال جريئة جسورة ، وعلى مواجهة مفارقات لا تطاق ، بيد أنه لا وجود لأي اجماع في النظرة إلى الإرهاب . ولا يتفق الجميع على كلمات واحدة في وصف الإرهاب ، مما تركنا في مواجهة تساؤلات تفوق قدرتنا على الرد عليها .

وأحد مظاهر الاهتمام لدى عامة الناس والقطاعات التجارية على السواء هو وجود مؤسسات تصرف بسخاء مما دفع إلى الظن بأن المنشآت الهائلة التي ظهرت على جانبي الأطلسي قد شيدت للدراسة الإرهاب . غير أننا مازلنا نتعرض للتشوش من أثر المظهر العاطفي للعنف الإرهابي ، وبكل ما يقال لتبريره عندما تقع إحدى هذه الحوادث في مجتمع حر ديمقراطي ، وتمكث بعض المؤسسات الجديدة على تجميع الإحصاءات في مجلدات وتحليلها ونشرها ، وإن كانت تبدو قليلة الجدوى ، ولا تزيد غائدها عن قائمة معلومات مرئية منسقة قد تفيد البحث . فهناك إحصاءات ميسورة للجميع تبين أن من بين ٤٥ من حوادث الاختطاف انتهى ١٨ منها بموت الرهائن ، ولا تعرفنا مثل هذه المعلومة الكثير عما سيجري في

حدث الاختطاف السادس والأربعين (التالى) • ومع هذا فان الاحصاء
الذى بين أن الارهابيين فى ٩٠٪ من الحالات قد تمكنوا من الهروب ودونه
تعرض للموت فى احداث الاختطاف ، قد أثبت بوضوح أن حادث الاختطاف
التالى ليس يبعد ، ولن يتأخر وقوعه بأى حال •

٣ - ميدان معركة الارهاب

قوام الارهاب فرق صغيرة العدد عوضا عن التنظيمات الضخمة المدعومة تدعما شعبيا قويا ، ونحن نساق الى الاعتقاد بأن الارهاب سلاح الضعفاء ، وان كان هذا القول لا يريح كثيرا ضحايا أى اعتداء ، والارهاب عبارة عن عملية قتل منظم مع سبق الاصرار ، وقد يحدث عامات ، ويهدد الأبرياء ، ويرمى الى اشاعة الخوف لأغراض سياسية . ولم يعد الارهاب هذه الأيام مجرد تهديد منعزل ، أو ظاهرة مصاحبة للمتشددين المحليين . فقد ازداد دوره كاستراتيجية دولية مستحدثة يلجأ اليها أعداء الحرية والعالم الغربى ، والحق أنه لم يعد هناك غير بقاع قليلة للغاية بمقدور الفئور أن يسافر اليها بآمن من تهديد الارهابيين . وهناك بقاع أخرى يتعرض فيها الزائر لسلسلة أخرى من المشكلات ، أى تلك المرتبطة بالانظمة الارهابية . ففي ١٩٨٣ فقدت الولايات المتحدة من أثر الارهاب الدولي علدا من الأرواح يفوق عدد من ماتوا فى السنوات السابقة مجتمعة . وإذا حللنا احصاءات ١٩٨٤ سنرى أن أربعة آلاف قد قتلوا ، وأكثر من أربعة آلاف آخرين قد جرحوا من قبل جماعات ارهابية ، من المعروف أنها تعمل فى شتى الأنحاء ، ولكن نشاطها يتركز أساسا فى عشرين دولة .

والقنابل هى السلاح المستخدم فى معظم حوادث الارهاب . وليس من الجسير تقدير سر استحسان هذا السلاح . فالقنبلة سهلة الصنع ، وسهلة الاخفاء . وباستثناء حالة أو حالتين ، فأننا نرى أن الارهابيين ليست لديهم رغبة فى الموت ، وتتمتع القنبلة بميزة واضحة ، لأنها لا تتطلب حضور صاحبها عند انفجارها ، وعلى الرغم من كل هذا فإن

للقنبلة عيبين . فالقنابل المصنوعة بالبيوت (البيتى) غير مضمونة ، ولا يستطيع التكهّن بمصيرها ، حتى اذا قسام خبراء بصنعها ، وليس الكثيرون من الارهابيين كذلك ، وأكبر جماعة تالية من ضحايا القنابل هم الارهابيون أنفسهم ، أى ما تسميهم قوات الأمن - وهى تضعر بالقبطة - بأنهم أهداف أنفسهم .

ويدعى بعض الأشخاص فى مكالمات تليفونية أنهم المسئولون عن القاء القنابل ، وكثيرا ما يزعم أكثر من واحد مسئوليته عن الحادثة الواحدة . ومعنى هذا هو صعوبة تحديد الأفراد الذين اشتركوا فى هذه العملية . وتعد هذه الصعوبة فى صالح الارهابى ، وان كان المحرضون كثيرا ما ينسبون الفضل لأنفسهم . وفى الحالات التى تطول فيها ديمومة العملية الارهابية - كما يحدث فى ايرلاندة الشمالية - يتم الاتفاق على مجموعة معقدة من البنود بين الارهابيين وقوات الأمن ، والاتصالات بين القوى المتصارعة ضرورية ، وبخاصة فى حالة الانذار التليفونى ، عندما يكون من صالح الارهابى وقوى الأمن عدم تعريض الأشخاص للخطر ، فليس من صالح قضية الطرف الأول (الارهابيين) مقتل عدد كبير من مواطنيهم . وتكرر هذا الوضع عدة مرات . فالغرض من فشل هذه العمليات هو الاقلاق والازعاج ، ولا يلزم أن تكون غايتها هى القتل . واحداث الاصابات .

وبعد أن ازداد عدد جماعات الارهاب التى تشن جريا على ما يكاد يقارب ثلث الدول التى يتألف منها عالمنا ، لم يعد من اليسير تعرف قوات الأمن على المسئولين عن أية حادثة . ومن ناحية ، يكمن حل مشكلة الحرب الارهابية فى توافر المعلومات الفعالة ، لأن هذه الوسيلة وحدها هى الكفيلة بمناهضة التهديد . وكلما ازداد ما هو معروف عن الارهاب والتنظيمات الارهابية ، ازدادت سهولة تحديد موضع التهديد ومعالجة المشكلة .

بطبيعة الحال ، هناك بعض لا يبالون كثيرا بالمعرفة ، ويفضلون وضع مسألة تأمين حياتهم بين يدى الأقدار العمياء . غير أن أغلب رجال الأعمال وأولئك الذين تتطلب مشاغلهم الأسفار سيكونون أفضل استعدادا لمواجهة هذا الخطر اذا فهموا شيئا عن طبيعة التهديد . فنحن نواجه ١٢٥ جماعة تصل فى ٥٠ بلدا أو يزيد ، ولكن هل هناك طريقة تساعدنا على التفرقة بين الارهابيين وبين ميادين معاركهم ؟ وأبسط طريقة للتفرقة هى تقسيم الارهابيين الى ارهابيين يمينيين وارهابيين يساريين فى ميدان السياسة . ولا يخفى أن اليسار تقليدا طويلا فى تاريخ الارهاب . وكبار

رجال الأعمال من ناحية ما يملكون ومن ناحية أشخاصهم أهداف مستحبة للقتال. المراد القامحا ، وللتهديدات بالابتزاز وعمليات الاغتيال ، خصوصا عندما يتذرع خصومهم بالدافع القومي ، واليمين يعمد الى اختيار أهدافه من بين الناس ذوى التنظيمات المتعاطفة مع اليسار ، وان كان هذا لا يثبت أن المؤسسات الكبرى في مأمن من التهديد ، وكثيرا ما يركز القوميون المتهوسون نشاطهم على المؤسسات الأجنبية الضخمة التي يصفونها بالاستغلالية . وربما رجع ذلك الى أن هذه المؤسسات تدغم - وان كان هذا في الخفاء - الحكومة ذات السلطة ، التي يكونون معارضين لها في المقام الأول .

وقد يكون لاتباع هذه القسمة مبرر في أوروبا ، وان كان الأمر ليس كذلك في الشرق الأوسط وما وراءه . فقد يكون ارتباطها هناك واضحاً . وقد تتبع الجماعات الارهابية بين الفلسطينيين أو في جنوب أفريقيا لغة الاشتراكية ورسالتها ، وان كان هذا الى حد كبير من باب البلاغة ، لأن غرضهم الأول قومي ، وهكذا فليس هناك ما يحول دون تقبل الجماعات الارهابية اللون من موسكو أو من الغرب . فكلما لتسكركين يحصل على مقابل للثمن الذي دفعه .

وهناك فارق واضح يمكن أن يقام اذا اعتمدنا في تصنيفنا على الأيديولوجية على نحو مختلف . فهناك تطبيقات مثل جماعة (الجيش الأحمر "RAF" وجماعة "بادر ماينهوف" في ألمانيا الغربية ، والاولوية الحمراء ، في إيطاليا وجماعة "Weathermen" في الولايات المتحدة وهي تمثل نخبة معتزلة انحدرت من أيديولوجيات الجناح اليساري ، وتعصبت لها ، وتعارض الدولة معارضة فكرية . وتختار جميع هذه الجماعات - تشبهاً مع التقاليد اليسارية الصحيحة - أهدافها من بين المؤسسات الكبرى من الرموز البارزة للرأسمالية الغربية . وفي مقابل ذلك ، يشار الى جمعية الياسك (ايتا) وجماعة F.I.R. في كويك في كندا والجيش الجمهوري الايرلندي والجمعيات المشتقة منه ، بالإضافة الى التنظيمات الفلسطينية المتعددة على أنها « جماعات ارهابية قائمة على رباط الدم » . فهذه الجمعيات لها نزعة قومية أساسا ، وليس بمقدورها الاستمرار في البقاء بغير تأييد بني وطنها . وتحصل على هذا التأييد بحكم ظروف سياسية سائدة ، عندما يتجه المواطنون العاديون - الذين لا يتصفون في أحوالهم الطبيعية العادية بالميل الى العنف - الى الاعتقاد بأن المعارضة العنيفة للدولة هي التي ستحقق ما يصبون اليه ، فالفلسطينيون مشبعون تشبعا عميقا بالأجساد بتاريخ ما أصابهم من ضيم ومتأثرون - في أغلب الظن -

تأثرا دينيا قويا ، ومن ثم فانهم سيواصلون مؤازرة المشتغلين بالصف .
وفي حالة ايرلاندا ، وبنض النظر عما سيتخذ من اجراءات للأمن ، ولم
تتبق أية وسائل لم تتبع ، فانها جميعا ستحقق ما لم تعالج مشكلتها من
جذورها .

ويعد الارهابيون الفلسطينيون وأتباع حركة ايتا و « الجيش
الجمهوري الايرلاندي » انكاسا لظروف سياسية ، وليسوا مظهرًا مستقلا
للعنف اللاعقلاني ، كما هو الحال في الألوية الحمراء ، فأهدافهم - على
ما يبدو - تتركز على أولئك الذين يناصرون «قوى الاحتلال» ، في زعمهم .
ولما كانت هاتان الكلمتان لم تحلدا تحديدا دقيقا البتة ، لذا يصح
اعتبارهم موضع تهديد للجميع ، وقد تزايد الربط بين مثل هذه الأفعال
العشوائية الموهوشة وبين أفعال جمعية « الجهاد الاسلامي » - وهو الاسم
الذي يطلقه على أنفسهم أولئك المستولون عن الاعتداءات الفظيعة التي
وقعت لقوى حفظ السلام الأمريكية والفرنسية ، واختطاف المركب الإيطالي
« اكيلي لاورو » ، وعدد وفير من عمليات اختطاف الطائرات ، ومازال
الخبراء دون اتفاق على تحديد الهوية الدقيقة لهذه التنظيمات الهلامية .
وتعني كلمتا « الجهاد الاسلامي » الحرب المقدسة من أجل الاسلام . وقد
يحيل بعض الى الاعتقاد بأنها تضم بعض الجمعيات شبه المستقلة ، التي
وهبت نفسها جميعا للدعوى لقضية الأصوليين المناضلين من الشيعة .
وتأسر أعمال الارهاب الدولية للفلسطينيين ومختلف الجمعيات الاسلامية
والأخرى الانتباه ، وتحتل العناوين الرئيسية في الصحف ، مما أدى الى
سهولة نسيان الارهابيين المحليين أو الوطنيين ، وبخاصة في غرب أوروبا
 وأمريكا اللاتينية . وتشهد احصاءات السنوات الأخيرة بشدة قاعلية هذه
الحركات . فلقد أسقط الأرمن إحدى الحكومات في تركيا . أما « الباسك »
ايتا فانها نجحت في زعزعة أركان حكومة أخرى في أسبانيا . وتمكنت
تهديدات الارهابيين في إيطاليا وإيرلاندا الشمالية إبان السبعينات من
تمزيق الحكومات في هذه البلدان .

فمنذ ١٩٧٧ ، كانت التنظيمات الارهابية الوطنية مسئولة عن موت
خمسة آلاف شخص في أوروبا الغربية ، ونجحت في تعزيز صفو العلاقات
وافسادها بين دول كان المفروض أن تكون بينها صداقات وتحالفات
وطيدة ، وتمتد المسألة الايرلاندية من مصادر التوتر المتبادل بين لندن
وواشنطن ، وأضعفت العلاقة بينهما وبين الايرلنديين ، وثمة نزاع بين فرنسا

وألمانيا حول الباسك . وفى جميع هذه الحالات ، نجح الإرهاب فى تحطيم وشائج القربى بين الدول الأوروبية المتحالفة التى تسعى للوحدة ، وربط نفسها بالولايات المتحدة فى كيان مشترك ضد تهديد السوقية وحلف وارسو .

وفى سنوات أقرب عهدا ، بزغت صورة جديدة من التهديد الوطنى الذى نكبت به مدن العالم الغربى . ويشير إليه عادة « بالإرهاب الرقيق »(*) وقد سمي كذلك لأن أصوات الاحتجاج فى المجتمعات الديموقراطية قد اتجهت نحو حماية الحيوانات ، وبخاصة تلك المستعملة فى التجارب العلمية . ووجهت « حركات تحرير الحيوان » (**) سهامها الى شركات صناعة الأدوية والمعامل الطبية ومصانع الحلوى وأدوات التجميل ، وألقيت القنابل على التجهيزات والمعدات ، وأطلق سراح الحيوانات ، وفى بعض حالات اعتدى على علماء مرموقين ، واتخذ المجرمون سلاحا حديثا للابتزاز هو الزعم بوجود أشياء تهدد بتلوث البيئة . فاذا أضفنا الى ذلك جميعيات « العمل المباشر » (***) ، التى تتبعها حركات الحفاظ على حقوق الحيوانات ، سنرى مدى ما تحدثه هذه الأفعال من تأثير ضار بالصناعة .

ويعد النشاط الإرهابى الوطنى فى أوروبا الغربية تهديدا فعليا أو سياسيا فى معظم البلدان . وتحتل أسبانيا وإيطاليا وتركيا وفرنسا وإيرلندا الشمالية الخط الأمامى ، لأن الإرهابيين قد نجحوا فى هذه البلدان فى أحداث خسائر ودمار ملحوظين ، مما أدى الى استفزاز الحكومات ، وإرغامها على حماية القانون والنظام بنشر قواتها المسلحة التى لم تعد قادرة على مواجهة تصاعد برامج هذه الجمعيات ، وفى ألمانيا الغربية وبلجيكا والبرتغال واليونان مازال التهديد الإرهابى محدودا ، وإن كان له خطورته . أما البلدان الأخرى مثل البلدان الواطنة ، فإنها تمر بتجربة إرهابية خافتة . تتصاعد تصاعدا متسجعا ، كما حدث مثلا فى حالة متطرفى جزيرة « ملوكى » (إحدى جزر الهند الشرقية) الذين احتلت أسماؤهم العناوين الرئيسية فى الصحف بين ١٩٧٥ و ١٩٧٨ . وخفت بدرجة كبيرة حدة تهديد الإرهاب الذى إبتليت به إيطاليا وألمانيا الغربية من قبل جماعة « بادر - ماينهوف » والألوية الحمراء فى أواخر السبعينات بعد جهود مفضية قامت بها الحكومة وقوى الأمن .

* Soft Terrorism.

** Animal Liberation Movements.

*** action direct.

وامتطاعت أوروبا لفترة قصيرة - على أى حال - أن تنعم بالهدوء ،
وشعرت المخابرات وقوى الأمن بالزهو لنجاحها ، ولكن سرعان ما تصاعدت
موجة جديدة من الارهاب اجتاحت المنطقة وفوجئ بها الجميع .

والظاهر أن تحالفا بوسعنا تسميته « باخوان الارهاب » قد حل
محل التهديد المنقسم على نفسه الذى فرضته فيما سبق الجماعات المنفصلة ،
التي قصرت نشاطها الى حد بعيد على الأهداف القائمة داخل حدودها .
ان شعار هذا الشكل الجديد من الارهاب الدولى هو « العنف ابتغاء
للتأثير » . وتسعى الحركة لخلق الانطباع بأن الجماعات الارهابية قادرة
على الضرب دون تعرض للقصاص . وبهذه الطريقة تتحول الفرق الصغيرة
التي عادة ما تتصف بالضعف الى تهديد مهول عندما تثبت علم كفاية
أية سلطة ووهن قدرتها ، اذا هي أرادت حماية مواطنيها من مثل هذه
الاعتداءات . وتتضمن أمثال هذه الأحداث الارهابية اغتيال الشخصيات
الهامة أو احتجاز الرهائن من أصحاب الشخصيات البارزة كالوزراء ورؤساء
مجالس الادارات وملوك الصناعة . ويتم العملية باستعمال القنابل بعد
اختيار الأهداف الأساسية كمقار الحكومة والمنشآت العسكرية والمواقع
التجارية والصناعية .

والادلة شحيحة للغاية ، وان كان ما يتوافر من بيانات قد أثبت أن
هذا الضرب الجديد من الارهاب - الذى أطلقت عليه منظمات الأمن فى
المانيا الاتحادية اسم الجيل الثالث - قد تعلم من الأخطاء التي اقترفتها
تلك الجماعات التي كان لها قصب السبق فى عالم القتل ولقاء القنابل
فى أوروبا ، فأولادهم أفضل تنظيما ، ويصلون فى خلايا صغيرة آمنة يعمد
اختراقها بأى وسيلة .

وتتسبب العلاقة الهلامية بين النواة الاجرامية لآى تنظيم من التنظيمات
التحتية والخلايا الأخرى التي قد تكون مرتبطة بأحداث التخريب فى محيط
واسع - وتتخذ مظهرا بريئا فى نشاطها - فى خلق مشكلات جسيمة
لوكالات المخابرات ، ولربما استغرق شهورا تتبع الصلات التي تربط بين
هذه الخلايا ومحورها ، والتي ربما أميط اللثام عنها ومساعد ذلك على كشف
مهام التنظيمات الارهابية ، ومؤامراتها وخدعها . وقد تصل هذه الشهور
الى سنوات .

ويتبع تيار « الجيل الثالث » تنظيما خلوييا (نسبة الى خلية)
مصبغا بحيث يربك أبرع تقنيات المخابرات . فبمقدوره التحكم والتنسيق

اعتمادا على تكوين صارم محكم مكثف بذاته . وقد ساعد ذلك على انجاز أتباعه لمهمتهم ، وهم يشعرون بالاطمئنان الى الافلات من العقوبة في الأنظمة الديمقراطية التي تحرص على احترام حرية الفرد ، ويخضع فيها كل شيء للقانون . اذ تخضع للقانون سلطات المخابرات وأجهزة الأمن ، وقدراتها على التدخل بطريقة سرية وتحتية لتتبع الجمعيات السرية . وهذا يفسر - من جانب - لماذا بدأ سجل أجهزة الأمن - وبخاصة في ألمانيا الغربية - قاتما للغاية . ففي يناير ١٩٨٥ ، اعترف علنا الدكتور هوبرت هيلبرويك رئيس الجهاز المضاد للإرهاب في ألمانيا الغربية : « سأكون صريحا ، لسنا جميعا ، لا الشرطة ولا النيابة العامة ، ولا نحن في موقف يساعدنا على التحكم في الجيش الأحمر RAF » .

ان طبيعة « اخوان الارهاب » ذاتها هي التي تكمن عند جذور المشكلة . اذ يبدو أن خمس جمعيات - على أقل تقدير - قد ألقت تحالفا ، وفي يناير ١٩٨٥ ، أعلنت جماعة RAF وجماعة العمل المباشر AD أنها قد كونتا فريقا لضرب أهداف حلف شمال الأطلسي « الناتو » وارتباطات القوات الفرنسية بهذا الحلف . وفي الوقت نفسه قام فورساس بوبولاريس في ٢٥ ابريل بهجوم بالموترار على الوحدة البحرية للناتو الراسية في ميناء لشبونة .

وفي خلال شهر ، التقى رؤساء الشرطة وخبراء مقاومة الارهاب في مبنى مجلس وزراء الجماعة الأوربية في « بروكسل » ، وتركزت مهمتهم على استحداث نظرة مشتركة الى هذا الوباء الجديد المتمثل في الارهاب الأوربي Mauro-terrorism ، ولم يعد المخلصون من ألمانيا الغربية يقفون بمفردهم . اذ انتهى شركاؤهم الأوربيين الى الاجماع على القول بأنهم جميعا غير مجهزين لمعالجة المشكلة .

ولم يلق رؤساء الشرطة وأجهزة الأمن دائما المساعدة من رؤسائهم السياسيين . وكان جان مارك رويان وناتالي ميتينون من بين مؤسسي حركة « العمل المباشر » . وقبضت الشرطة الفرنسية عليها في سبتمبر ١٩٨٠ ، ولكن أفرج عنهما بعد ذلك بسنة بعد صدور عفو عام صلب عليه الرئيس ميتران بعد نجاحه في الانتخابات . وأثار العفو العام سخط الشرطة الفرنسية آنثو . ولقد أسف الرئيس الفرنسي والإدارة الفرنسية فيما بعد على صدور هذا العفو ، وبمجرد الافراج عن ميتينون ورويان شرعا في سلسلة من أعمال السطو على البنوك في شتى أنحاء فرنسا بحجة إعادة تمويل جماعة « العمل المباشر » ، قبل هروبا الى بروكسل ، وهي

ملاذ آخر يتماثل في حرمة ! ولقد اختاروا بلجيكا لأنها كانت آنشد ملاذا
آمنا للارهابيين . ولقد بدأ الشخص الارهابي في نظر الحكومة البلجيكية
البصيرة كشخص يعتدى على أهداف محلية . أما اذا هاجم أهدافا من بلاد
أخرى فهو يعد محاربا حرا ، ومن ثم فينبغي حاولت الحكومات الأوروبية
الأخرى حل المشكلة ، رقصت بروكسل « الانحشار » فيها ومنحت الحصانة
عن العقوبة لأي شخص ما دام يسلك سلوكا حميدا ، ومن هنا كانت
لبى منينيون ورويان فرصة كبيرة للالتقاء في بروكسل هما والجماعات
الارهابية . وهناك ولد التحالف الجديد .

وفي يونيو ١٩٨٤ ، سرقت كمية من المتفجرات البلاستيكية يزيد
وزنها عن ثمانمائة كيلو جرام من أحد المواقع ببروكسل . وأستغللت
لضرب أهداف في ألمانيا وفرنسا وبلجيكا . وهناك أيضا اتفاق يرمي إلى
اتباع استراتيجية مشتركة ضد الأهداف الارهابية ، وتمولها مساعدات
من التكتلات الأمريكية المشتركة في ميدان الدفاع ، التي تحتل الصدارة بين
الأهداف المراد اصابتها . وكانت شركات Honeywel, Man, Litton
من الشركات المختصة بالتكنولوجيات العليا ، وتركز الانتباه عليها منذ
وقت باكر في عمليات لقاء القنابل الجديدة .

وجنت بلجيكا في هذا المثل أيضا ثمرة سذاجة حكومتها ، اذ كان
من بين أهم التطورات الشديدة الادهاش ظهور الخلايا الشيوعية المحاربة
C.C.C. ذات المخططات الارهابية . وكان أول ما دمرت هو أهداف الناتو
مثل خطوط أنابيب البترول ، وقواعد التمويل . وفي وقت أحدث ،
هاجمت « الخلايا الشيوعية المحاربة » شركات تيون ومان وهونيول في
بلجيكا . وعلى الرغم من اكتظاظ الأهداف المغربية في بلجيكا اعتمادا على
وجود قيادة الناتو بها وقيادتها العسكرية وجميع مكاتب البعثات الأوربية ،
وهي جميعا تقيم في مواقع حول العاصمة ، فان الشرطة لم تتوافر لها
التسهيلات ولا الخبرة التي تساعد على التعامل ومثل هذه الأحداث
الطائشة .

وافتقر الايطاليون أيضا إلى الحصافة . فلقد عرفت أجهزة الأمن
عندهم منذ وقت مبكر (١٩٨٠) بالروابط بين الأفراد الباقين على قيد
الحياة من « الألوية الحمراء » وجماعة « العمل المباشر » الفرنسية وجناح
« الجيش الأحمر الألماني » . واشتركت روما في معرفة هذه المعلومات
هي والسلطات المستولة في باريس وبون . ولم تمر باريس وبون بهذه
المعلومات أي اهتمام باعتبارها صادرة من مصادر « مدعورة » . وفي وقت

متأخر (فبراير ١٩٨٥) ، ازدادت انتقادات الإيطاليين للفرنسيين . إذ وجه وزير الدفاع الإيطالي جوفالي مبادوليني لوماً شديداً لفرنسا لأنها آوت الإرهابيين ينتمون الى جملة أجناس ، ومن القادرين على توجيه ضرباتهم في أي مكان في أوروبا ، على أن هذا الغضب كان يخفى وراءه شيئاً من التفاف والخبت . ففي وقت مبكر يرجع الى السبعينات عقدت الحكومة الإيطالية التي كانت قائمة في ذلك العهد صفقة حساسة وسرية للغاية . هي والارهابيين الفلسطينيين . إذ وافق الفلسطينيون في مقابل المصونة المالية والسماح باللجوء السياسي على عدم الاعتداء على أي أهداف في إيطاليا أو طائرات شركة « أليتايا » (الخطوط الجوية لاطالية) . والتزم الإيطاليون بواجباتهم في الصفقة ، أما الفلسطينيون فانهم لم يلتزموا بها . ثم تسربت أنباء هذا الاتفاق بخلافها ، مما أزعج الادارة الإيطالية .

والارهابيون الأوروبيون Euro terrorists . توافقوا لاثبات أن حركتهم لم تتعرض للهزيمة ، وربما كان هذا هو السبب الأساسي وراء أحداث اللقاء القنابل المتلاحقة . وليس هناك أي اثبات يوحى بأن حملتهم موجهة من موسكو ، وإن تعذر انكار أن الصليبات الارهابية تخدم الغايات السوفيتية المضادة للناثو ووحداته البحرية .

لقد حول الارهابيون الأوروبيون أوروبا الى أرض معركة ، وازداد غيث الفساد فيها من أثر الجنايات الدولية المديدة والحلايا السرية التي اختارت العمل هناك . ويتحيز الارهاب الدولي بثلاث خصائص . وكشفتي الصور الأخرى من صور الارهاب فانها تتجسم في شكل فعل قد يكون عملية اغتيال أو اختطاف أو حرق أو اغتصاب . وهذه الأفعال إجرامية أساساً . وثانياً - يخضع الارهاب الدولي لواقع سياسية . إذ تلجأ أية جماعة سياسية متطرفة بعد اقتناعها بعدمالة قضيتها الى العنف ، ومن ثم فانها تفتش اعتداءات يظهر فيها قتل الأبرياء بمظهر الغاية التي ترمى الى أحداث ضدمات ضاغطة . وأخيراً فان الارهابي لا يكتفى بالعمل داخل الحدود القومية ، ولكنه يتجاوزها ابتغاء جذب الانتباه لقضيته .

ويتبادر الفلسطينيون الى أذهاننا على الفور عند أي حديث عن الارهاب الدولي ، ولكن لماذا يختارون أوروبا بالذات ؟ وفي الواقع ان أوروبا تعد من الناحية اللوجستكية منطقة مثالية لثل هذه الحملات الارهابية . فلما كانوا غير قادرين على النفاذ داخل اسرائيل - وهذا هو الهدف الأول للفلسطينيين نظراً لكفاية الإجراءات المناهضة للارهاب ، ودقتها ، فانهم رأوا أن أوروبا - من الناحية الجغرافية على أقل تقدير - هي الشيء التالي

للأفضل . فهناك جاليات فلسطينية كبيرة تعيش في أوروبا ، بمقدورها
التزويد بالمساعدة وأماكن للاختباء . وأوروبا مكثفة ومحكمة جغرافيا ،
وفيها أفضل وسائل انتقال واتصالات سلكية ولاسلكية ، كما أن الحركة
بين حدود دولها ، وبخاصة عن طريق البر غير معقدة نسبيا . وفيها
وفرة من الأهداف الرمزية الجذابة كالمؤسسات اليهودية والأمريكية
والشخصيات الهامة . وتتكاثر فيها المؤسسات التجارية والسفارات التي
تسمح بملئ اختيار أوسع لانتقاء الهدف المرغوب . كما أن هذه الوفرة من
المؤسسات تصعب عملية الحماية والدفاع ، وأخيرا ، وهذا هو أهم جميع
العوامل فإن العملية الدعائية أشد بريقا وكثافة في غرب أوروبا وتفوق
أى مكان آخر في أوروبا ، باستثناء أجزاء معينة من الولايات المتحدة . فأوروبا
قادرة على تقديم عروض فورية في أجهزة الجرائد والمجلات والراديو
والتلفزيون ، الذى يشغل المنطقة بوفرة .

وفيما يتعلق بالإرهابى الدولى ، فإن الناحية الدعائية هي أهم
عامل تكتيكى يعمل له كل حساب ، وبمقدور أجزاء أخرى من العالم أن
تقدم بعض هذه الميزات ، ولكن غرب أوروبا قادرة على تقديم الشيء الكثير .
وهذا هو السبب الذى زاد من مغنطيسيتها للإرهاب الدولى ، وربما باستثناء
لبنان ، فإن المسئولين من رجال الأعمال الغربيين يشعرون بالخطر فى
أوروبا أكثر من شعورهم به فى أى مكان آخر . وبوسع الإرهابى الدولى أن
يرتكب إلى عون تلك الأنظمة التى هى على استعداد للإساءة إلى امتيازاتها
الدبلوماسية بتقديم المساندة اللوجستية . إذ تصل بعض السفارات
المثثة لأنظمة خارجة عن القانون كليبيا واليمن الجنوبية وإيران وكوبا
كمول لمثل هذه الجماعات الإرهابية . ولقد شاهدت أوروبا أيضا أكثر
من نصيبها من العمليات الإرهابية التى تدار بمعرفة بعض الدول ، فلقد
حدثت محاولة لاغتيال قداصة البابا ، وقد غوى فى الدعاية لها ، ورغم
ما أحاطها من تشوش ، فإن هناك أفعالا قامت بها بلغاريا والاتحاد
السوفيتى مازلت تحتاج إلى مزيد من الشرح .

ولقد استخضمت إيران وسوريا وليبيا - بوجه خاص - هذا النوع
من الإرهاب الدولى لاسمكات المنشقين السياسيين المنفيين ، وتهديدهم ،
ولحمة احتياجاتهم السياسية الحارجية ، وليس لدى السوريين إلا رغبة
واحدة لانشاء دولة فلسطينية ، ولا تقع لذلك لهم ، بالرغم من مساعدتهم
لحركة التحرير الفلسطينية . ولدى دمشق طموحات لتحقيق فكرة سوريا
الكبرى فى الشرق ، وتمثل تكاملا تشترك فيه لبنان وسوريا والأردن
وفلسطين ، أى كما كان الحال قبل ظهور إسرائيل والعراق والكويت

ويضيف بعض الملاحظين الى هذه الوحدة قبرص أيضا . وتعتمد سوريا على جماعتها الارهابية المفضلة (الحزب الاشتراكي القومي السوري) لتحقيق اغراضها . ويناصر الفكرة السورية الارهابي أبو نضال الأشهر من نار على علم ، وهو الذي أشرف على تنفيذ فكرة مذبحتي مطارى روما وفيينا في ديسمبر ١٩٨١ ، وحادث أكيلي لاورو والكثير من الحوادث الأخرى . وهكذا يجتنب تواجد الارهابيين في أوروبا والسفارات المتعاطفة عليهم وكالات المخابرات ويدفعها الى اتخاذ الاجراءات المضادة للارهاب . ولقد نشط الاسرائيليون بوجه خاص فشنوا حربا انتقامية ضد الفلسطينيين ، وان كان هذا قد حلت في الشوارع المزدحمة والطرق العامة في عواصم أوروبا .

وتستلزم بعض الدول الارهاب كاسلوب من أساليب السياسة الخارجية لمواجهة أية قوة معادية ، ولقد خلقت حرب الخليج حربا ارهابية بين ايران والعراق . اذ كانت الشركات الأوربية التي تورد السلاح للعراق هدفا لهجمات الارهابيين الايرانيين . وواصلت ايران مشاجراتها والولايات المتحدة بالقاء القنابل على العقارات والمنشآت الأمريكية في أوروبا . وهكذا غدا الارهاب تقنية مناسبة للحرب عند الضعفاء . فلا يخفى أن ليبيا ليست متكافئة والولايات المتحدة ، وليس بمقدورها أن تتحدى القوة المتفوقة للولايات المتحدة في أية حرب تدار بطريقة تقليدية .

ويظهر الارهاب في أشكال وأحجام متعددة ، وبلاستطاعة المشور عليه في أى موضع من العالم . فالعنف الثوري في الشرق الأوسط - سواء أكان فلسطينيا أو اسلاميا أو يرمي الى خلق الجامعة العربية - يلجأ روتينيا الى الارهاب كامتداد للحرب باستعمال وسائل أخرى ، فاللجوء الى الارهاب ظاهرة تظهر في كل مكان ، كما تشهد بذلك على سبيل المثال حالة الصراع اللبناني (التي بلغ عمرها الآن ١٢ سنة (١٩٨٧)) . ويسود الارهاب بوجه خاص في الديمقراطيات الليبرالية حيث يستغل الارهابي على نحو حقير للغاية المميزات ذاتها التي تتميز بها الدولة التي يسعى لتدميرها . ويطلق الارهاب في الأنظمة الديكتاتورية الضعيفة أو الأنظمة الشمولية عديمة الكفاءة . وفي الوقت الذي كتب فيه هذا الكتاب ، ذكر أن الرئيس بينوشيه (رئيس شيلي) محاصر من قبل الارهابيين الوطنيين المعارضين لنظامه الصارم الذي يقتصر الى الأهلية والكفاءة ، ولا يحدث الارهاب في الأنظمة الشمولية ذات الكفاءة مثل الاتحاد السوفيتي والكثير من بلدان المعسكر الشرقي ، ولا يعني هذا عدم تعرض الروس لهجمات الارهاب ، فاذا راعينا ما تضمه روسيا من خليط غير موفق

من القوميات والإعراق ، فإنه لن يكون من المستبعد حدوث قلاقل فيها .
تستثير العنف السياسى ، على أن موسكو تتحكم فى أجهزة الإعلام وتتحكم
بكل ذقة فى البيانات والأخبار الداخلية التى يسمح بتصديرها للخارج .
ومن هنا تبدو مثل هذه الأحداث وكأنها لا تحدث هناك على الإطلاق .

وتعمل الجماعات الوطنية والبيئية (التى تنتقل من دولة لأخرى)
فى نطاق شبكة من الاتفاقات والتفاهات (التى تربط بين الجماعات
برباط وثيق) وتساعد على تقديم العون فى مثل هذه العمليات . وربما
ما كان أعظم من ذلك شرا هو الدلائل التى تثبت حدوث اتفاقات بين
جماعات الارهابيين والمستغلين بالجريمة لتيسير قيام العمليات الارهابية .
وتجرى مثل هذه العمليات المشتركة بخاصة فى أحداث الابتزاز والسطو
على البنوك . وفى السنوات الأخيرة ، حدث ما يقرب من ثلاثة أرباع
الأعمال الارهابية فى أوروبا الغربية والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية .
ومن بين هذه الأحداث ، تعد أوروبا الغربية هى أنشط بيئة للارهاب ،
ويرجع ذلك بكل بساطة الى جغرافيتها ومواجهتها الفريدة للنشاط
الارهابى المخطط بحيث تشترك فيه جملة جماعات ارهابية ربما انتمت
الى بقاع مختلفة .

ثانيًا: التمسديد

٤ - سيكلوجية الارهاب

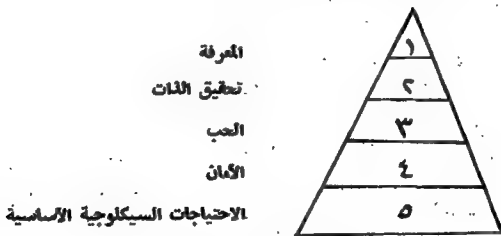
ليس الارهاب منتشرًا ، ولكنه موجود بوفرة أكثر مما يعتقد . فالارهابيون يقتلون ويشوهون الآخرين ويهدبونهم . وقد يكون ضحاياهم أطفال احدى المدارس أو حتى المسافرين ، مثلما حدث في روما وفيينا وكراشي ، أو في رحلات سياحية على أكيلي لاورو ، أو من أقطاب الصناعة ذوى الحيتية ، وهم في طريقهم من دورهم الى مقر أعمالهم . فقد يكون ضحية الارهابى أى انسان . وعلى الرغم من أن رجل الأعمال ليست له هوية سياسية معينة تميزه ، الا أن هذا لن يحول دون اختطافه أو تشويهه أو تزيقه اربا .

وفى المواقع التى يحدث فيها الارهاب فانه يصب الى مهاجمة قواعد احتياجات الأمان والسلامة فى البلد . وما لم تشبع هذه الاحتياجات فان الشعب سيلقى نفسه يحيا فى حالة من الهلع الدائم من الارهابيين ، وفى حالة نفور وكراهية للسلطات العاجزة عن حمايته . فاذا لم يشعر الناس بالأمان ، فانهم لن يتمكنوا من النهوض بأنفسهم كافراد ، ولن يحققوا ذاتيتهم وامكاناتها الحقة . وهناك مثال كلاسيكى حدث فى أعقاب التفارقات الجوية الأمريكية على ليبيا . اذ خشى كثيرون من الأمريكيين النار اذا هم ذهبوا الى أوروبا ، ومن ثم آثروا الغاء أجازاتهم . ولقد تنافى ما قاموا به مع العقل ، لأن تعرضهم لأذى حادث اربابى كان بعيدا بقدر كاف ، كما أن من قاموا باجراء جميع أنواع الاحصاءات الوهمية كانوا من المفرضين . ولكنهم آثروا الابتعاد ، وأدى هذا بدوره الى احداث شلل فى صناعة السياحة الأوروبية ، وتهديد سبل العيش عند

الكثيرين . وعلى الرغم من أن العقيد القذافي لم يك قادرا على التكهن بالآثار التي ستحدثها تهديداته ، إلا أن هذا الحادث كان درسا عمليا نافعا في الحرب السيكلوجية .

وإذا تركنا ردود فعل الصفوة جانبا ، سنرى أن الارهابيين لن يستطيعوا الاستمرار في البقاء بغير تأييد من أهل البلد الذي يحدث فيه الارهاب . ويكتسب هذا التأييد لمجلة أسباب ، ولكنه يعد - من ناحية - استجابة. لمؤثرات سياسية واجتماعية معينة . ويذهب الناس العاديون الذين لا يعدون من بين المتعاطفين للعلماء على الاطلاق الى الاعتقاد بأن رسالة الارهابيين ترتكز الى الظن بأنه لا شيء يحصى مصالحها غير جانب من المعارضة العنيفة . - ومن الأمثلة المؤيدة لذلك الاستقطاب السياسي الذي حدث في جنوب لبنان وما تبعه من ظهور جماعة الجهاد الاسلامي على المسرح الدولي .

وترمى الحرب السيكلوجية أساسا الى التأثير في « قلوب المواطنين وعقولهم » . وإذا استعملنا رطانة السيكلوجيين فاننا سنقول أن هذه الحرب ترتبط بما يدور في خلده الناس ، وترتبط بالمشاعر (وفيما يشعر به الناس) . وهذا يؤثر بدوره على سلوكهم ، وعلى فريق من المجتمع بالتبعية . ولنفحص هذه المسألة بشيء من التفصيل . ان الارهاب يهدف الى اضعاف الثقة التي يشعر بها المواطنون تجاه مقدرة الحكومة القائمة على توفير بيئة آمنة بقدور الناس أن يحيوا في ظلها حياة هانئة دون خوف على ارواحهم أو سبل عيشهم . وهكذا ينصب الارهاب على الثقة . انه هجوم على معنويات المواطنين ، ويعمل في مستوى انساني أساسي ولقد صور عالم النفس ابراهام ماسلو فكرة مراتب الاحتياجات النفسية على النحو المبين في الشكل الآتي :



شكل (1) مراتب الاحتياجات عند ماسلو .

فما لم يتم اشباع الحاجات الأساسية المبينة في قاع هذه المراتب ، وبخاصة الأمان والسلامة ، سيتعذر على الإنسان التطلع للقيام بنشاط أسمى مثل اكتساب المعرفة والحالة العظيمة الأهمية الخاصة بتحقيق الذات التي يشعر فيها الفرد بالتناغم هو وبيئته ، ويحقق فيها إمكاناته كاملة .

وينزع علماء النفس تقليديا الى تصور انحصار الوظائف الانسانية في ثلاث مهام : التفكير والشعور والفعل . ويمكن جانب الشر في الارهاب في كونه يؤثر في نطاق « المشاعر » عند الفرد ، والحق أنه يستند الى تصور احداث الحد الأقصى من التأثير الشعوري كالشعور بالألم والاشفاق على الضحايا والشعور بالغضب من السلطات لأنها تسمح للإرهابيين بممارسة عملهم . وبطبيعة الحال ، ان مفتاح احداث مثل هذا التأثير في الشعور يجيء من القيمة التأثيرية لأجهزة الاعلام ، ونظرتها لما قام به الإرهابي .

وفي الحرب السيكلوجية ، من المهم تحديد هوية الشعب المستهدف . ولا يعني هذا مجرد فهم طبيعته ومعتقداته وقيمه ... الخ . وانما يعني أكثر من ذلك معرفة مخاوفه ومسببات قلقه ونقاط ضعفه والمواطن الحساسة والمعرضة للخطر من تكوينه . وما أخفق المستولون في تقديره - في حالة جماعة الجهاد الاسلامي على سبيل المثال - هو أن المتطرف الأصولي الاسلامي لا يمثل أكثر من أقلية صغيرة في معظم المجتمعات الاسلامية (وإيران استثناء في هذا المقام) ، وأنهم يجندون لهذه المهمة . والخوف هو أيضا مفتاح موقف الأصوليين من غير المسلمين . فكلما ازداد ادراكهم للتهديد ازدادت تبعاً لذلك شدة عدائهم .

وأيا كانت دوافع الإرهابيين ، فإنهم يختارون كهدف لهم فئة بالذات يركزون عليها تهديدهم العنيف . ويعتمد هذا عادة على أسس جغرافية ، كالأفراد الموجودين في مكان محصور (مسرح أو سوق أو متجر أو طائرة) . وهؤلاء هم الضحايا من الدرجة الثانية ، أما الضحايا من الدرجة الأولى ، يعني المواطنين عن بكرة أبيهم ، فإنهم يكونون هدفا للتهديد من خلال التأثير عليهم بواسطة أجهزة الاعلام . ويمكن جوهر تصور الإرهابي لنور الخوف المحيط بالارهاب من اعتقاده أن لا أحد سينجو مما سيجرى ، وأن هذا الموقف شبيه برقصات الموت عند البدائيين (رقصة الكابري) . ففي صيف ١٩٨٥ ، قامت طائرة T.W.A. (طلبة ٨٧٤) بالتجليق بالمتحجرين فيها الذين لا حول لهم ولا قوة فوق البحر المتوسط بعد أن اختطفها اثنان من المتطرفين الشيعة . وعاشت

الولايات المتحدة بعد ذلك سبعة عشر يوما تعاني من أبشع صنوف الاذلال حتى أطلق سراح آخر رهينة من هؤلاء الرهائن .

ومن بين أهم الملامح الهامة عن ازدياد النشاط الارهابي في السنوات الأخيرة الزيادة الحادة في أحداث احتجاز الرهائن . وكثيرا ما يكون ترتيب ضحايا هذه الأحداث تنازليا على الوجه الآتي : مواطنو الولايات المتحدة - فرنسا - المملكة المتحدة - ألمانيا الغربية - إيطاليا ، ويمثلون جميعا أكثر من نصف هذه الأحداث . واليوم يحتجز الرهائن باتباع إحدى السبل المتنوعة الآتية : إما أن يكون الرهينة شخصا واحدا ، كما يحدث في أحداث الاختطاف ، أو تكون الرهينة مجموعة من الأفراد كما يحدث في حوادث اختطاف الطائرات . غير أن جميع هذه الحالات تشترك فيما تتعرض له من المعاناة من أنواع شتى من المشكلات السيكولوجية ، ابتداء من التوتر الذي قد يؤدي الى حدوث نوبات قلبية الى حدوث حالات استهواء (أو غرام) بين المختطفين والمحتجزين بمضى المدة .

وينقسم الرهائن لوليا الى ثلاث فئات . أولا - هناك الشخص ذو الحيشة الذي يصبح هدفا لجماعة ارهابية بالذات ، والذي يختطف إما من أجل الدعاية السياسية للقضية ، أو بقصد المطالبة بفدية كبرى (وربما للغرضين معا) . وفي بعض حالات ، قتل أمثال هؤلاء الضحايا في المراحل الباكرة ذاتها ، ربما من قبيل الثأر ، أو للحصول على ميزة سياسية . وكثيرا ما يكون بقاء الضحية على قيد الحياة أئمن وأهم في نظر الجماعة الارهابية ، وإن كان الموت قد يظل هو الخاتمة المحتومة ، كما حدث في حالة الزعيم الايطالي « الديمورو » ، اذا رأى الارهابيون أن قتله سيحقق أغراضهم .

والفئة الثانية من الضحايا هم أولئك الذين يقبض عليهم في موقف مخطط ، ويحتجزون كرهائن ، لهم فائدة خاصة ، والمثل الكلاسيكي لذلك هو المسافرين في أية طائرة تتعرض للاختطاف ، الذي شاء سوء طالع أن يوجد في المكان الخاطئ وفي الوقت الخاطئ . ولا تزيد قيمة الضحية في نظر الارهابيين حينئذ عن كونه أحد الأدميين الذين وقصوا في قبضتهم ، أما هويته فلا أهمية لها . وعلى الرغم من ذلك ، فإن الرهينة من هذا النوع معرض للخطر ، وقد تنتهي حياته نهاية مأسوية . ولقد قتل أحد الموظفين الأمريكيين بطريقة وحشية للغاية في حادث اختطاف الطائرة T.W.A. في بيروت ، ولكن ربما أمكن الحاجة والقول بأن هذا الرجل كان من وحدة القوات الخاصة وله قيمة خاصة . غير أننا اذا رجعنا الى مثل آخر سنرى أن المستر « ليون كلينجهوفر » ليس له أية

قيمة خاصة . انه مجرد راكب على « أكيلي لاورو » قتله الارهابيون كوميثلة لاستعراض عضلاتهم ، كما يفترض . ولقد أثبتت هذه الحادثة على وجه الدقة كيف تخفق مختلف الثقافات في كثير من الأحيان في تقدير كيف سينظر الآخرون الى مسالكهم ، وحدث هذا في صورة وحشية للغاية - فلا يخفى أن أغلب الناس قد أدركوا أن « ليون كلينجهوفر » قد أختير للقتل بحكم كونه معوقا ، وليس لأنه يهودى ، ولقد بدا في نظر الارهابى مجرد رجل يستعمل كرميا للمقربين ومن العجائز الذين لا يرجى منهم أى نفع ، غير أن كونه معوقا هو الذى أثار غضب المجتمعات الغربية . وقد أضفى ذلك على جريمة القتل مظهرا آخر جعلها تبدو عملا وحشيا فظا .

والفئة الثالثة للأحداث يختار فيها الضحية باعتباره فريسة ناعمة ومربحة ، ولا تتبع موقفا مخطئا عاما . وتنزع هذه الحالة الى الاقتران بالأنشطة الاجرامية أكثر من ارتباطها بالأنشطة الارهابية ، عندما تكشف حادثة سرقة مصاحبة لها . وفي الحق أن هذه الناحية تقع خارج نطاق كتابنا ، وأن كان من المهم أن نشير الى أنه لما كانت التكنولوجيا قد ساعدت على سرعة استجابة قوات الشرطة ، لذا لا يستبعد مصادفتنا ازديادا في اقتران أحداث الرهائن بالجرائم .

وعندما يحتجز الرهائن فانهم يوضعون في موقف مثير للتوتر وشديد الأذى وعظيم التعرض للخطورة . وفي الوقت نفسه ، فإن احتجاز الرهائن من المواقف الشديدة التوتر التى تضنى قدرات وموارد حتى أكثر الحكومات براعة واقتدارا ، ويستجيب الآدميون لمثل هذه التجارب المضنية استجابة يمكن حصرها في أطوار متعاقبة ، وتعتمد حالة استجابة الضحية على طبيعة الحادثة ، وهل هي حادثة لقاء قنابل ، أم اختطاف طائرة ، أم محاولة اختطاف شخص ما ؟ وهكذا ، على أن الأفراد أصحاب الدراية بأوجه الاستجابة يكونون أقدر بلا ريب على مواجهة الموقف بحكم قدرتهم على النظر الى هذه التجربة نظرة عقلانية ، وبذلك يحتفظون برباطة جأشهم ، بدلا من الاستسلام وترك التجربة تسحقهم .

وقد اقتنت معظم دراسات تجربة الضحايا بنظرية ما يحدث في حالات الاغتصاب ، اذ يتماثل في كثير من النواحي حدث القنبلة هو وحادث الاغتصاب . ففي البداية ، يتعرض الضحية على حين غرة للعنف ، غير أن هذه الحالة لا تستمر عادة أكثر من فترة وجيزة . وترتبط أغلب ردود فعل الضحية بكيفية مواجهة ما سيحيى فيما بعد . أما حالات

اختطاف الطائرات أو الحصار ، واختطاف الأشخاص . فأنها على تقيض ذلك من المواقف المتتمة التي قد تقوم أساليب وشهور ، بل وسنوات . وفي هذا المقام يصح القول بأن هناك جانباً مشتركاً بين الرهائن والسجناء ، سواء أكانوا من المجرمين أو من أسرى الحرب ، باستثناء أوجه وهو أن الاحتجاز كرهينة يكون عادة أمراً غير متوقع البتة .

ولنتخيل نموذجاً تعميمياً لضحية من ضحايا حادث إرهابي طال أمده ، وسنعمد كمثال لنا على ما حدث عند حصار الإرهابيين لأحدى السفارات . وبدأ الحادث عندما أعلن الإرهابيون عن شخصيتهم وذكروا أن هناك تغيراً سيطراً على الأوضاع المعتادة . ويحيى رد الفعل الطبيعي لأولئك المتعساء الذين شاء سوء طالعهم أن يكونوا داخل المبنى - كزوار أو موظفين - فقد أصبحوا الآن جميعاً من الرهائن ، يحيى في شكل عدم تصديق أنفسهم البتة . ربا لها من فترة عصيبة ! . وإذا استعرضنا مصطلحات علم النفس سنقول أن مشاعر من قاموا بعملية احتجاز الرهائن تكون في هذه الآونة « مشدودة » فهم يشعرون بالفرع ، رغم سرعة إفراز غددهم للأدرالين ، ورغم شدة اضطرابهم . فهم أشبه بحيوانات حبست في ركن من الأركان ، على استعداد للقتال حتى الموت ، وعلى استعداد لقتل من يتحدى سلطانهم وغايتهم .

ويساعد احتفاظ الرهائن يهدوء أعصابهم على عدم تعريضهم لخطر القضاء عليهم . ولربما عانى بعضهم من إصابات ربما زادت من آثار البصمة . والهروب عادة مستحيل ، إذا كان الإرهابيون قادرين على إحكام قبضتهم . وتتدخل بعض مؤثرات أخرى . إذ كثيراً ما يدرك الضحايا المواقف بطريقة مختلفة وكانهم في حالة تخدير ، بعد أن أصبحوا بفتة عاجزين عن التحكم في مصائرهم ، وكثيراً ما يستعمل مصطلح *idiocide* للدلالة على حالات الشعور « بموت النفس » . وإذا استعملنا عبارات مبسطة قلنا أن التضحية يشعر بأنه قد وقع في قبضة من هو أضخم منه وأقوى وأفضل تسليحاً ، وأنه قد الحق به الأذى واعتدى عليه . فلقد اقتحم أحد الناس حياة هؤلاء الضحايا وأمسك بزمام مصائرهم . ويشعر الرهينة من أثر مثل هذا الاعتداء بأن قوته قد انهارت ولم تمد في حالتها الطبيعية ، وأنه قد ازداد حلماً ، وكأنه قد طرح أرضاً بعد ضربه بهراوة غليظة ، ويشعر بهبوط مكانته درجتين فيما يسميه علماء الاجتماع بسلم التسديد (*) ويرجع الكثير مما في هذا الطور من حالات انكار وعلم تصديق

الى ما يقوم به المخ من قمع طبيعى للمنبهات البيئية ، التى اذا لم تتم السيطرة عليها ، فانها قد تتسبب فى تعرض الفرد لحالة رد فعل توترى شديد ، انها شئ أشبه بالتخدير الطبيعى ، وتشبه من جملة وجوه المشاعر التى يشعر بها من أخطر وفاة عزيز لديه ، ولولا وجود هذا العنصر المخدر ، لأصبح الموقف صعب الاحتمال ولا يطلق .

وبعد هنية تستقر الأحوال بقدر ما تسمح به الظروف فى مثل هذه المواقف . ويسيطر الارهابيون على الوضع ، ويجرون اتصالات بالجهات المستولة خارج الطائرة . ويميل الرهائن الى الاعتقاد بأنهم لن يتعرضوا للقتل ما داموا يطعمون محتجزهم . ويصف بعض الخبراء هذا الطور بأنه حالة التحرر من الواقع . فقيه يحاول الشخص الابتعاد عن ادراك الواقع بشغل عقله بأشياء أخرى كمد الوحدات المكررة فى زخارف ورق الحائط ، على سبيل المثال . ولا تستمر هذه الحالة طويلا ، لأن الواقع سرعان ما يوقظ الضحية من سباته ، فيضطر الى تكيف نفسه واقعيا والموقف الحرج الذى وضع فيه . ويصحب هذه الحالة دائما شعور بالايجاب عندما يشعر الرهينة باليأس المطلق من الموقف .

ويتوقف الكثير مما يجرى بعد ذلك على حل استطاع الرهينة التحقق من خاطفيه ، وهل أمكنه أن يتعاطف معهم ، أم أنه نفر منهم نفورا مطلقا ، وبذلك عزز هويته كطرف معتمد عليه . وفى الحالة الأولى يكون الرهينة قد اتبع الأعراض الشهيرة « بأعراض استكهم » . ولقد كتب الكثير عن هذه الحالة ، وقد ظهر هذا المصطلح فى أعقاب حادث غارة على أحد البنوك فى السويد ١٩٧٣ . ولم يعرف أى شئ عن هذه الغارة الا بعد اندلاعها ، وهى فى مرحلة غليانها ، وأعقبها فرض حصار . وفى هذه الأثناء نمت الرهائن مشاعر تعاطف تجاه محتجزهم ، لأنهم أثبتوا كرم أخلاقهم عندما سمحوا لهم بالاستمرار فى البقاء على قيد الحياة ، وشعروا فى الوقت نفسه ببعضهم للشرطة ، وبأنها عدوهم الحقيقى .

ويتعين النظر بعين العناية الى هذا المثل الذى حدث فى استكهم ، ككل الأعراض التعميمية والسيكلوجية التى تأمر خيال العوام ، ويصفها علماء النفس بأنها Survival Identification Syndromes

وهى لا تحدث فى جميع الأحوال . والظاهر أنه درجة العزلة ومدة الاحتجاز وما يحدث من تفاعل بين الرهائن ومحتجزهم ، من العوامل المؤثرة على مقدار نمو هذا العرض . وكثيرا ما ينمى الرهائن مشاعر موجبة تجاه محتجزهم . وفى الوقت نفسه ، فكثيرا ما يشعر الرهائن بالنفور من الجهات

المستولة عندما يزداد احساسهم بأنها قد تخلفت عنهم . ويرجع جانب من المشكلة عند تقييم « عرض استكهم » الى ما يفعله الرهائن لدى الافراج عنهم ، عندما ينكرون معاناتهم من أى آثار ، على الرغم من جميع الأعراض التي تظهر عليهم .

على أنه فى حالة أخرى مطابقة لما حدث فى المثل الخاص « بأعراض استكهم » نزع بعض الرهائن الذين احتجزوا فى حادث اختطاف طائرة T.W.A. فيما بعد الى المجاهرة بأن المحنة التي لا تنتهى التي يعاني منها لبنان انما ترجع الى الولايات المتحدة واسرائيل ، أكثر من ردها الى الارهاب فى أبغض صوره . وما دامت أفعال الارهابيين تتخذ مظهر الأفعال التي تتبع منطقاً وحسباً ، سيظل الارهاب يستقل الشعور بالتعاطف عند عامة الناس . ويتكاثر الارهاب من أثر النجاح ، ومن ثم فإذا بدا شيء من الاخلاص فى كلام الرهائن عن معتقداتهم الشخصية ، فان الأفضل فى مثل هذه الأحوال أن يلوذ المسئولون عن مناهضة الارهاب بالصمت .

وكما ينمى الرهائن مشاعر تعاطفية تجاه محتجزهم ، كذلك يجنح المحتجزون الى ادراك ازدياد اعتمادهم على أسراهم فى العون على عقد صفقة ، وباستمرار الاحتجاز ، يشعر الرهائن - فى الحق - بحالة تكوص الى ما يشبه الحالة الطفولية . ويشير اليها بمصطلح traumatic psychological infantilism ، أى أنهم أصبحوا يشعرون بالاعتماد على اناس آخرين مثلهما يشعر الطفل بالحاجة الى أمه ، فيتجه بعضهم الى التشبه بسلوك الأطفال ، ويزداد طواعية وخضوعاً ، ويحاول التقرب الى محتجزه . وقد يتسبب مثل هذا التكوص فى حدوث جميع أنواع المشكلات . فقد تستثار مشاعر الانجذاب الجنسى ، كما حدث فى حالة استكهم السالفة الذكر ، ولقد عرفت بعض حالات حاول فيها الرهائن تعويق محاولات الانقاذ ، وإخفاء محتجزهم من قوات التدخل . ورفض بعض آخر الشهادة فى المحاكمات التي أعقبت ذلك . ومن هنا نستخلص العلاقة التي تحدث بين حالات التوتر وتوطيد أواصر المحبة ، وفي الحالات المتطرفة ، ربما تعرض المحتجزون لتعذيب عنيفة فى اتجاهاتهم . فليس من المستبعد اخضاعهم لمصليات غسيل للمخ لتفهمهم الى التعبير عن معتقدات جديدة وقيم جديدة ، ومن الأمثلة الكلاسيكية المؤيدة لذلك « باتى هيرست » ، التي انتهت الأمر باتضمامها الى جماعة ارهابية كانت قد خطفتها وقد اشركتها فى عملياتها اللاحقة .

بطبيعة الحال ، تعتمد عملية قيام الرهائن بأقامة علاقات مع محتجزهم على ما يجرى خلال حادث الاحتجاز ، وعلى الأنص أثناء الطور

الهروبي . فمن يتعرضون من الرهائن لاساءة المعاملة لا ينمون أعراضاً مثل « أعراض استكلهم » على نحو واضح مثلما يحدث في حالة من أحسن المحتجزون معاملتهم . وبالمثل فإن أولئك الرهائن الذين اضطروا للهروب نتيجة لحدث من أحداث العنف لا يحتمل أن يتعرضوا لمشاعر تعاطفيه .

وفي أعقاب حادث اختطاف شخص أو اختطاف طائرة تظهر دلائل قوية تدل على ما يتوقع أن يتعرض له الرهائن من مشكلات سيكولوجية عندما يصلون على التوافق والسلوك السوي، وبوجه خاص ، فانهم يتعرضون لبعض مشكلات النوم والنكوص الى الماضي flash back وقد يشعرون بأن هناك من يتعقبهم ، وأنهم قد فقدوا كل شعور بالأمان . وقد تقترب هذه الحالة أحياناً من حالات البارانونيا . وهناك جملة برامج علاجية نفسية لعلاج الآثار اللاحقة للاحتجاز سنعود إليها فيما بعد في هذا الكتاب ، ومن بين أهم مظاهر السلوك الارهابي ، انها تضع الناس في أوضاع حافلة بالتوتر ، فحدث الاحتجاز والاختطاف من التجارب البالغة الضرر ، لأن الضحية يوضع في الأسر ، ويظل موضع تهديد بالاعتداء عليه أو بالموت . وعند كثيرين وفي مواضع كثيرة من العالم شعور بالجزع من التهديد بالتعرض للمخاطر فيما يصادفون من أحداث يومية . فالتهديد بالتعرض لقنابل الارهابيين أو الوقوع في كمائنهم ، والخوف الذي يحدثه رجال الأمن بلا تمييز ووحشية من المسائل التي يجب أن تواجه يوماً بيوم ، ومن أهم تكتيكات الارهابي تقدير ما سيترتب على عملياته من قوتر . ولعل هذه الناحية من أهم الأشياء التي ازداد استقلالها ببراعة واقتدار في العهد الحديث .

ما هي فرص امكان الاستمرار في البقاء على قيد الحياة بعد أي حادث احتجاز كرهينة ؟ في تحليل حديث لاثنتين وأربعين حادث اختطاف ، أطلق فيها سراح جميع الرهائن انضج وجود أربعة عناصر حاسمة :

- ١ - سماح الارهابيين للدخول بقطعة بذاكل للرهائن .
- ٢ - ارتضى الارهابيون التفاوض ووضمو القليل من الشروط القصوى التي لا رجعة فيها .
- ٣ - كان القليل من الأحداث من المواقف التي تتطلب اقتحام مواقع محصنة .
- ٤ - لم يطالب الارهابيون باطلاق سراح السجناء .

٥ - عقلية الارهابي

منذ عام ١٩٨٤ ، عندما أعلنت جماعة الجهاد الاسلامي استباحة دماء الامريكيين في لبنان ، احتجزت هذه الجماعة أحد عشر رهينة . واختطف تيري أندرسون ، وهو مراسل صحفي قديم في الشرق الأوسط للأسوشيتيد برس وعمره ٣٨ سنة في ١٦ مارس ١٩٨٥ في بيروت^{١٠} . ولقد أمضى الأسابيع الثلاثة الأولى من احتجازه ، وهو مقيّد بالسلاسل في سريره ، وكان مهددا بالموت لو تبسّس بينت شقة . وظل هذا المحارب القديم الذي حارب في فيتنام في سلاح البحرية يعاني من تعذيب محتجزه . ففي خلال هذه الحقبة ، كان يضرب ويركل ويسام كل صنوف العذاب .

أما فرانك راير فانه أستاذ هندسة في الجامعة الأمريكية ببيروت . وعندما اختطف سمحت عيناه ، وقيد بالسلاسل في حائط ، وأُنذِر بالتعرض للضرب لو تحرك أدنى حركة . واستمر معذوبه يراقبونه ساعة بعد أخرى ، وينهالون عليه بالضرب بلا شفقة أو رحمة لو خالف تعاليمهم . وعند تأليف هذا الكتاب ، ما زال هذان الرجلان الى جانب ثمانية آخرين وثلاثة فرنسيين يقاسون ويلات احتجازهم .

ويتصور الارهابي أنه شخص يحاول رفع الظلم عن الاجفاف الموهوم ، ويرد سلوكه بالزعم بأنه يعمل في خدمة غاية تستحق كل هذا العناء . فهو ليس أول من يتبع شعار « الغاية تبرر الوسيلة » ، ولكن ماذا يجري في كوامن عقلية الارهابي ؟ وما هي الأفكار التي بداخله ؟ وكيف يتسنى لافئاس يبدون ودعاء وسويين ظاهريا اقتراف مثل هذه الأفعال السادية المريعة ؟ كي تفهم هذه الأسئلة ، علينا أن ننظر في كيفية نمو الأحكام السوية في تلافيف مخ الفرد .

يعتقد علماء النفس أن احساسنا الأخلاقي أو تصورنا للقيم الأخلاقية ينمو في عملية مثلثة الأركان ، أولا - بفعل الفرد أشياء يعتقد هو أو تعتقد هي أنه أو أنها مستثاب عليها ، وهكذا يكون الطفل المسلك الذي امتدح من أجله ، ويميل إلى التوقف عن مواصلة الأفعال التي تؤدي إلى توقيع عقوبة ، وبخاصة إذا كانت العقوبة مناسبة للجريمة ، وكانت موجبة . ثانيا - في المستوى الثاني للنمو الأخلاقي ، يقيم الفرد مقبولة أي تصرف عمل بالقياس بإطار من القيم ، ويكون المقصود بذلك عادة هو القانون السائد . وهكذا لا يفسح الشخص السوى المجال - على التو - لانطلاق الدوافع الحيوانية ، ولكنه يفكر هل هي مقبولة في نظر القانون ؟ أو أي معايير أخرى للسلوك . إن هذا يتضمن القبول المستتر ، أو الخضوع - على أقل تقدير - للقواعد والتعاليم السارية في النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، حتى إذا اختلفت احتياجات المجتمعات اختلافا ملحوظا .

والمرحلة الثالثة والأخيرة للنمو الأخلاقي تتمثل في موقف تبني الشخص لاتباع اتجاه ما لأفعاله ، ليس بمراعاة صيغة خارجية كالقانون ، وإنما بالرجوع إلى احساسه الفردي بما هو صواب وما هو خطأ . هنا يمارس الشخص اختيارا حرا . وعندما يفعل ذلك ربما اضطر للخروج على القانون . وهذا مسلك نتبعه جميعا من آن لآخر عندما نقود سيارتنا بسرعة تفوق السرعة المسموح بها ، وعندما ننسى إعادة كتاب مستعار ، أو عندما نضع في جيوبنا بعض الدبابيس والأوراق البيضاء التي تتبع « الجهة الحكومية » . وعندما نفعل ذلك فإننا نقيس مقبولة هذه الأفعال تبعا لصيغة تعريفنا للقيم . في الوقت نفسه ، فإننا نبرر تصرفاتنا عقلانيا بالمطالبة باغتفارها اعتمادا على مجموعة من القيم الراسخة في نفوسنا . ولسان حالنا يقول : « إن الحد الأقصى للسرعة إجراء غير ضروري » . « إن القليل من الدبابيس ليس شيئا ذهابا » . وهكذا . وبالمقدور النظر إلى مسلك الفرد على ضوء ما لديه من قيم كامنة داخله تؤثر بدورها على الأسلوب الذي يتبعه أو تتبعه في حل مشاكله أو مشاكلها ، على ضوء نظرته أو نظرتها إلى العلاقة بالآخرين .

وهل يتشابه الارهابي معنا في هذا الشأن ؟ وهل هو ينظر إلى أفعاله بمنظور العقل ، حتى إذا كانت أكثرها وحشية ، ولسان حاله يقول « لقد فعلت ما فعلت من أجل القضية التي هي فوق كل اعتبار » . وهل يكفي أن نستبعد كلامه ونرفضه لأنه ظن أن التخنق وراء راية سياسية ما يبرر اقدماءه على القيام بمثل هذه الأفعال العنيفة ؟ ليست

هناك اجابات تجريبية على هذه الاسئلة . ولكن لعل الاجابة تكمن في دوافع الشخص . وكثيرا ما تعقد المقارنات بين الارهابيين والمجرمين . فالارهابيون يلجأون الى الأفعال الاجرامية في سبيل تحقيق أهدافهم المعلنه ، وكثيرا ما يلجأ المجرمون الى تكتيكات الارهاب من أجل الحصول على مغن شخصي . والفجوة التي تفصل الحالتين هامة لأن القضية التي يعمل الارهابي من أجلها بمثابة كل شيء في نظره . أما في نظر المجرم ، فان الدافع هو الثروة والترهب .

وكما رأينا ، فان الارهاب يتضمن مجموعتين من الضحايا . وهكذا يحدث العنف في علاقة مثلثة . وفي مقابل ذلك ، ففي حالة الجريمة ليس هناك غير المجرم وضحيته في عالمها الثنائي ، وعادة يعمل المجرمون لحسابهم الخاص ، بينما يعمل الارهابي كعضو في جماعة لها تأثير هام للغاية على الفرد ، وعلى تشكيل الأفعال الارهابية . ولقد وصف الارهابي بأنه ممثل يلعب دورا أمام النظارة في « مسرح الرعب » فما يعنيه أو يعنيها هو الصورة التي يظهر أو تظهر بها أمام الناس . والحق أن حقيقة الانتماء الى الارهابيين ، وليس الأهداف السياسية المعلنه ، هو المحفز الأساسي لسلبيته ، وفي مثل هذه الأحوال : « ينشط الارهابيون الى حالة « الأشخاص الموجهين » - كما يقول الخبراء بدلا من أن يقال عنهم « انهم يعملون من أجل هدف » وفي هذا القول تشريف لهم . ففي نظر هؤلاء الناس « يكون الانجاز » وليس « الاهتمام » هو الأهم ، وبخاصة عند أولئك المصابين بميول نفسية مرضية . وفي هذا المقام لا بد من الاشارة الى أن دور أجهزة الاعلام قد اكتسب أهمية مستحدثة مرتبطة بطريقة تصويرهم أو كتابتهم عن الأحداث الارهابية . كما أن هذه الأجهزة قد أصبحت قادرة أيضا على التأثير في الآخرين الذين قد يسعون لتحقيق امجاد مماثلة عن طريق التقليد أو الاقتداء بالنور الذي قام به قدوتهم .

هل هناك اختلاف في مسلك الارهابي بين دور الرجل ودور المرأة ؟ ان الذكور يتبعون مسلك العنف كامتداد للمرحلة العدوانية الشبيهة بالاجرامية ، في نهم الطبيعي ، ويقال لنا انه من الامتدادات الطبيعية في الظروف المتأثرة بضغط البيئة أن يتجه الذكور الى انماء مسالكهم بالانتقال من حالات العنف البسيطة الى عمليات القتل على نطاق واسع . ولقد أدركت أنظمة التدريب العسكري منذ أمد طويل هذه الحقيقة ، واستطاعت دول كثيرة الاستمرار طويلا في البقاء اعتمادا على قدرتها على تحويل المواطنين الى محاربين أشداء غنمنا تلصق الحاجة الى ذلك . والأمم

مختلف فيما يتعلق بالاناث . فكى يتجهن الى العنف فانهن بحاجة الى الانحراف انحرافا حدا عن الأوضاع الطبيعية ، أكثر مما يحدث فى حالة الذكور . وهكذا يتطلب الأمر لكى تتحول المرأة الى ارايية أن تكون قد تعرضت لتجربة أصابتها فى الصميم أكثر مما يحدث فى حالة الذكور الذين قد يتحقق نزوعهم للقتل تدريجيا أو شيئا فشيئا .

ويحتمل أن تكون أكثر النظرات اشارة للاهتمام التى تحدثت عن العقل الانسانى والوثيقة الارتباط بموقف الارهابى قد جاءت ضمن أساسيات سيكلوجية فرويد ، فلقد ذكر فرويد أن العقل يعمل فى مستويين : مستوى الوعى ، ويكون فيه الشخص على دراية بما يفعل ، ومستوى العقل الباطن . ومن الناحية العملية ، فإن ما يتحكم فى مسالكنا هو ثلاثة أجزاء من العقل تتبادل التأثير . وهى جميعا تعمل فى نطاق الاطار الراعى واللاواعى أو الباطن . ورأى فرويد أن الجزء الأكثر حيوانية أو الجزء الأساسى من العقل هو الهو (Id) . ويخص احتياجاننا للفداء والهواء والاشباع الجنسى وغير ذلك من الشهوات . انه يمثل الوحش الكامن داخلنا . ولقد سبق ادراكه على هذا الوجه منذ أمد بعيد ، وارتكن الى هذه الناحية فى الكثير من الدفاعات الناجحة عن الجرائم فى المحاكم وأشهرها ما يسمى بـ *crime passioné* عند الفرنسيين أو الجريمة المؤسسة على الغيرة .

وفى مستوى أسمى توجد « الأنا » ego ، التى تسمى لاشباع هذه الاحتياجات على نحو موافق معقول ، وتصوغ مخططات واقعية لانجازها أو تحقيقها . وأحيانا قد تتعرض للتشويه أو المسخ وتبتمد عن غايات مرحلتها ، وتجنح للعمل فى مناح أخرى ، كما يحدث فى حالات العقلية الاجرامية ، وغير ذلك من المسالك المنحرفة . وثالث أركان العقل هو « الأنا العليا » super ego ، وتعد بمثابة نوع من الضمير الذى يراقب أفعال الركنين الآخرين . ويرى فرويد أن هذه المكونات الثلاثة للعقل تتصارع بعضها مع بعض ، وأن العقل يتميز بسعة حيلته مما يساعد على القيام بآليات دفاعية *defence mechanisms* تساعد على حل مثل هذه المشكلات عن طريق النكوص والكبت والتسلسام . وربما لجأ الارهابى الى العقلانية لتبرير عملياته القتل أو القاء القنابل متذعرا بأن مثل هذه الأفعال تستخدم « القضية » . فهل تبسح لنا هذه الاعتبارات الزعم بأن الارهابيين اناس يسلكون نهجا خاصا من أثر انحراف عقولهم ؟ والحق أن النظرية الفرويدية لم تنس القول بحدوث اساءات لآداء الوظيفة ، كان تكون الأنا العليا قد أخفقت فى السيطرة على الأنا .

على أن هناك أدلة كثيرة توحي بأن عقل الإرهابي يعمل في نطاق سيكولوجية أخلاقية تتمثل في دلائل مختلفة عن العلامات الدالة على المرض الذهني ، التي يستطيع تشخيصها باتباع الوسائل العلاجية النفسية التقليدية . فالإرهابيون يتميزون بالذكاء واللياقة ، وعادة يكونون مثقفين ، ومن أصحاب الدوافع السامية ، عندما يتعلق الأمر بأنشغالهم من أجل « القضية » . وما يفعلونه في المراحل المبكرة من اجتماعاتهم الإرهابية - على أقل تقدير - هو عرض وجهات نظر مخالفة للمألوف ، وليس مظاهر انغماس في مسالك نفسية مرضية . وقبلما اتجه الشخص إلى الإرهاب من تلقاء نفسه ، والأغلب هو أن يتحقق اجتذاب الفرد لأي جماعة إرهابية على مراحل . ولعله يبدأ بدور مساعد صغير على هامش العمليات الإرهابية كالقيام بتوزيع المنشورات . ويحدث - فيما بعد - تقسم تدريجي كالقيام بعمل « المراسلة » في مركز النشاط الإرهابي وتساعد العنف . وفي بعض الجماعات الإرهابية ، وبخاصة في حرب الصبايات وحركات المحاربين الأحرار قد تكون البداية على شكل مراسم مصحوبة بتعاليم تلقينية عن عادات القبيلة الإرهابية ، وما هو مطلوب من المرشحين الجدد . وفي حالات أخرى ، قد تكون البداية عن طريق اختبار لمعرفة مدى الاستعداد والقدرة على المبادرة والولاء . وقد يكلف المبتدئ بعمل أجهامي تترتب عليه خشيته من اقتضاح أمره ، وقد يستعمل كسلاح ضده في الوقت المناسب ، يصعب سبل تراجعه .

وكثيرا ما تعرض المرحش للانضمام إلى الإرهابيين للاستنكار على نحو ما من قبل المجتمع ، مما أدى إلى شعوره بالوحشة . ومن السمات الطبيعية للبشر الشعور بالانتماء إلى جماعة ، ومن ثم فإن أي فرد منعزل يندفع إلى الاغراب وإلى الاعتقاد بأنه فاشل ، ينجذب تلقائيا نحو أية جماعة ، لن تكفي بقبوله ، ولكنها تزوده بالوسائل والسبل التي تساعده على ركل النظام الذي نبذه . وهذه لعبة معروفة ، وقد لعبها إليها الاتحاد السوفيتي في وكالة مخابراته K.G.B لاجتذاب السكرتيرات العوانس في الوزارات الحكومية أو رئاساته القوات المسلحة حيث يؤتمن على الحفاظ على الأسرار الحربية . ويلجأ إليها الإرهابيون أيضا . عندما ينشئون تنظيمات جهوية في الجامعات تجنّب أولئك الذين يراهم الحركيون المحنكون « كبحري يسعون على قدمين » ، في السباق من أجل التفوق على الآخرين . فما الذي بمقدور عالم النفس أن يذكره لنا عن السمات الشخصية أو نوع العقلية التي يتصف بها الإرهابي ؟ فهل هناك مظهر شخصي للإرهابي ؟ وما هو نوع شخصية من يقدم على اقتراف أعمال

فاحشة من العنف بلا استحياء - عيني عينك كما تقول بالعامية - أو يفعلها متخفيا ، دون أى شعور ظاهر بالذنب ؟

يبدو أنه لا وجود لسمات شخصية معيارية في هذه الحالة ، وإن كانت هناك أنماط معينة من الشخصيات من النوع المتطرف من أولئك الذين يجذبهم السلوك الارهابي ، مثلما تجذبهم أية أشكال أخرى من العنف . ولربما تضمن هذا النوع المصابين بالبارنويا من الحائقين والمرضى النفسانيين الذين يحرون وراء المنبهات والثروات وكذلك الأفراد المتفوقين الذين يتركز اهتمامهم على ذاتهم ، ولا يعاون بأى شيء غير أنفسهم ، ولا يبالون بكل ما يتعلق بمشاعر الآخرين . ولو أمكن التعميم فيما يخص طبيعة عنف الارهابيين فقد يبين أن الارهابيين هم أساسا اناس لديهم اضطراب في المشاعر (مشاعرهم تجاه الآخرين يوجه خاص) ، وإن كانوا يتميزون باقتناعهم في مسائل المعرفة والنواحي العائلية - وكثيرا ما يتوافر لهم الميل الى تجسيم المشكلات خارج أنفسهم ، واستقاط أوجه نقصهم على الآخرين - وعلى سبيل المثال ، قد يوجه الارهابي اللوم الى الحكومة لتشجيعها العنف ، بما تفعله من اجراءات مضادة ، بينما يكون عنف الارهابيين هو المسئول الاول عن اقلام الحكومة على مثل هذه الردود العنيفة . ويتركز جانب من استراتيجيته على استفزاز السلطات المسئولة ودفعها الى الغفلة في ردود فعلها ، ومن ثم فانه يعمل كمثل لكى يكتسب أنصارا آخرين للقضية .

وليست هناك أنماط للارهابيين . انهم أفراد شواذ نوعا ، تجذبهم جماعات تقبلهم وتكسبهم هوية خاصة ، وبذلك تكون هذه الجماعات هي التي أكسب تأثيرها طابعا خاصا لمسلك الفرد ، وبخاصة في حالة الارهابيين . والجماعة الارهابية تنصف بطابع الكتمان ومسلك المتخفي ، ومن هنا يتحقق لها التماسك بصفة دائمة أكثر من الجمعيات الأخرى . وتعمل هذه الجمعيات في ظروف متوترة للغاية ، وما أسهل جنوح تفكيرها من ناحية الفرد والجماعة معا - الى الالتواء والفساد .

ويعتقد علماء النفس الذين درسوا علم النفس الجماعي أن الجماعة الارهابية من أثر خضوعها لمثل هذه الضغوط قد تشعر بأنها معرضة للخطر ، وقد تنقسم في المخاطرة لتحقيق غاياتها . وهذا يصح بخاصة عن أولئك الارهابيين الذين استلهموا معتقداتهم من التعاليم الشيعية الأصولية المتطرفة . والخوف هو مفتاح اتجاهات الأصوليين نحو غير المسلمين ، الذين يشعرون بفريتهم الشاملة عنهم . وكلما ازداد التهديد الذى يتعرضون له ، اشتد عداؤهم ، وازداد مسلكتهم وقاحة . ولم يأت

هؤلاء المتشددون بأية مستحدثات جديدة . اذ تبسّدو تكتيكاتهم ارتدادا الى أسلوب أبتكر من الارهاب عرف منذ عشرين سنة عندما كان الهدف هو مجرد إحداث أكبر قدر مستطاع من الخسائر ، ولقّت أكبر قدر من انتباه أجهزة الاعلام ، وإن كان استعدادهم لاستخدام العنف وتصميمهم على الفوز كثيرا ما يجعلهم محصنين ضد احتياطات الأمن التقليدية . فاذا عزز ذلك الالتزام الانحجاري للشيمة ، النابع من تقاليدهم ومعتقداتهم الاميل للرهينة والاحتجاج ، فلا عجب اذا رأيناهم أكثر انقيادا للارهاب ، ومصدر تهديد وحشي ، انهم أبناء جيل الحرب الأهلية اللبنانية . وقد جندوا من عصابات شوارع بيروت وأزقتها ، وليس عندهم سوى القليل لفقدته . انهم رجال ونساء على استعداد للموت . وهذه الميزة تمثل مصدر قوة المتمصب . فالعالم ضلهم ، وكل ما يسعون اليه هو الشهادة واثبات جدارتهم دخول الجنة في مشاهد احتفالية دعوية .

وفي مثل هذه الامثلة ، يل وفي الحالات التي يتصف فيها سلوك الارهاب بفعالية أكبر عندما تكون غرائز الحياة والاستمرار في البقاء ما زالت بخير ، ينوب الفرد ذويانا كاملا في الجماعة ، وتتحول ذاتيته الى ذاتية الجماعة . وتؤمن الجماعة بأحلامها وأوهامها ، وبالحرب الوهمية التي تحاربها ضد العدو . واذا اتسم رد السلطات بالعنف ، فإن هذا سيكون عاملا مساعدا على تعزيز الفانتازيا والتشجيع بالانطاطير ، بل وتزداد الجماعة تماسكا .

وهكذا ينصح عالم النفس باتباع استراتيجيات مضادة للارهاب لا تركز على الاستجابات المنيغة التي تؤدي بالتبعية الى تعزيز الفانتازيا . وبدلا من ذلك فإنه يدعو الى سبل ووسائل تقوى الاجراءات الوقائية ، والى جعل الأهداف أصعب في مهاجمتها مما يؤدي الى شعور الارهابي بالاحباط في التمر . ومحاولات التخاطبات التي ترمي الى التسلل داخل الجماعات الارهابية لمعرفة مخططاتها وتكتيكاتها وشخصياتها (وبخاصة شخصية القيادات) ، من الاستراتيجيات التي تعتمد على مزيد من الصبر ، وقصد تعود بمائد مشر . واذا تسلبت السلطات بمثل هذه البيئنت سيكون بمقدورها شن حملة دعائية فعالة باستغلال المناقبات ، واضعاف تماسك الجماعة ، واغراء الارهابيين وغوايتهم - لو أنجز على خير وجه - قد يكون له تأثير أعظم . ولقد نجح الايطاليون في كسر شوكة الألوية الحمراء ، وغيرها من الجماعات المختلفة اعتمادا على أسلوب البينيتوس Penitos الذي يكافئ الارهابيين ، الذين تعاونوا مع المسئولين ، بمد القبض عليهم بمعاملتهم معاملة حسنة ، وتخفيف أحكام مجنهم ، وعلى عكس ذلك لقد أثبتت الوعود والمقررات التي كانت تعرض على بعض الأشخاص لاذاعة أسرار زملائهم ، الى القيام بدور « الوشاة » فضلا في ايرلاندة الشمالية .

والارهابيون على دراية أيضا بهذه الحيل . فمنظمتهم هذه الأيام أكثر تماسكا ، ويراعى فى تكوينها تصعيب مهمة اختراق السلطات المسئولة لصفوفها . وبمقدورهم أن يمتدوا دائما على علم تيقظ السلطات المسئولة ، واغفالها الحفاظ على درجة عالية من انتباه أفرادها . فإذا كان هدف الاختطاف هو إحدى طائرات « بان آم » فبالاستطاعة إذا اكتشف الارهابيون ان اجراءات الأمن محكمة شديدة الاحكام فى مطار هيثرو ، فلا بأس من تنفيذ عملية الاختطاف فى مطار كراتشى .

وكثيرا ما يخشى الارهابيون جماعتهم الارهابية أكثر من خشيتهم للعسكريين . فلقد نسوا فكرة المبالاة بالحياة ، وقد يترتب على الانحراف عن مهمة الجماعة اجراء تاديبى سريع أو عملية تعذيب Kneecapping (مستشرح فى سياق الكلام) . وكثيرا ما يصل التأديب الى حد القتل . وهناك دائما تشديد على الحفاظ على فاعلية مهمات المهنة ، فلقد علق كثيرون من الذين بقوا على قيد الحياة بعد عمليات الخطف الارهابى عند استجوابهم عن كيف يحتو الارهابيون على أسلحتهم ، وكثيرا ما يتخذ هذا الجنو مظهرا جنسيا صريحا ، دائما بطريقة لا شعورية ! .

اننا جميعا الى درجة كبرى من نتاج بيتتنا . ومن بين أكثر النزعات اثارة للقلق فى الارهاب المعاصر ، أننا قد دخلنا فى عصر « الجيل الثالث » . فكثيرون من الشباب الذين يهيون حاليا فى المواقع المضطربة من العالم مثل ايرلاندة الشمالية والشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا لا يعرفون العالم الا فى صورة ممتزجة بالارهاب . ولا يعرف أطفال أزقة بلفاست أو بيروت عالما غير العالم المدجج بالأسلحة التى تستعملها الميليشيات وقاذفو القنابل والقناصة . نعم ان ما يشكل حياتهم هو أفعال العنف .

ويتحدث الخبراء عن عملية « التطبيع الاجتماعى » الأول وعن تلك السنوات التى يتشكل فيها الفرد فى سن الخامسة ، والتى يتحدد فيها الكثير من مسالك البشر عن طريق التجربة . ولقد تسببت تجربة تعرف الأطفال على الارهاب منذ نعومة أظفارهم فى انتاج جيل ثالث من الارهابيين يتفوق على الأجيال السابقة له فى الشراسة . وسوف يتصاعد العنف عندما يصل مثل هؤلاء الأشخاص الى مواقع القيادة فى الجماعة . ان ادهابى القرن الواحد والعشرين عاثشون وموجودون بيننا بالفعل . وهم يتعرضون لمثل هذه المؤثرات التشكيلية التى ستغريهم عن المجتمع وتسوقهم الى طريق العنف .

٦ - من هم الارهابيون ؟

ما هو نوع الأشخاص الذين يصبحون ارهابيين ؟ لقد كتبت جملة أبحاث عن هذا الموضوع . ولم ولن يفلح أى منها فى الاتيان باجابة مرضية . وبلاستطاعة العثور على سمات مشتركة عند الارهابيين ، ولكنها ليست ذات بال ، ومن ثم فانها لن تفيد الباحثين فى الاجراءات الخاصة بمناهضة الارهاب ، أو حتى من يحاولون تصعيب مهمة اختيار الارهابيين لاهدافهم . ومن المتعذر التعبير عن هذا الموضوع بلغة الأرقام . فكلل دعوى ما يقابلها من المناوئ الأخرى . فلماذا ورغم وجود عدد كبير من مواطني بلد ما يشعرون بالضييم فانهم لا يتجهون الى الارهاب ، وإن كان القليل جدا من الظلم قد يكون كافيا لخلق حركة ارهابية كبرى ؟ . وربما كان هناك توازن بين التجاء الجماعات السياسية اليسارية الى الارهاب واستخدامه من قبل الجماعات اليمينية المتطرفة . وفى واقع الأمر انك اذا اتجهت شرقا الى الشرق الأوسط وما وراءه ، أو اتجهت جنوبا الى جنوب أفريقيا وما وراءها سترى أن مصطلح الجناح الأيسر ومصطلح الجناح الأيمن قد فقدوا مدلولهما .

على أنه من العسير ، اذا تمعنا بالقدر الكافي ، العثور على أشخاص « ثوري اشتراكي » حقا تستند اليه تطلعات الجماعة الارهابية . وربما أمكن الاستعانة بالمعارات الطنانة التي جاهر بها ماركس وكاسترو وجيفارا ، بيد أن النوافع الحقبة سيبين أنها تكمن عادة في الدين والقومية والعرقية والراييكالية . فلاستشهاد الشائع بوجود تعاون بين الجماعات مضلل ، والاكثر شيوعا هو الصدام بين الأفراد وليس بين الجماعات .

وبمقدورنا أن نلمح ذلك في الموقف الايرلندي . فالجيش الجمهوري الايرلندي من بين أقدم الجماعات الارهابية ، ولكنه مختلف تماما عن الجبهة الفلسطينية لتحرير فلسطين والجيش الأحمر الألماني ، والجيش الأحمر الياباني وحركة ايتا بامبانيا ، بحيث يصح اعتباره فئة قائمة بذاتها ، لأنك ستصادف عنده دوافع النزعة القومية والعاطفية والوطنية . فجميع هذه المؤثرات لها تأثير على المسلك الايرلندي ، الذي يبدو في نظر الكثيرين أقرب الى ما يحدث في المباريات الرياضية . ويعامل الجيش الجمهوري الايرلندي الخوارج بعين الشك ، وينظر الى تكتيكات الجمعيات الارهابية المولوية بازدراء . ولا تلقى أية فئة خارجية عندهم أى ترحيب باستثناء مساعدات الأمريكيين المتحدرين من أصل ايرلندي والتي تمثل ارتباطا قائما على تعاطف في غير محله ، ومن أثر سوء الفهم والعاطفية المبهضة . وإذا منعت هذه المساعدة ، واستمر الانكماش بنفس هذا المعدل فقد يرغم الجيش الجمهوري الايرلندي على الاتجاه الى طلب المعونة من جهات أخرى لامتداده بالخذاء . غير أن مثل هذا الاجراء لو حدث لئن يزيد عن علاقة دافعها الضرورة وليس العقل .

ويكذب الجيش الجمهوري الايرلندي الكثير مما يقال عن صفات الارهابي ، إذ لا تجرى في دماء الجيش الجمهوري الايرلندي دماء الشباب وحسما ، فاعتمادا على حقيقة تاريخ القضية ، فانها قد اجتذبت الكثير من البالغين من الرجال وأقلية من النساء . وعلى الرغم من أن القادة قد يكونون من المثقفين وأولى الألباب ، إلا أن أغلبية الأعضاء أقل تمعنا بهذه المميزات ، وينحدرون من خلفية عمالية . وقد روعي عن عمه اختيار أهداف سياسية مبسطة : « اطردوا الانجليز (والجيش) من ايرلاندا الشمالية » . ويلقى هذا النداء استهواء ، فليس هناك شعارات سياسية طنانة ، ولا وجود لعبارات ماركسية ثورية تحتاج الى قلقين . ولربما كان الهدف الحقيقي للجيش الجمهوري الايرلندي شسيتا أكثر من الخلاص من الانجليز ، وإن كان هذا الهدف هو الشعار الذي تلتفت حوله راية الحركة وتتردد الصيحات مطالبة به .

وثمة وجه شبه في الغاية بين الجيش الجمهوري الايرلندي والمنظمة التي تنتسب اليها قوات التحرير الفلسطينية ، لأن غايتها نابعة أيضا من الصراع على الأرض مع اليهود . ولقد دفعت الظروف الفلسطينية الى النزوح الى طلب العون من جماعات دولية أخرى . وبينما قد لا يبدو للايرلندي مظهر خاص يعرف به ، فإن العربي يبدو عربيا . ولما كانت عبء قوات الأمن مركزة على العرب وبخاصة في المناطق المهددة ، والمواقف المعروضة للتهديد ، لذا اضطر العرب الى البحث عن هذا العون الخارجي .

وترتب على ذلك حدوث عمليات تعاون مشترك بين العرب وجماعات « بادر - ماينهورف » والجيش الأحمر الألماني والجيش الأحمر الياباني ، ومع جماعة سانفزين (كارلوس) بطبيعة الحال .

فهل هناك نمط خاص للإرهابي ؟ من المحتمل عدم وجوده ، وإن كان هناك - في أغلب الظن - شيء من التشابه في الأسس التكوينية وطريقة اختيار المجندين ، فبوجه عام ، المجتمع الذي يحدث فيه الإرهاب إما أن يكون ديمقراطيا برلمانيا ، أو نظاما سلطويا ، يدار إدارة سيئة عادة . ولا وجود للإرهاب في أي مجتمع شمولي ، فما هو سر ذلك ؟ فمتى لا ينتظر قيام دعاية للأنفال الإرهابية ، أو يدار نقاش عام حولها ، في هذه الحالة لن تكون هناك وسيلة لتعريف العالم برسالة هذه الأفعال ، وبدونها تكون القضية قد ضاعت قبل أن تبدأ .

وفي نطاق هذه المجتمعات ، يسكن اختبار منفذ الإرهاب من بين الشاعرين بالإحباط والمضطرين من الشباب والأقرباء من « التنازلة » والمجرمين بالقطرة . والرابطة المشتركة بين جميع هؤلاء الأفراد هي - على ما يبدو - عنصر الاثارة المترتب على فعل شيء ما ضد « النظام » . وهناك عنصر جنسي ، وعنصر تعاطي المخدرات وجاذبية الأسلوب الشيوعي الذي يسمح بأجراء تجارب جنسية حرة ، والتهنئة التي يتبادلونها باتباعهم للايديولوجية ، وهذه كلها مفرجات تسهل المراحل الأولى للتجنيد للإرهاب .

ولا يهيب الزعماء أنفسهم للقضية ، اللهم الا من باب المظاهرات . فهم بوجه عام يملكون أنفسهم عن الباقيين تأمينا لحياتهم . وعندما يتنبه الزعيم الى أن الدوافع لا يلزم أن تتماثل أو تكون بنفس الشدة عنده وعند أتباعه ، فإنه يسمح لهم بالالتهاب الحماسي ، دون انتظار عون منه ، ودون أن يفرض عليهم نظراته . وعادة يكون القائد هو المخطط ، ولا يستعين بمساعدين الا في المسائل التقنية كصنع القنابل وتصميمها وغير ذلك من الضرورات المصاحبة .

ومن العسير التزام الدقة عند تحديد ملامح الإرهابيين الذين مازالوا يمارسون عملهم ، فهم على الجسلة يتمتعون بشدة الخرس على أرواحهم ، ومن غير المقنن تصديق كل ما يقولونه عن أنفسهم من باب المبالغة ، لأنه غالبا يحمل طابع (الفشر) . ولا ننسى أن ملفات الشرطة تخضع لحراسة مشددة بالضرورة ، ويرفض الصحفيون الإفصاح عن مصادر معلوماتهم . وهذا يصدق بوجه خاص عن الجيش الجمهوري الإيرلندي حيث يتميز الانضباط الداخلي بشدة صرامته أكثر من جميع الجماعات الإرهابية . فهم يحكمون بالموت على المبلغين Kneecapping لأنهم ي ضربون بالرصاص

عند ظهور ركبهم وتقطع أصابعهم بل ويتعرضون للخصي ! فكل هذه المقويات توقع مقابل اقتراف جرائم مختلفة ! ابتداء من السرقة الى تسريب المعلومات التي تمس الأمن على نحو أو آخر .

« أنا كارلوس ! » لقد سمعتم عني ! أخبروا العالم ! » . لقد وردت هذه الكلمات أو كلمات أخرى مماثلة على لسان « كارلوس » بمناسبة اختطاف أحد عشر وزيرا من وزراء البترول (أوبيك) في فيينا في ديسمبر ١٩٧٥ . والحق أن معظم العالم كان قد سمع آنثذ عن كارلوس في أغلب البظن . انه رجل مشحون بالأسرار . انه اللببن القرمزي الماروغ في عالم الارهاب . وقيل عنه انه يماثل وشخصية « القاتل المحترف » في رواية Day of Jackal « لفرديك فورسبيث » (*) . فاي انسان كارلوس هذا ؟ ومن أين بدأ سيرته الارهابية ؟

ومن المحتمل أن يكون كارلوس أكثر الشخصيات الارهابية نصيبا في أحاديث أجهزة الاعلام اليوم . وهناك مادة وفيرة متناقضة عنه ، غير أن المعلومات المتفق عليها والمؤيدة من ملفاته الشرطة تبين أن كارلوس اليش راميرز سانشيز (فقد كان هذا اسمه عند مولده) بدأ حياته بداية محظوظة . وأبوه هو خوزيه ألجراشيا سانشيز وأمه ألبا ، وولد في أكتوبر ١٩٤٩ في كاركاس عاصمة فنزويلا ، وأحاطه الثراء من كل جانب منذ مولده ، وكان هناك ما هو أكثر من المال ، فلقد ولد في عائلة ثورية (وقد سمي باسم من أسماء ستالين) . واشترك جده في ثورة ١٨٩٩ . وكان والده من المتحمسين لستالين ، ومن أشبه المتعلقين به . وعاش مترفا . إذ كان أبوه مجاميا و مليونيرا قادرا على كسب المال بمختلف الطرق ، والمعروف عن بدايته قليل باستثناء أنه شق طريقه من خلال التنظيمات الشيوعية الطلابية ، والتحق بجامعة لومومبا بموسكو . ويعتقد أنه في هذه الأثناء بدأت احتكاكاته الأولى بالفلسطينيين الذين تعامل معهم عن كثب ابتداء من ذلك الحين .

ومن المؤكد أنه انضم الى الحركة الشعبية لتحرير فلسطين أثناء حادث « داوسون فيله » ، وفي الصراع الذي نشب ضد الملك الحسين ملك الأردن ، والذي انتهى بإبعاد منظمة تحرير فلسطين من البلاد . ويقال انه خلال هذه الحقبة تمكن من التأثير على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعلى وادي حداد بصفة خاصة . وفي سنة ١٩٧٢ ، كان في لندن برفقة أمه ضمن السلك الدبلوماسي . ولم يصادف أية مشكلة في

(*) قصة تصور محاولة اغتيال دييول على يد قاتل محترف مجهول الهوية استأجرته إحدى الجياعات المناهضة لاستقلال الجزائر .

• سبيل الحصول على المال • ومن المحتمل أنه كان يحصل عليه من والده •
وخلال هذه السنة ، ظهر لأول مرة في « قائمة المراقبين » • وعلى الرغم
من أن الأحداث التالية لم تنسب إليه لعدة سنوات ، إلا أنه قد عرف
الآن أن « اليتش » هو الذي دبر ونفذ هجومين في لندن إبان فترة وجوده
في المدينة • أولا في محاولة الاعتداء على اللورد سيف صاحب محلات
ماركس وسبنسر في ديسمبر ١٩٧٣ ، وثانيا - حادث الاعتداء بالقنابل
على البنك الاسرائيلي هاباليان في فبراير ١٩٧٤ •

ثم انتقل من لندن الى باريس حيث قاد عملية لحساب الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين ، كما ساعد الجيش الأحمر الياباني في عملية
هجوم بالقنابل • وأحس الفرنسيون بنشاط « اليتش » ببعض المصادفة ،
عندما أغاروا على شقة أحد الأشخاص الموضوعين تحت المراقبة للاشتباه
فيه • وساعدهم استجواب لاحق على محاصرة اليتش في شقة أخرى •
غير أنه استطاع بهدوء أعصاب فذ وبحضور ذهني أن يشق طريقه وسط
الحصار المفروض على المبنى • وفي ديسمبر ١٩٧٥ ، نفذت العملية التي
احتجز فيها وزراء الأوبيك الأحد عشر ، وجرح أحد رفاق اليتش الخمسة
جرحا خطيرا أثناء العملية ، وأدلى فيما بعد بالكثير من المعلومات الهامة
عن زعيمه • وانتهت عملية الأوبيك بدفع فدية كبيرة قامت بدفعها المملكة
العربية السعودية وإيران • وصاد المجلس بأن العقيد القذافي كان ملهم
هذه العملية وممولها •

واشترك اليتش يقينا في التفكير في وضع مخطط اختطاف إحدى
الطائرات الايرفرانس ، والتي انتهت في عنتيبي في يونيو ١٩٧٦ • وبعد
هذا الحادث بشهور قليلة ، ظهر اليتش على المسرح في ليبيا ، وقام
بالدور الرئيسي كملوب ، ويفترض أنه كان ملما بالاما حسنا بما احتوته
ملفات وكالات الأمن الدولية ، ومن ثم رأى أن دواعي الأمن تقتضي ألا
يشترك في هذه العمليات الشخصية ، لفترة ما على أقل تقدير • وانتقل
من ليبيا الى سوريا للعمل فيها ، ودارجا الى أوروبا للعمل لحساب سوريا
ولشأن عمليات تصفية ضد المنشقين المسلمين في باريس • وأثناء فترة
التحضير لاحدى هذه العمليات وقعت اثنتان من الخلايا الثورية اقدميه
لاليتش في قبضة الشرطة ، واستؤنفت مطاردته ثانية • وحكم بالسجن
على اثنين من رفاقه • وكتب اليتش الى السفارة الفرنسية مهددا بالانتقام
من الحكومة الفرنسية ، اذا لم يطلق سراحهما • وحدث اعتداءان بالقنابل
حول منطقة تصفية الحسابات التي جدها في رسالته • وكان بالقصور
نسبة الحادثين لاليتش ، لكن الحكومة الفرنسية لم تتبرحزج عن موقفها •

وأضى السجينان مدة السجن . وبعد اطلاق سراحهما تزوجت الألمانية تدعى ماجدالينا كاوب من اليتش .

فهل تقاعد اليتش الآن ؟ من غير المحتمل ، فالى جانب استمتاعه الواضح بهذه اللعبة ، فانه يشعر بحاجة دائمة للمال للصرف على متعته الخاصة ، وما تحتاجه من اسراف . واليتش معروف تماما لدى السلطات فى أوروبا ، ومن غير المستبعد معرفتهم لمحل اقامته . ولقد خلق أعداء له فى الشرق الأوسط ، فى ليبيا على الأخص ، غير أنه من المحتمل أن يعاود الظهور ثانية لخدمة إحدى قضايا الشرق الأوسط . وأما القول بأن اليتش ليس بحاجة للتذرع بالحاجة للمال لاحتراف الارهاب فأمر مؤكد . وليس من السهل تحديد الدافع الأيديولوجى الذى يسوقه الى هذه الناحية ، ماعدا الاستمتاع بالحياة وما فيها من مثيرات ، وحرصه على استمرار الانبهار بصورة « كارلوس العظيم » اذ يساعد ذلك على اشباع بعض شهواته . ولربما بدت غطرسته المبالغى فيها عندما وقع باسمه على تهديد للحكومة الفرنسية ، أمرا متوافقا تماما مع شخصيته ، به أنه عرف أنه قد اكتسب احتراما يحسد عليه فى بعض المجافل لما يتمتع به من قدرات تنظيمية وشجاعة لا شك فيها . وأيا كانت دوافعه ، وأيا كانت شخصيته ، فان « كارلوس » قد برز كشخصية دولية حقا !

وهناك زعيم ارهابى ملهم آخر ، انحدر من أصل ثرى ، انه أبو نضال ، وكان اسمه عند مولده « صبرى البنا » (٣) ، وينتمى الى عائلة ميسورة تعمل فى التجارة . ولقد أصبح رئيسا لاحدى التنظيمات الارهابية التى يخشى بأسها فى الشرق الأوسط . ويشترك أبو نضال وكارلوس فى العديد من الصفات ، كالفطرسية القامضة . فعند مصرع « شلومو أرجوف » (السفير السرائيلى) فى يونيو ١٩٨٢ ، قبض على فريقه المؤلف من ثلاثة رجال ، وحكم عليه بالسجن ثلاثين عاما . وصرح أبو نضال : « ان القضاة البريطانيين سيتعلمون ماهية العدالة » ونسب الى أبو نضال حادث اغتيال كنيث ويتى السكرتير الاول بالسفارة البريطانية فى أثينا فى مارس ١٩٨٤ واغتيال برسى نوريس مساعد القائم بالأعمال البريطانى فى بومباى ١٩٨٤ . وأبو نضال أشد حرصا وتكتما من كارلوس . ولقد أدرجت تنظيمات ارهابية أخرى اسمه ضمن الأسماء المطلوب اغتيالها . ولقد اعتقه بوجه عام ولفترة من الزمان أنه فارق الحياة من أثر نوبة قلبية فى أواخر ١٩٨٤ . ولم يظهر دليل ملموس مؤيد لهذا

(*) فى شهر نوفمبر ١٩٨٩ نشر بالصفحة أن ليبيا أمرت بطرده سبيا وراء تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة .

الخبر . وكان اختفاؤه مؤقتا من مسرح العمليات تصرفا حكيما . وليس من شك أنه سيستأنف نشاطه مرة أخرى .

وانحدرت « أولريكة ماينهوف » من بيت يسوده الوئيل ، ويتمتع ببجوبة من العيش . وعاشت برفقة زوجها كلاوس راينر رول حياة وادعة هائلة . وقد قوبلت بالترحاب عندما عملت صحفية في المجلة اليسارية Konkret ، وهي من المجلات السياسية . وبعد انفصال عرى زواجهما ، اتجهت الى الانضمام الى جمعية شبابية تدعى « Commune Set » وكانت هذه أول مرة تنصلي فيها للحديث عن السياسة الطلابية ، وقربتها هذه الحياة من لادرون انسلين . وكان آنثذ مفعبا باندرياس بادر ، وهو من الطلبة الفاشلين الأوغاد المنحطين ، الذين استهوتهم الحياة الرغيدة التي يحياها الثوريون . واسترعى انتباهها عندما بدأت الجماعة تمارس نشاطها فلسفة « انسلين » بواقعتها وأيضا فلسفة بادر التي كانت تسرف في التحليق في أعنة الخيال ، وعندما قبض على بادر لم تحتاج الى قدر كبير من الاقتناع لكي تقدم على مساعدة انسلين لاقتحام السجن واقفاده . وأدخلها هذا الحادث صفحات التاريخ ، وانتهت حياتها بالانتحار في سجن شتامهايم في شتوتجارت ١٩٧٧ .

لقد أخرج العالم عددا كبيرا من الارهابيات الصلصات العود ، وقد حققن جميعا هدفهن ، اما يشغل المراكز القيادية ، أو بالحصول على الشهرة وذيوخ أسمائهن في شتى الأنحاء . وتضم القائمة أسماء من مختلف الدول . فالوريكة ماينهوف وجودرون انسلين (تتبعان ألمانيا الغربية B.M. و R.A.P.) ونانسي بيرى وباتى هيرست S.I.A. ونوساكو شيجونوبو J.R.A. وانجليكا شبايتل (جماعة الهلال) وليلى خالد (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) . وهذه أسماء قليلة من مجموعة كبيرة من الأسماء التي انجشرت وسط الارهابيين لتحرير أنفسهن عن طريق العنف ، وأثبتن تفوقهن على الرجال . والحقيقة في هذه المسألة موضع خلاف . بيد أنه من المسلم به أن النساء الارهابيات أشد فظاظة وقسوة من نظرائهن الذكور .

ويتطلب النجاح في تجارة الارهاب جميع الصفات التي تنشده عادة في الضابط العسكري الممتاز ، كأن يكون قادرا على الحصول على أفضل أداء من أتباعه الذين قد لا يشتركون معه في مواهبه ، وأن يكون بارعا في التخطيط ، والقدرة التنظيمية مسألة أساسية . ولا ننسى البراعة في اجتناب المال وتديره والقدرة الكبرى على الحسم في مسائل الأمن ، وأن يهب الشخص

نفسه تماما للقضية • غير أن هذه القضية قد تركز على قاعدة غريضة ،
كما حدث في حالة كارلوس (الذي كانت غايته هي المهام الثورة العالمية
والحفاظ عليها) • وأكثر الاحتياجات نفعا هي القدرة على ربط القدرة
التخطيطية بالاستيعاب الحسن للأخبار الاعلامية ، ومعرفة تأثيرها على
الرأى العام ، لأن هذه هي الوسيلة التي تحقق أعظم تأثير •

٧ - أهداف الإرهابي

- القاء قنبلة على إحدى السفارات ؟
- طائرة اختلقت !
- انفجار في أحد الأبنية العظيمة !
- يرتقال مسموم !
- اغتيال سفير !
- اختطاف رجل أعمال !
- سرقة حصان سباق !
- تورط أحد الساسة اليمينيين في فضيحة جنسية ؟

من المسلم به اننا لم ننقل هذه المناوئين نقلا حرفيا ، وإن كانت جميع الأحداث المشار إليها آنفا قد ظهرت كمانشيتات في السنوات العشر الأخيرة . ولقد اختلفت دوافع هذه الأحداث ، غير أنها جميعا قد اشتركت في ناحيتين على أقل تقدير . أولا أنها من الهام الارهابيين . ثانيا أنها وامتت الروح الاعلامية . فما هو هدف الإرهابي ؟ يكاد هذا السؤال أن يكون مستحيلا . انه أى شخص ، أو أى شيء يمكن أن يهاجم بطريقة درامية ، ويتم الربط بينه وبين قضية ارهابية ، بغض النظر عن وزن هذا الارتباط ، وينتهى الأمر بافزاع الاكثرية . ان مثل هذا النبأ يهم المسافرين الى بلد خارجي ، ليس بالضرورة لأنه من أهداف الارهاب ، ولكن لأنه كثيرا ما يكون في صجة أحد هذه الأهداف ، فقد يأوى واحد منهم .

ولربما سافر في واحدة من هذه الأهداف ، أو قد يكون مجرد « مشروع » هدف . وإذا اقتصرنا - مبدئياً - على استعمال كلمة « هدف » دون تعريفها سيساعدنا هذا على إدراك لماذا تختار بعض أهداف بالذات ؟ . فلقد توافر لحادث اختطاف هانس مارتين شلاير ، واغتياله في سبتمبر ١٩٧٧ عدد من العوامل التي تراعى عند انتقاء الأهداف . وتسبب الغضب في لفت الأنظار في شتى أنحاء العالم مرة أخرى إلى جماعة بادر - ماينهوف والجيش الأحمر . أنه كان انتقاماً من مقتل رفقاتهم في سجن شتوتجارت واقتحام الطائرة لوفتهانزا في موجديشيو . كما أنه أقلق اقلاقاً عنيقاً حكومة ألمانيا الغربية ، التي كانت ما زالت تترنح من أثر أحداث الاغتيال الباكورة لبويك وبونتو ، وهما من رجال الأعمال البارزين . وألقى الجيش الأرمني السرى لتحرير أرمينيا قنبلة في مطار أورلي بباريس في يوليو ١٩٨٣ لتذكرك العالم بأنهم ما زالوا على قيد الحياة . ويعد لفت الانتباه « للقضية » عاملاً ، وإن كان لا يلزم أن تكون هناك علاقة فعلية بين « الهدف » وتلك القضية .

وحتى الآن ، أى بعد خمس سنوات ، ما زالت محاولة محمد علي أغا الاعتداء على البابا جان بول الثانى سرا خفياً . وكان أغا سفاحاً عتيداً ، واسمه موجود في سجلات الأنتربول . وهو عضو في جماعة « الذئاب التركية الرمادية » . وانتشرت نظريات تقول ان أغا كان ينفذ تعاليم للمخابرات السرية البلغارية . ولو كان ذلك كذلك ، فلماذا ؟ فإذا أقدم سفاح محتمك على مثل هذه المحاولة الحاثية ، وهو يعرف ضالة فرص هروبه ، فأننا قد نتصور أن هناك سبباً غريباً وراء عدم مراعاته لقواعد الارهاب .

ولننسى هنية النواحي البلاغية والتأملات في المثل العليا للارهابيين والفلاسفة ، ولننظر ملياً الى ما يفعله الارهابيون بالفعل وطرانقهم الأساسية في العمل . وهذه الأفعال تهم القراء لأنها قد تروى لهم وقد تؤثر في حياتهم العملية وأصفارهم .

جريمة القتل بالشوادر :

اطلاق الرصاص على الأبرياء في الأماكن العامة ، وقتلهم . كما حدث في عملية هجوم أبو نضال على مطار العال ومكاتب فحص الجوازات في روما وفيينا في ديسمبر ١٩٨٥ .

القاء القنابل في الشوارع :

القاء القنابل على الأماكن العامة وقتل الأبرياء مثلما حدث في حالة

القنبلة المرتجلة التي ألقتها الجيش الجمهوري الإيرلندي على محل هارودز في لندن في ديسمبر ١٩٨٣ .

اختطاف الطائرات :

الاستيلاء على إحدى الطائرات والسيطرة عليها دون مراعاة لما أظهره الركاب من رغبة في التفاوض على إطلاق سراح الإرهابيين السجناء . على سبيل المثال - حادث اختطاف جماعة الجهاد الإسلامي للطائرة إيرفرانس ٧٣٧ ، وهي في طريقها من فرنكفورت الى باريس في يوليو ١٩٨٤ .

القاء قنبلة على طائرة وهي محملة في الجو :

كما حدث في الطائرة إيرانديا-٧٤٧ ، وهي في طريقها من تورنتو الى لندن عندما انفجرت في الجو بعيدا عن الساحل الإيرلندي في يونيو ١٩٨٥ . واعتقد أن الحادث من تدبير المتطرفين السنيخ .

اغتيال الشخصيات السياسية :

قد يؤدي استعمال القنابل عادة الى مصرع الأبرياء أيضا . على سبيل المثال محاولة اغتيال الجنرال جريفاس في الطائرة الكوميت B.E.A. في أكتوبر ١٩٧٦ .

الاستيلاء على الأبنية :

الاستيلاء على السفارات أو أبنية المؤسسات ، وبها أبرياء يحتجزون كرهائن ، على سبيل المثال حصار السفارة الإيرانية في لندن في مايو ١٩٨٠ .

ما ذكر آنفا كان مختارات عشوائية لعمليات إرهابية نمطية أثبتت تبعا لطبيعتها أنها قد هددت حياة الأبرياء أو عابرى السبيل . وعندما تمتد القائمة بحيث تشمل على حادث اختطاف القطار في هولاندة من قبل بعض أبناء جزر الهند الشرقية ، والاستيلاء على المركب الإيطالية أكيلي لاورو في البحر المتوسط في أكتوبر ١٩٨٥ ، فإنها تساعد على القاء الضوء على ما تتعرض له الأسفار من مخاطر . والاختطاف جانب من جوانب الإرهاب يستحق البحث في هذه المرحلة ، وإن كانت جوانب عديدة منه مازالت لم تطرق - على ما يبدو - وربما رجع ذلك الى تأثير الكتاب المتصلين بشركات التأمين . ويحتل هذا التهديد مكانة بارزة على درأس المسائل التي تهم الأفراد .

ولقد ظهرت بعض روايات جديدة بالإشارة عن الاختطاف ، وعلى رأس الروايات التي تستحق القراءة ينبغي أن نضج قصة سير جوفري جاكسون عن محتته ولما تعرض له على يد ال Tupamaros (١) (يجب أن لا نخلط بينها وبين Tupoe Amoras في بيرو) . وعندما أختطف سرجيس كان يشغل منصب السفير البريطاني في أوروجواي . ولقد عرف من مشاهداته أنه مرشح للاختطاف من قبل جماعة توباماروس . وشهدت بوكير ١٩٧٠ عشرات من أحداث الاختطاف السياسي في أمريكا الجنوبية حدثت حياة عدد كبير من أبناء الدول المختلفة ، من روس وألمان غربيين وأمريكان ويابانيين وجواتماليين .

وازداد تيقن جاكسون من أنه سيكون هدفا للارهاب الى حد أنه اتصل بوزارة الخارجية في لندن معربا عن موافقته على الموقع التبادلي الذي قد يلجأ إليه أثناء هذا الحادث . ووقع حادث الاختطاف في ٨ يناير ١٩٧١ . وتعرضت سيارة السفير لكمين نصبته جماعة من الارهابيين المسلحين . وعلى الرغم من علم اطلاق أية طلقات نارية ، الا أنهم انهالوا ضربا على جاكسون ، الذي كان قد سبق أن اتفق هو ووزارة الخارجية أثناء زيارته للندن قبل الحادث بستة شهور على علم الانصياع لرغبات الارهابيين وضغوطهم ، بصرف النظر عن أية تهديدات توجه اليه ، واستطاع جاكسون الحفاظ على هيبته رغم ايوائه في أماكن زرية . وفيما بعد ، وكما بين من كتابه ، فانه قد استغل وقته فدرس خلفيات من أسروه ، ودوافعهم . ويلقى الكتاب بعض أضواء مثيرة للفضة عن أحوال جماعة توباماروس . ولعله من الوثائق الكلاسيكية عن كيفية امكان حفاظ الأشخاص على هيبته عند التعرض لاي توتر أو ضغط .

بطبيعة الحال ، كان جاكسون مختطفا (بفتح الطاء) . ولقد أثبتت هذه القصة بالذات متى يقترب الارهابي من التماثل هو والمجرم العادي ، وأيا كان وصف هذه الحالة ، أي إجرامية أو سياسية ، فانه لا اختلاف بين التكتيكات المستعملة في الحالين ، ففي نهاية اليوم كان لدى الطرفين (الحكومة والمصاية الارهابية) « سلع » يراد دفع مقابل لها . وكثيرا ما تتمثل الفدية في حالات الاختطاف السياسية في المطالبة باطلاق سراح الرفاق المحتجزين ، أما المجرمون فانهم يسعون عادة للحصول على مقادير فورية من المال ، لا استطاع تتبع مصدرها أو مصيرها . ومن الطريف أن تذكر أنه في بعض مراكز الاختطاف (وإيطاليا مثل بارز في

هكذا الشأن) ليس من المستبعد إطلاقا أن يستأجر الإرهابيون خبراء إجراميين لانتهاز الاختطاف . ومن المؤكد أن الألوية الحمراء قد استغلت في الماضي مواهب عصابة « كلابريان » في أكثر من مناسبة ، وفي إحدى الحالات بالذات أثبتت بصمات المفاوضات أن العصابة قد أشرفت أيضا على عملية المساومة .

ربما كان من المعقول في الماضي القول بأن عمليات الاختطاف في إيطاليا كانت إلى حد كبير أعمالا إجرامية سعيًا وراء الترويح ، وفي مناطق أخرى من البلدان التي قامت بدور ريادي في الاختطاف كأمريكا اللاتينية، كانت هناك نسبة كبيرة من المختطفين من رجال السياسة ، ولقد شهدت ١٩٨٦ و ١٩٨٧ تفيرا في هذا الاتجاه ، فبعد انخفاض معدل الجريمة في شتّى الأنحاء في سنة ١٩٨٤ ، و سنة ١٩٨٥ عاد المعدل إلى التزايد ، كما يبدو ، ومن المتعذر الاستشهاد بالأرقام نظرا للمحاولات التي تقوم بها العائلات وسماسة التأمين للتستر على هذه الأحداث لأسباب شتى ، ففي بعض البلدان من غير المشروع دفع الفدية ، وإن كانت هناك في بعض البلدان هيئات قانونية على استعداد لاغماض عينها ، لو اتضح أن الفدية لصالح الضحية .

وفي الولايات المتحدة ، لعل أفضل الاتجاهات الواقعية ، هو الاتجاه الذي تسلكه F.B.I. . فهم على أتم استعداد لمقاومة اغراء الكشف عن مكان اختباء العصابة ، ومهاجمتها ، ويكتفون بمحاولة التلويح بتسليم المبلغ المطلوب آملين التصرف مع العصابة بعد إطلاق سراح الضحية . وهو إجراء معقول ، ويساعد على اقدماء العائلة على التعاون وتقديم كل المعلومات الميسورة ، التي يتيسر في المقام الأخير ل F.B.I. اصطيد العصابة ، وتفيد المحاكم عندما يقدم المختطفون للمحاكمة .

وفي إيطاليا من غير المشروع دفع الفدية : بيد أن عائلات كثيرة ترتاب في قدرة الشرطة على تحقيق انقاذ الضحية . وربما كان هذا التصور ظلما نوعا ، وإن كان هذا الشعور قائما ، كما أنه يتسبب في إيقار الصمود من أثر خشية اعلان الثروة الحقيقية ، التي قد تعرض الأسرة لخطر الكشف عن تهربها عن دفع الضرائب ، على أنه من أوجه النقص التي تخفف من حدة الموقف الإيطالي بعض الشيء : القانون الذي يبيح خرق القانون ، إذا كانت الغاية هي انقاذ الحياة ، وهذا حل هزيل ولكنه فعال .

وفي الثمانية عشر شهر الأخيرة ، أثبتت دراسة الحالات الميسورة حدوث ازدياد في أحداث الاختطاف في بيرو وكولومبيا وجواتيمالا ، وأن هذه الأحداث قد عاودت الظهور في إيطاليا ، والأسباب عديدة ومتنوعة . ولكن فيما يتعلق ببلدان أمريكا الجنوبية هناك مدرسة فكرية ترى أنه في الحالات التي تيسر فيها لصغار المجرمين الحصول على مورد اعاشة معقول من تجارة المخدرات ، فإن هذا قد ساعد على انتعاش تجارتها وحسن تنظيمها مما يسر للسنديكات الكبرى اعتصار الصاملين في نطاقات محصورة ، والذين لا يرغب « كبار المعلمين » تشغيلهم ، وهذا هو سر انتعاش الاختطاف مرة أخرى ، ولا ينبجج الاختطاف بالضرورة في اختيار ضحاياه من المعروفين بالثراء . ففي بيرو وكولومبيا ، حدثت عمليات اختطاف لم يسبقها اعداد وتدير لمجرد الانخداع في مظهر الضحية والظن بأنه يملك مالا وفيرا اعتمادا على طريقته أو طريقته في ارتداء الملابس أو بعد التعرف على المحلات التي يرتادها أو ترتادها .

المسؤولون بالمؤسسات الثرية يتعرضون دائما للخطر . وهناك بشائر كثيرة أثبتت ان هذه الحالة في ازدياد . وتتقاضى المؤسسات الضخمة الآن تعويضات من صكوك التأمين ، وإن كان هذا الاجراء لا يقلل الخطر (ويمتقد بعض أنه قد يزيد الخطر) ولكنه يزيد النفقات . وقد يدفع رئاسات المؤسسات الى الاستعانة بخبير مقتدر يستشار في كيفية اجراء المفاوضات بمهارة .

وهناك حكايات تروى في دوائر المستشارين عن أسرع مفاوضات قياسية جرت في هذا الشأن . فلقد اتصلت إحدى المصائب بأب ايطالى وأخبرته أن أصغر بناته قد اختطف في عصر ذلك اليوم ، وطلبت فدية لو أراد أن يراها ثانية على قيد الحياة ، وجاء رد الأب الايطالى على الوجه الآتى : « ان لدى عشرة اطفال ، وهم جميعا مصدر هم وضيق لى ، ويكلفوننى الكثير من المال لرعايتهم . ولا يحتاج انجابهم لأكثر من ثوان معدودة . فاذا نقص أحدهم ، لن تكون هناك مشكلة ، ولعلها ستكون نعمة » . وبعد أن أجاب على هذا النحو وضع سماعة التليفون على الفور ، على أننا لاننصح باتباع هذا المسلك لو أراد المسؤولون الشعور بالأمان !

وستستمر أحداث الاختطاف ، والحيولة دون حدوث أحداث من هذا القبيل للمسؤولين والدبلوماسيين مسألة صعبة من الناحية المادية والعملية ، فهي تحتاج الى عدد كبير من السيارات المجهزة بأفراد مدربين أحسن تدريب ، ولديهم وسائل اتصال حسنة ، وهذه ناحية مكلفة .

وسوف تعاني السفارات والشركات والمؤسسات معاناة شديدة لو حولت دورها الى « قلاع محصنة » ، أو عملت على حماية العاملين فيها . في الذهاب والاياب بنقلهم في سيارات تسير في قافلة محمية بالشرطة . ولربما أدت هذه الوسيلة الى التجاء الارهابيين الى نصب الكمائن ، لو أحسنت أن الهدف المراد اختطافه فريسة ثمينة . ولعل أفضل طريقة للوقاية هي تدريب المسئولين وعائلاتهم وتعريفهم أبسط قواعد الاحتياط التي تساعد على تصعيب اختيارهم كالأهداف ، أى يجب أن يدأوا باتباع وسيلة علاجية قوامها الحرص على الذات : « لو أننى جعلت نفسى هدفا صعبا للارهابيين فانهم سيضطرون الى البحث عن شخص آخر . فليكن المتخلفون من نصيب الشيطان ! » .

ولنتقل بعد ذلك للكلام عن النطاق الذى ينال أعظم قدر من الاهتمام الاعلامي . انه العمليات الارهابية التى يكون ضحاياها من بين المسئولين المسافرين في رحلات جوية . ولعلها أتعج المخاطر التي شغلت الارهابيين حتى الآن . وهذه مسألة تستحق النقاش ، فما هو سر شعبيتها ؟ وما الذى يساعد على اثارها للكثير من المشاعر ؟ فقوائم المسافرين تضم عادة اناسا من أجناس متعددة ، من بينهم عدد لا بأس به من النساء والأطفال ، والاتصالات على خير حال ، والمطارات الدولية تقع فى أماكن لا يتعذر وصول مصورى الصحف ومخبريها اليها ، وآخر ما يذكر فى هذا الشأن ، وان لم يكن أقل العوامل أهمية هو الوجود الفعلى لسيارات تحت أمر الارهابيين مما ييسر وصولهم الى ملاذ آمن بعد انجاز فعلتهم ، وثمة عامل آخر جدير بالنظر . فحتى اذا توافرت أفضل قوات مدربة فان اقتحام الطائرة الجائئة على الأرض من أصعب المهام ، وبخاصة الآن بعد أن تعلم الارهابيون دروسا من موجداتشيو وأحداث مماثلة . ولعل القارى أكثر اهتماما بكيفية منع حدوث الاختطاف أكثر من اهتمامه بأحداث الاختطاف ذاتها . فوق كل شيء فانه بمجرد اختطاف المسافر فانه لا يعرض حرصا حرفيا على أى شيء خلاف اطاعة القواعد الأساسية التى تدعوه الى عدم الاتيان بأية حركة أو لقاء أية نظرة تشتمل منها المشاعر العدوانية ، وأن يتض من بصره ، ويترك أمره لله آملا انهاء الرحلة على خير .

وفي السنوات العشر الأخيرة مثل الأمن فى المطار أشرس جوانب الرحلة الجوية . ولقد أنفق قدر كبير من المال لحل هذه المشكلة . غير أن المتفجرات والأسلحة مازالت تهرب الى داخل المطارات والطائرات . بلا انقطاع ، فما سر ذلك ، وما الذى يجرى - ان وجد مثل هذا الاجراء -

لا يقاؤه ؟ وأول مسألة ، جديرة بالملاحظة هي أن السفر بالطائرات قد ساعد على انكماش حجم العالم وعلى اختفاء الحدود بين الأمصار ، ولم تعد المهام التي جرت العادة على إنجازها في غضون أيام كثيرة تتطلب أكثر من ساعات قليلة . وتدفع روح البحث وحس الإنجاز والمغامرة الإنسان الى استصعاب وسائل النقل رغم الأخطار ، ومن أصعب المهام التي تواجه الإنسان ويجب أن يحسب لها كل حساب مقارنة الخطر بما سيجنه من وراءه .

ولقد بلغت السياحة العالمية القمة . فهي تنقل الملايين من الباحثين عن المتعة الى المطارات . ولم يصدق القول بأن السماء هي الحد الذي يقف عنده الإنسان مثلما يصدق الآن . وإذا استطعنا التغلب على عامل الخطورة سيفعل السفر الجوى مستحبا لما له من مزايا كالكفاية والراحة والمتعة واليسر . والعوامل الكامنة وراء تحقيق التحسن في الرحلات الجوية وتأمينها هي بالضرورة عوامل تجارية وإنسانية . وعلى الرغم من تصدر العامل التجاري ، ويعد بالتأكيد الفاصل الأخير ، فإن هناك ناحيتين من نواحي العامل الإنساني قد جعلت للتجارة هذه المكانة .

ففي مقابل كل عشرين خبيرا يقولون : « لا وجود لما يدعى بالأمن الشامل » ، يوجد ثمانون يرفضون هذا الزعم . وربما سلمنا بذلك ، لأن الطرف الأخير قد يؤيد مزاعمه بإبداء ملاحظات عن انحطاط مستوى الحياة ، وعدم تقبله لها - فيما يحتمل . ومن أسف أن العشرين الأوائل هم الذين على حق . فليس هناك حقوق مطلقة للبراءة . فإذا وجد الشخص القادر على لم شمل الأشياء ، سيوجد في مقابله الشخص القادر على تشتيت هذه الأشياء « وفركشتها » . ويصح هذا الكلام الى حد كبير عن المعونات التقنية لتأمين المطارات . ولا يقتصر الأمر على ذلك . إذ يتدخل العامل الإنساني الثالث المتمثل للهشاشة ، والذي يبقودونا مصادفته على أنحاء ثلاث ! الطمع والقدرة على التركيز وضعف الذاكرة . فإذا بدأنا بضعف الذاكرة سنرى أنه في أعقاب أي حادث اختطاف طائرة يذاع على الملأ ، لا يستبعد أن تسمع صحيفات عامة عن تسرب أسلحة ومفجرات الى داخل الطائرة . ويصبح عامة الناس مطالبين « بإحكام الأمن » ، ويقبلون لفترة وجيزة من الزمان الطواير الطويلة في مكاتب التفتيش الأمنية . ويحتون رؤوسهم بحكمة كل منهم للآخر ، ويحسون ببعض التفاهات . ويعد أسابيع ، يصبحون متذمرين من التأخير وانعدام الكفاءة « وما أشبه » ، وتدخل الجرائد اليومية بمواد أخرى ، فينسى حادث

الاختطاف • ان هذه الحالة هي واحدة من أعراض ضعف الذاكرة ، وكان قانون Sod قد عاد للحياة مرة أخرى •

وعلى الجملة ، يمكن القول بأن المساعدات التقنية مثل استخدام الأشعة السينية في التفتيش على الحقائب ومكتشفات المفجرات فيها الكفائية ، فيمقدورها أن تؤدي واجبها عندما تكون مدة التفتيشات ساعتين أو أربع أو ست أو ثمان ساعات ، وأن تفتش الحقيبة تلو الأخرى ، ومن المؤسف أن كل ما يتركز عليه انتباه القائمين بالتفتيش من البشر عبارة عن خيالات سوداء ويبيضاء تظهر في « المونيتور » • ولا تسهل عن مقدار دقتها • ولا تنسى أن مدة تعرضها لا تزيد عن ثوان معدودة ، وأنها في تنابها السريع تترك القائم بالتفتيش مشدوها ، وكأنه تحت تأثير حالة تنويم مغناطيسي • ومن غير المقدور أيضا الاعتماد حتى على أصحاب أعظم قدر من اللياقة البدنية وأصحاب النوايا الحسنة للتعرف بدقة على ألوان الحقائب النائمة التحرك على المونيتور الصغير وأشكالها وتكوينها ، وعليك أن تجري اختبارا بنفسك بالنظر الى تليفزيون منزلك ، وحاول أن تحدد المدة التي باستطاعتك أن تركز فيها تركيزا تاما ، دون أن تبعد عينيك عن الشاشة ! - وربما ذكر علماء النفس أن كفاية الاداء ومدى الانتباه يهبطان هبوطا سريعا بعد مدة تتفاوت من اثني عشرة دقيقة الى خمس عشرة دقيقة • وتزهو الكثير من سلطات المطارات ، لأنها تجري تبديلا للفريق المسئول عن الأمن كل خمس وأربعين دقيقة • وفي بعض مواقع ، قد يكتفون بنقلهم من مونيتور الى مونيتور آخر !

ومن الناحية التجارية ، من غير مقدور شركات الطيران والمطارات أن تسير الجموع الشديدة الازدحام ، ولعلها تضيق مما يحدث من تأخر أو ربما الغاء للرحلات اذا افترض أن أمتعة جميع الركاب قد فتشت تفتيشا دقيقا •

وكثيرا ما أشير الى أن أحداث شلل كامل في المطارات قد يساعد - بقدر كبير - على منع الارهابي من القاء قنبلة - وفي هذا المقام قد يضئ هذا الشلل الاستبعاد الكامل لغير المسافرين من دخول المحيط الخارجي ، ولا يسمح بدخول أى أصدقاء أو عائلات لتناول القهوة مع هؤلاء المسافرين قبل الرحيل والسلام • وبذلك تختفى ساحات المتفرجين ولا يسمح بالدخول الا لمن سبق حصولهم على التذاكر ، ولأن تم فحصهم بواسطة الكومبيوتر من الركاب ، ولا تصطف طوابير للمتفرجين الا خارج المحيط الخارجي • أما في الداخل فلا يبقى أى شيء • أى تختفى اللقاء

والمحلات ، وأدرف الصحف ، أى لا يبقى أى شيء على الإطلاق . وسوف تتحقق خسائر للأمنظمة المساعدة ، وستزداد ضرائب المطارات والقيصة الابجارية . وبلاستطاعة تحصيل هذه الزيادة من الجماهير التى لن تكف عن الاحتجاج لما لحق أئمان التذاكر من ارتفاع .

فما الذى يمكن أن يفعل ؟ يتعين تدريب الكافة لتعريف المسافرين بما الذى يجب أن يلحظه ، وتشجيعه على الإبلاغ عن ذلك ، مما سيعود بالنفع ، وهل يتوقع أن يزداد افراز الأدرنيلين بحيث يفرز الكمية الكافية التى تساعد على زيادة كفاية المفتشين إذا سافروا على نفس الطائرة برفقة الركاب والأمتعة التى يفتشونها ؟ ليس من شك أن هذا سيساعد على رفع مستوى الحوافز ، فليس هناك أى شيء بوسع المسافر أن يفعله فى المطارات الدولية خلاف التزام الحذر واختصار الوقت الذى يمضيه متسكعا بالقرب من مكاتب فحص أوراق الركاب المهددة . فعليه أن يصل مبكرا ، وأن يجرى عمليات الفحص الشكلية الخاصة بالتفتيش ، وأن يمضى وقت الانتظار فى آمن مكان ، أى فى صالة المسافرين ، ثم يغادر على الفور .

ولقد قامت F.B.I بتوزيع حراس الجو على الطائرات . وقامت قوات الأمن الاسرائيلية بنفس الاجراء فى الوقت نفسه تقريبا . وسلح هذا الحرس وخصص له مكان استراتيجى فى الطائرات ، ولكنه كان من أسف بلا حول ولا قوة فى تأمين الطائرات . وربما نسبت له مسئولية الحوادث فى بعض الحالات . على أن الدعاية التى أحاطت وجوده قد ساعدت لفترة طويلة على تخفيف وطأة التهديد بدرجة ملحوظة .

وحماية رئاسات المؤسسات أيسر كثيرا . فبالامكان عدم السماح لأحد بدخولها الا بعد فحص بطاقات الهوية ومعرفة الغرض من الزيارة ، والتأكد من سبق تخديد موعد لهم بعد مراجعة الأوراق الدالة على ذلك ، وفى هذا الاجراء الكفاية ، على شريطة تعزيزه بعقد دورات تدريبية لتعريف جميع العاملين بالاجراءات الأمنية (انظر الفصل السابع عشر) . وربما ظهرت مشكلات أخرى فى حالة الفنادق ، التى كانت لجملة سنوات من بين أهداف الارهابيين ، وان كانت أية رئاسة من رئاسات المؤسسات قادرة الآن على تزويد مسئوليتها الذين ينتقلون من مكان لآخر ببيانات عن التهديدات التى يتعرض لها الوافدون من دول مختلفة . وليس من الصير الحصول على هذه البيانات عن طريق الملحقين التجاريين والمسئولين عن الأمن فى الفنادق الراقية ، ولا ننسى أيضا وجوب الاسترشاد بقيمة الفدية التى ترد فى التهديد .

وعلى الرغم من أن اختطاف الأشخاص والرحلات الجوية يمثلان الأخطار الرئيسية التي تواجه الدبلوماسيين والمسؤولين ، إلا أنه يجب أن لا يضيع عن فطنتنا أن هناك أشكلا أخرى من الاختطاف قد حدثت في محاولة لابتزاز المال من الشركات والأفراد ، ولقد احتل حادث سرقة (شيرجار) في ولاية كيلداري في جنوب ايرلاندة حيزا كبيرا في أنباء المملكة المتحدة أشبه بالحيز الذي تحتله حالة اختطاف احدى الطائرات ، فلقد اختطف في فبراير ١٩٨٣ من حظيرته الحصان شيرجار الذي أحرز جملة جوائز في ميدان ربح الدربي ، والذي يعد قرة عين أغاخان وطلبت فدية ، ولكن المفاوضات التي تولت أمرها احدى الشركات الخاصة أخفقت . ويفترض بوجه عام أن الحصان قد مات الآن . وألقيت مسئولية هذا الحادث على عاتق منظمة الجيش الايرلاندى المؤقتة

لا يبدو أن هناك قاعدة احصائية يمكن الاستناد اليها في تقدير الفترات التي ترتفع فيها أعمال الارهاب الى ذروتها ، وان كان أكثرها يحدث أثناء أعياد موالد القديسين والشهداء ، وخلال المواسم الدينية فلقد اختارت (PIRA) أهدافها الارهابية في انجلترا ابان عيد ميلاد السيد المسيح زهاء جملة سنوات ، ويتمين أن يتضمن أى تقدير للأحداث التي تهدد الأمن القومى الفترات التي يحتمل حدوث عنف فيها ، ان وجب

وربما كان من الخطأ - أخلاقيا - التحدث بشئ من التفصيل عن الأهداف المحتملة تعرضها لاعتداء الجماعات الارهابية ، والتي تجاهلوا حتى الآن ، ويكفى القول بأن هناك مواقع عديدة سيكون حدوث أى اعتداء ارهابى عليها من أبشع الكوارث .

٨ - الاغتيال

... انها الصورة المتطرفة للرقابة

(جورج برناردشو The Rejected Statement)

من المؤسف ، وان كان من المحقول أن نتصور إن تداعي المعايير التقليدية ، وما صاحب ذلك من استعداد متزايد للاتجاه للعنف لتحقيق غايات سياسية قد خلق بالفعل تنظيمات سياسية في جميع البلدان ، وكلمة assassination (اغتيال) لها أصل مثير للاهتمام . فلقبه ظهرت في بواكير عهد الصليبيين والحروب الدينية في الشرق الأوسط ، عندما اتبع القائد الاسلامي العظيم صلاح الدين تكتيكا كان له ابلغ اثر على كفاية المقاتلين وروحهم المعنوية ، اذ كان يزود محاربيه الذين كانوا يهاجمون ليلا « بالحشيش » (٢) ، وعندما يتخذون ويتشبعون بالحماسة الدينية ، كانوا يتسللون الى صفوف خيام الصليبيين في الظلمات ، ويقطعون رقاب الجنود النائمين ، وعرف هؤلاء الجنود باسم « الحشاشين » ، ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الانجليزية assassination . والاغتيال موجود عندنا منذ قرون ، ولكن فنه ارتقى بمضى الزمن .

عليك ان تتوقف قليلا لتتأمل أسماء بعض زعماء العالم الذين اغتيلوا في السنوات الأخيرة ، ولاحظ انتمائهم الى مختلف أقطار العالم :

(*) يخلط المؤلف خطأ فاحشا بين صلاح الدين وبين حسن الصباح زعيم فرقة الحشاشين في شمال سوريا .

الرئيس الهندى (شيللى) والرئيس شرماركى (الصومال) والرئيس موندلين (موزامبيق) والرئيسة ياندرانيكة (سريلانكة) والملك سعود والملك فيصل (السعودية) والرئيس ريمون (بنما) وتوم مبوبا (كينيا) وسيرريتشارد شاربلس (حاكم برمودة) والشيخ عثمان (اليمن الشمالى) والرئيس راتبيسماندراما (مالجاشى) والشيخ الرحمن (بنجلاديش) والرئيس ثومبالاى (تشاد) والرئيس كيندى (الولايات المتحدة) والرئيس محمد (نيجريا) وإيرى نيف (انجلترا) وأنور السادات (مصر) ومسر أنديرا غاندى (الهند) (*) ، بل وحدثت محاولات أخرى لاغتيال البابا والمسر تاتشر . ولو ذكرت القائمة كاملة بحيث تتضمن أيضا مئات المحاولات التى لم تنجح لازدادت القائمة طولا ولبست مخيفة لأنها ستضم شخصيات تنتمى الى جميع أركان المعمورة .

ولقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة محاولات انقلابية فى قرابة ٦٠٪ من البلدان الأفريقية ، ونجحت ١٨ محاولة انقلابية من بين ٢٢ محاولة فى أمريكا اللاتينية ، بينما تعرضت ٦٢٪ من البلدان الأفريقية لمصائر مماثلة ، مع حدوث محاولات فى أغلب الدول الأخرى ، وعلى الرغم من أن الانقلابات ليست منتشرة فى الشرق الأوسط (فنسبتها لا تزيد عن ٥٠٪) إلا أن حوادث الاغتيال ومحاولات اغتيال الزعماء السياسيين والزعماء التقليديين أمر شائع .

وإذا نجح العنف كوسيلة لتحقيق غاية سياسية ، فإنه سيصبح أقرب الى المرض المتوطن ، فستعتمد شخصية تلو الأخرى بعد أن تتعرف على الوسيلة ، الى شق طريقها بالقوة الى الأمام لبلوغ ما تعتقد أنه حق شرعى لها : السيطرة على السلطة ، وهكذا يتضح أن الانقلابات والاضطرابات نادرا ما حمت أية دولة من انتشار العنف ، كما أنها لم تساعد على توقفه . ولناخذ الأرجنتين مثالا لنا . فبين ١٩٥٢ و ١٩٥٣ حدثت بها ثمانية انقلابات ، وحدث بها عدد مساو لذلك منذ ذلك الحين حتى الآن (١٩٨٧) . ومازالت بعيدة عن الاستقرار . ومن اليسير التنبؤ بكل اطمئنان بأن ازدياد ارتقاء الأسلحة ومنازل النقل ، وتعقد الدوافع من أثر امتلاء العالم بالمنازل السياسية المعقدة والمآزق الأخلاقية - التى لم تلق الا القليل من الحلول - جميع هذه المؤثرات قد أدت الى حدوث تغيير للحكومات باتباع وسائل العنف ، وأصبحت أمرا مألوفاً للغاية .

(*) لقد زادت الأسماء كثيرا منذ ذلك الحين . ويمكن أن نذكر فى آخر شهود سنة ١٩٨٩ مصرع رئيسه موسى رئيس لبنان وأحمد عبد الله رئيس جزر القمر .

والاغتيال من بين المخاطر التي تشغل بال جميع الزعماء السياسيين ولقد وجد الاغتيال دائما ، وسيظل باقيا على اللوام - فيما يحتمل - ولكن ما هو تأثيره على المسافر في مهمة عملية ؟ انه يمه على جملة أنحاء ، اذ تعد معرفة تقنيات الاغتيال ، ودوافعه وأهدافه جانباً من الفهم الشامل للارهاب . فلقد أدت المخاطر في ميدان المصالح الاقتصادية ، وبخاصة في بلدان العالم الثاني والعالم الثالث الى قيام محادثات ومفاوضات في الساحات السياسية العليا ، وغالبا ما تلور في مستوى الرؤساء ونواب الرؤساء . وفي كثير من الأحوال ، كان ما دفع الى حدوث مثل هذه الأوضاع هو الارهاب ذاته . اذ يدين الزعماء الذين اشتهروا بالفساد ، وأيضاً الزعماء الذين صمموا على ازالة الفساد بمناصبهم الى ما قاموا به من انقلاب ناجح أحسن تدبيره ، وبمجرد استيلاء هؤلاء الزعماء على السلطة فانهم يحجمون عن تفويض آخرين بتولى الرقابة على المسائل المالية . وسواء أكان الدافع لذلك هو فقدان الثقة ، أو الرغبة في تضخيم أرصدهم لمواجهة الطوارئ ، فان هذه النواحي تكاد تكون مسائل ثانوية في نظر المسئولين من رجال الأعمال ، ولكنها تعنى احتمال تعرضهم من حين لآخر لكي يصبحوا أهدافا سياسية أو أهدافا للارهاب فالمدفع الرشاش والقنبلة - بوجه خاص - لا يفرقان بين الأشخاص . فبجرد الوقوف على المسرح ، وبغض النظر عن هل يعد الشخص بريئا أم لا فانه سيكون عرضة للوقوع في أسر قوات الأمن في أى بلد معاد

ومن الطريف والمثير للانتباه أن نبحت الدافع الأساسى للاغتيال . والدوافع الفردية معقدة للغاية ، ويتعذر توضيحها . وغالبا ما يقتل القاتل في المحاولة ، وكثيرا ما يتعذر انتزاع أية معلومات منه حتى اذا قبض عليه . وغالبا ما تستغل الجماعات الارهابية حالات الاغتيال غير المخطط ، وتدعى مسئوليتها عنها ، كوسيلة دعائية ، وفي حالات ملحوظة لا تتكشف الحقيقة على الاطلاق على نحو مرض . ويكفى أن تتأمل الأساطير والاشاعات والأغذار الباطلة التي مازالت تحاك وتحيط باغتيال الرئيس كيندى . واذا تحدثنا بوجه عام ، سنرى أن الدوافع تنطوى تحت احدى الفئات التالية ، أو قد تجمع بين فئة أو أكثر مما يأتى :

الدوافع السياسية أو الدينية أو الاجرامية أو المالية أو النفسية المرضية أو العرقية .

وغالبا ما لا يظهر أى تشابه بين نتيجة الاغتيال والأهداف الأصلية للقاتل . ويصح هذا بوجه خاص عندما يكون « الهدف » رئيسا للدولة

أو يشغل وظيفة سياسية عليا مماثلة • ولعل أفضل مثال لذلك ما حدث عند اغتيال الأرشيديون فرانس فرديناند في النمسا في ١٨ يونيو ١٩١٤ فخلقه اشتراك في الحادث ستة رجال ، ومازال الخلاف محتسما بين المؤرخين حول هل كان الجنرال بوتيموريك الذي كان مسافرا برفقة الأرشيديون : آتخذ هو الهدف الحقيقي للاغتيال ؟ • وبفض النظر عن النتيجة النهائية للخلاف ، الا أنه من المؤكد أن الجماعة القوضوية (اليد السوداء) هي التي خططت لعملية الاغتيال ، ولكن لم يدر بخلدها ما ستجره في أذيالها من عنف وهنجية بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الأولى التي أعقبت حادث سرايفو في التو •

وبالمقدور تحويل أى شيء من الأشياء التي بين أيدينا الى سلاح • وتخضع الوسائل المستخدمة لقريحة الانسان والحاجات التي تتطلبها العملية التي يراد تنفيذها ، أما الأسلحة التي تنتقى « لعمليات القتل بالأمر » فانها ترتبط عادة بمطلب أو مطلبين هامين ، أولا ، هل ينوى القاتل الهروب بعد اصابته للهدف ؟ ثانيا - هل يحتاج السلاح الى اخفاء لتوصيله الى محل استعماله ؟

وباستثناء حالات الشهداء ، الذين يقصدون الشهادة ، والذين يقتصر وجودهم - عادة - على الشرق الأوسط ، وغالبا ما تكون لديهم تطلعات دينية ، فان الارهابى المصرى يرغب فى معظم الحالات فى الهروب « بجلاء » بعد العملية ، وقد أدى هذا الى شيوع أجهزة التفجير عن بعد ، ويحبها فى الأفضلية السلاح النارى البعيد المدى • وليس استخدام أجهزة التفجير عن بعد بالأمر المستحسنت ، كما يعتقد بوجه عام • تأمل النبذة الآتية :

« فى الاحتفال بيوم القوات المسلحة فى المدرسة الحربية بكاراكاس عاصمة فنزويلا ، ركب الرئيس روميلو بيتانكور متنقلا فى شوارع المدينة فى السيارة الليموزين الخاصة بالرئاسة • وكان يتبادل الحديث مع وزير الدفاع خوزيه لوبيز هنريكيث وزوجته بجواره • وعلى حين غرة ، جنحت السيارة السوداء يقودها السائق ازايل فاليرى وانحرفت تجاه Avenida de los Proceros ، بعد أن اعترضتها سيارة أولدموبيل هودين ١٩٤٥ ، التي تناثرت على القور الى آلاف الشظايا وغمرت المكان بالبراز والسخان الكثيف الذي ارتفع الى ما يزيد عن ثلاثمائة مترا ، وحاول الرئيس ووزيره فتح الباب الخلفى لاجراج السيورة هنريكيث لتأمين حياتها ، وبعد أن أصيب بحروق شديدة الشوقير فاليرى ، وأحد المسوقين

بالرئاسة والكونغرس رامون أرماس بيريت ، فانهم سقطوا جميعاً من المقعد
الأممي (١) .

ونجا بيتاكورت من المحاولة ، ولكن وزير دفاعه لم يتمثل معه في
الجلسة ، فقد مات بعد وصوله الى المستشفى بوقت قصير .

وحتى ما يقرب من السنوات العشر ، كانت الطبنجة هي السلاح
المفضل للاغتيال . وربما رجع ذلك الى سهولة اخفائها والحصول عليها .
على أن عيب الطبنجة يرجع الى الحاجة الى زيادة الاقتراب من الهدف . كما
أن نسبة عالية من القتلة الذين استعملوا هذا السلاح كانوا يصابون
بالذعر في أعقاب المحاولة ، ومن الطريف أن يلاحظ أن عددا كبيرا من
القتلة الذين استخدموا الطبنجة ممن قبض عليهم قد ادعوا أنهم مصابون
بأمراض عقلية ، أو كانوا مصابين بالفعل . وسواء أكان هذا الادعاء
حقيقيا ، أى أنهم كانوا مصابين بالفعل ، أو كانوا قد اختبروا بعناية
- بحيث يبدون كذلك - من قبل المنظمات التي كلفتهم بعملية القتل ،
فإن هذا الأمر لن يعرف قط . ولقد عانى رجال السياسة في الولايات
المتحدة بوجه خاص من أولئك المرضى النفسانيين ! . وإذا اكتفينا بما
حدث في العشرين سنة الأخيرة ، سنرى أن اثنين من أشقاء كيندى قد
ابتلوا بمثل هذا الصنف ، وأصيب المحافظ والاس (محافظ ألباما)
بالشلل من جراء اعتداء أحد أدعياء الحبل ، وأطلق واحد منهم الرصاص
على مارتين لوتر كنج . وفي اليابان سنة ١٩٦٦ هاجم مجنون يدعى
شييجيت سوجو وزير الخارجية الأمريكية وجرز وسفير أمريكا ويتشارد
ماير باستعمال سكين .

وظهرت أسلحة غريبة في جميع العصور ، فلقد أغتيل في المكسيك
في ٣٠ أغسطس ١٩٤٠ ليون تروتسكي أحد زعماء ثورة ١٩١٧ البلشفية
وأول قوميسير للجيش الأحمر ، ونفاه ستالين . وأستعمل فأس الجليد
لقتل رامون ميركادير . وفي ٢ يناير ١٩٦٩ ، كان الامبراطور هيروهيتو
يقف في شرفة قصره ملوحاً لجموع تناهز الأربعة آلاف شخص أثناء
الاحتفال بالسنة الجديدة ، وأطلق كنزو أوكوزاكي أربعة رصاصات
باشيتكو من الصلب باستخدام مقلع ، ولما كان أوكوزاكي واقفاً في
مستوي الأرض على مسافة بعيدة نسبياً من الامبراطور لذا انحرفت الطلقات
بعيدا عن الامبراطور . ويتعين أن يلاحظ أن اسم أوكوزاكي كان مدرجا

(١) جريدة التايمس في ٤ يوليو ١٩٦٠ .

في قائمة الشخصيات الخطرة (وكان الحال هكذا أيضا فيما يتعلق
بلي هارفي أوزوالد قاتل كيندي المزعوم) . وهذا يبين ضرورة وضع أمثال
هؤلاء المشبوهين تحت التحفظ أثناء الفترات التي تظهر فيها الشخصيات
الهامة جدا والمعرضة للتهديد في أية اجتماعات عامة ، ولعل أصلق رجعة
الى « الحشاشين » قد مثلها تيديانو كاييتسا عندما جرى وسط الزحام
وحاول خنق الرئيس سيكوتورى رئيس غينيا . وقد عثر على كيتا فيما
بعد وهو يدخن صنفا فائرا من الأفيون .

ولربما كان استخدام السم هو أبكر الوسائل المعروفة للاغتيال ،
ولا ريب أنه من أفضل الوسائل فاعلية لأنه يتيح للقاتل فرصة عدم
الكشف عنه ، وفي الوقت نفسه ، فإنه ليس من الضروري - باستثناء
حالات المواقف المرضية النفسية أو المالية - إنهاء العملية بالقتل ، اذا
كانت الغاية المرغوبة هي إبعاد هدف الاغتيال من السلطة ، فإذا أمكن
تحقيق ذلك ضد رأس الدولة أو أحد كبار الساسة المسئولين ، باستعمال
وسائل تؤدي الى إلحاق الشين به أو بهم ، كان هذا هو الأفضل بالنسبة
للنتائج التي ستعود على سياسته وحزبه ، وعلى هذا لا يخفى أنه اذا نجح
أحد السفاحين المحترفين في إحداث تلف في منح الضحية أو أصابه بالعمى
أو سرطان الكبد أو المثانة أو الكلى ، فإنه سسيكون قد حقق مبتغاه ،
وبالمقدور استغلال الحالة المرضية الطويلة الأجل عند أحد الضحايا لشن
حملة قذرة ضده ، وهل هناك ما هو أفضل لتلويث سمعة أية حركة
سياسية من موت زعيمها مصابا بالعمى أو الجنون أو متعفنا اثر أصابته
بمرض خبيث ؟ ان هذا شيء مهول ! ، نعم ولكن يؤثر عن K.G.B.
(وكالة المخابرات السوفيتية) أنها قد استخدمت الـ *Caesium* كوسيلة
للقتل في العشرين سنة الأخيرة أو يزيد ، ولن يكون البضحية في حاجة
لاكثر من وجبة واحدة اذا استعمل هذا المسحوق الأبيض الحميد في
مظهره ، لكى يموت بسرطان الكلى في بحر شهور تسعة . وبوسع القاري
الشفوف بهذه النواحي أن يبدل بعض الجهد ويبحث عن عدد الساسة
فى أوروبا الغربية الذين ماتوا بسرطان الكلى فى السنوات العشرين
الأخيرة ! .

وتزودنا الصناعات البتروكيميائية فى أواخر القرن العشرين بكميات
وفيرة من المواد السامة ذات المفعول الكيميائي القوي الفذ . وبالمقدور ادخال
هذه المواد عن طريق الرئتين والجلد أو المعدة ، واذا أحسن اختيارها
فإنها قد تكشف عن أعراض يكاد يتعذر التفرقة بينها وبين الأعراض
الطبيعية . وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الحفاظ على النسجلات

الطبية أمرا عظيم الأهمية لتأمين حياة الشخصيات العظيمة الأهمية .
ويعد الشخص المهدد بثوبة قلبية أو أى مرض من أمراض العصر هدفا سهلا ، لأن أعراضه يمكن أن تستتخر عن طريق الاستخدام البارع للمواد السامة الميسورة .

وهناك بعض محاليل (*) عظيمة التأثير ، وهي متوافرة فى المذيبات المستخدمة فى الصناعة ، وإذا تعرضت للتخفيف والتسخين ستظهر الأكاسيد التى تنتج الفوسجين (اذ ينتج الجرام من ثالث كلوريد الكربون ٢٧٥ مليجرام من الفوسجين) . وليس لأى محلول من هذه المحاليل نقطة اشتعال ، ومن ثم قبلا يمكن تسخينها دون خوف من حدوث انفجار والفوسجين غاز سام وبلا رائحة ، أو لون ، أو بخار . ومن السهل استنشاقه . وقد استخدم سلاح هجومى فى الحزب العالمية الأولى وتشابه أعراضه هي وأعراض النوبات القلبية . ولن يكتشف سببه الأصلي الا بعد اجراء تشريح دقيق . وبالمقدور استخدام أى محلول من هذه المحاليل بسهولة اذا مزج بالبنزين فى السيارة ، وعندما تنطلق السيارة وتصل درجة حرارة البنزين الى درجة الحرارة العادية لسير السيارة فان الفوسجين يتكون ويوصل الى مستودع زيت الموتور . وما أسهل انتقاله من عدة فتحات ووصلات الى أن يصل الى مكان جلوس ركاب السيارة عن طريق جهاز التهوية ، وربما تعرض السائق والركاب لنوبات قلبية ، ولن يوفق فى الكشف عن السبب الأصلي الا اذا أجرى فحص دقيق للطعام ، ويزداد تأثير ثالث كلوريد الكربون اذا ابتلع مع الكحول . وربما أدت حتى الجرعات المعتدلة الى احداث حالات تسمم (ويسكى + ثالث كلوريد الكربون والصودا) وابتلاع ال C.T.C بهذه الصورة مميت بلا شك ، لأنه يحدث تليفا فى الكبد من أثر التسمم الكحولى (٢) ، لقد عمدنا الى اختيار حالات الاغتيال المشار اليها آنفا كاصدين اما اثبات احدى نقاط النقاش ، أو لأنها وثيقة الارتباط بالفصول التالية ، ولكي نبين اننا لازلنا لم نتعلم دروسا كافية رغم مرور الوقت وإذا راعينا وجودنا فى مكان قريب من الاحداث المحتملة ، فى مجرى الميدان المعتاد لنشاط رجال الأعمال ، والطباجة العامة لفهم أخطار الاغتيال ، فانه من المستبعد أن يكون رجل الأعمال نفسه هدفا للاغتيال بالطريقة التقليدية أو الكلاسيكية . على أن هناك ناحية من الاغتيال قد

(*) من أمثلتها Perchloroethylene, trichloroethylene, trichloroethane

وثالث كلوريد الكربون .

On Cirrhosis of the Liver - on Oettingen.

(٢)

تهمه بوصفه شخصا عظيم التأثير يحكم حالته أو بوصفه ممثلا لهيئة
مستولة في نطاق منافسة تجارية حساسة . وليست هذه الناحية
واضحة دائما ، ولكن بالاستطاعة اتخاذ بعض الاجراءات للتخفيف من
آثرها . ونحن نشير هنا الى الاغتيال عن طريق تلويث سمعة
الأشخاص .

ويقصد بهذه العملية غالبا ازالة الشخص المعرض للحملة من مقاعد
السلطة ، ولا يلزم أن يتحقق ذلك عن طريق قتله . وهل هناك ما هو
أفضل في عالم الاعمال للخلاص من المنافسين من تشويه سمعة فمثل
المؤسسة أو المؤسسة الكبرى التي ينتمى اليها ، ففي حياة كثير من
الأشخاص هنات وأحداث تافهة ، ليس لها علاقة على الاطلاق بتجار حياتهم
أو أعمالهم أو شخصيتهم ، تأمل كيف استطاع بعض جهابذة الاعلام
استقلال مثل هذه الأحداث ؟ . فما أسهل تحويل سيجارة الماريوانا
العديمة الضرر التي دخلها شخص ما أثناء صباه . من باب العلم بالشيء . -
في أيام الكلية الى اشتباه بتعاطي المخدرات من النوع الثقيل . وما أسر
النسخ في أية علاقة غرامية قصيرة عابرة ، وتحويل روميو المزعوم الى
زير نساء غارق في شهواته . وربما استغلت جنح المرور وتحولت الى
سجل إجرامي حافل !

ولا يستبعد أن يكون سيسيل باركينستون قد فقد مقعده في مجلس
وزراء المحافظين من أثر حملة تشهير متعمدة غوي فيها في تصوير علاقته
بالمس كيز . ولقد أشير صراحة الى أن الحملة المسعورة كانت من تدبير
جون ستوكر مساعد كونستابل مانشستر الكبرى . وكانت الحملة تهدف
الى تعطيله من الاطلاع على الحقائق في بحث كان يقوم به في ايرلاندة
الشمالية ، وليس من المتعذر التعرف على خلفية أى شخص يمشى في
مجتمع حر . وإذا كان هذا المجتمع الحر قد خلق أيضا نظاما اعلاميا متعطشا
للنواوين الرئيسية التي تجتنب الأيمن ، فانه لن يتعذر تخطيط حملة
مدبرة لتحطيم شخصية أى انسان .

أن التهديد بفضح الأشخاص وما يعقبه من فقدان لمصداقيتهم هو
الذي ساعد على نجاح تكتيكات K.G.B. (في الاتحاد السوفيتي)
التي تعيد على اذاعة الفضائح الجنسية ، وما يعقبها من عمليات تشهير
ناجحة الى حد كبير ، نعم انها تحقق نجاحا باهرا ، لأن الشخصيات الحقيقية
الكامنة وراءها لا يمكن أن تعرف على الاطلاق . ولقد لجأت جمعيات ارهايية

كالجيش الجمهورى الايرلندى - يقينا - الى أسلوب التشهير لا يتراز العون
المالى وانتزاع المعلومات - الى درجة غير معروفة أيضا - وكم عدد المرات
التي وصلت فيها الشائعات اiban حكم كيننى الى الصحافة عن علاقته
المزعومة بمارلين مونرو ! وتعرض هارولد ويلسون عندما كان رئيسا
لوزراء انجلترا لهجوم خسيس لصداقته باحد رجال الأعمال المتهمين
بالتهرب من الضرائب ، وتحول هذا الهجوم الموجه لظهر شخصية عامة
كويلسون الى نكتة وطنية بدلا من أن يؤدى الى القضاء عليه سياسيا ،
لأن رد فعل الجمهور البريطانى من النواحي التى لا يمكن التكهن بردود
فعلها مما ساعد على القول بأن لديه حصانة ضد جميع أنواع الرذاذ ، على
أنه اذا حدث شيء مشابه فى وقت آخر وفى بلد آخر فإنه لا يستبعد أن
يؤدى الى حدوث نتيجة مختلفة عن النتيجة التى حدثت فى انجلترا ، انه
التشهير سلاح خطير يهدد رجال الأعمال تهديدا خطيرا .



٩ - أسلحة الإرهابي

تحدث الضغوط الهائلة المترتبة على ردود الفعل الكيميائية الناجمة عن الانفجار صراعا وحشيا بين الفراغ والقوى المضادة ، والأثر الذي يحدث للجسم البشري مريع . فاللحم ينفصل عن العظام ، وسيشاهد أولئك الذين لا يوجدون في بؤرة الانفجار المضلات والأنسجة وهي تتطاير ، وتتصاعد منها حرارة لافحة . وإذا ابتعدنا عن مركز الانفجار سنرى الشظايا المتطايرة من الشرايين والزجاج وغير ذلك من الانقاض ، وضررها أخف ، وإن استمر وجود الدماء والصددمات المذهلة . وسينقل المصورون الصحفيون صورا لأبشع حالات الدمار والفرع . وعندما يحدث ذلك ، يكون الإرهابي قد حقق غايته مرة أخرى ، عندما تنقل أجهزة الدعاية أخبار الصدمات والأضرار الى شتى الأنحاء .

ولو كان هدف الإرهابيين ، كما ذكرنا ، فلا عجب إذا استمرت القنبلة - والمتفجرات بمعنى أصح - لها القدر المثل في ترسانة تكتيكات الارهاب . وبغض النظر عن الأثر الدرامي والخوف الكامن والنفور الذي يبدية معظم الناس من المتفجرات ، فإن هناك أسبابا أخرى تفسر سر شعبية مثل هذه الوسائل ، وإذا أردنا أن نمبر عن ذلك اعتمادا على نظرتنا المتأملة فإن علينا أن نبحث عن ماهية ما يحتاجه الإرهابي كما يبين من أفعاله المتنوعة والفظيعة .

وإذا نظرنا الى كلمة « الأسلحة » Weaponery ككلمة عامة تنضوي تحتها كل وسيلة يستعملها الإرهابي لتحقيق أغراضه ، وارتضينا القول بأن مختلف العمليات الإرهابية تنتج احتياجات متنوعة تعتمد على هدف

الارهاب ، وطريقة الوصول اليه ، ودرجة الدعاية المطلوبة ، ستظل هناك جوانب مشتركة من التفكير في اختيار المعدات غير المشروعة المطلوبة لاجراء هذه العملية . واذا تصورت هذه المعدات كقائمة للمشتريات ، سيبين أن ما يتحكم في الأصناف المشتراة أو المسروقة أو المصنوعة هو مجموعة من العوامل .

مقدار توافرها - العيار المستحب (في الأسلحة الرشاشة) - سهولة الاخفاء - الدقة - بساطة الاستعمال - امكان الاعتماد عليها - أدنى حد للحجم - مقدار الضوضاء عند الاستعمال - مقدار الابتعاد الميسور عن الهدف .

وكل عامل من هذه العوامل يستأهل البحث ، من ناحية ارتباطه بباقي عوامل اختيار السلاح المناسب ، وباعتباره سيؤثر في كل مرحلة من مراحل التخطيط في أغلب سيناريوهات العمليات الإرهابية .

مقدار التوافر :

في الكثير من البلدان الغربية ، لا يسمح باستعمال المفجرات الا بعد الحصول على ترخيصات صارمة . ويراعى عند تطبيق هذه التعليمات عدم المساس - بقدر المستطاع - بالحقوق الدستورية للمواطن ، التي تسمح له باقتناء الأسلحة لحماية نفسه ، ولممارسة الرياضة ، أو للخلاص من الكائنات الضارة . وبالمثل هناك جملة بلدان ، لا وجود فيها لمثل هذه القيود على الاطلاق ، أو تطبق بتراخ بحيث تعد كأن لا وجود لها . ففي بعض أجزاء من البلدان العربية ، يعد حمل السلاح تقليديا ، من علامات بلوغ حامله سن الرشد . ومن المؤكد أنه ليس من الضروري لحامل السلاح أو مستورده ، الذي لا يحصل على إذن بذلك ، أن يمر بأية جمارك تحدد أحقية بلوغه من الرشد وحصوله على مثل هذه الأسلحة - الفتاكة .

ومازال من القبول قانونا في بعض البلدان التي تتبع نظام الترخيص باستعمال الأسلحة ، امكان الحصول عليها وعلى الذخيرة المرسلة الى الزبون عن طريق الطرود البريدية . ولا يلزم في بعض البلدان اثبات الاستلام وتسجيله بعد التأكد من شخصية المستلم . ويكتفى باخطار مراكز الشرطة المرهقة بكثرة الواجبات باسم المستلم ورقم الترخيص .

وفي جميع المدن الكبرى في العالم ، هناك سوق سوداء لبيع الأسلحة النارية والمتفجرات والذخائر ، وما يصحبها من أدوات مكملة .

ومن الممكن أن تكون هذه الأصناف من تذكارات الحرب أو بعض المارك
أو قد تكون مسروقة من مصادرها الأصلية ، أو ربما أجريت فيها
بعض تعديلات لاحقة بهارة في بعض المصانع حسنة التجهيز (يوجد في
أية مكتبة عامة معلومات تعرف المقتدرين من الهواة المتحمسين كيف يجرون
هذه التعديلات) .

وكثيرا ما يسوق الطريق الى توفير الأسلحة الى الفساد والشراعة
وتتجمد الادارات الحكومية عن الكشف عن احصاءات السرقة والمفقودات
أثناء المناورات . بيد أنه في بلنات « الناتو » وحدها ، قد عرف أن مثل
هذه الأرقام قد تصل الى العديد من مئات الأسلحة كل عام . وذكر أحد
المصادر الموثوق منها أن بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ، أبلغ جيش الولايات
المتحدة عن سرقة إحدى عشرة ألف قطعة ، كان من بينها الصواريخ أرض
جو Redeye . وفي سنة ١٩٨٠ وجهت الاتهامات الى مدينين حاولوا
بيع كميات هائلة من الذخيرة . وعرف أنهم من أصل إيرلندي ، واتضح
- فيما بعد - أنها مسروقة من مخازن البحرية الأمريكية ، ومن الأحداث
التي أحسن الدعاية لها في شهر أكتوبر السالف الذكر ، ما ذكرته السلطات
الإيرلندية عن القبض على صيادة للسماك تدعى ماريتا آن ، التي اكتشفت
أن الأسلحة التي حملتها للجيش الجمهوري الإيرلندي كانت مسروقة
- في الواقع - من بنادق الجيش الأمريكي ، ويعرف دارسو الفيزياء
أن خلطات المتفجرات بالمقدور تحضيرها من مكونات تعد ظاهريا من العناصر
غير الضارة ، وبلاستطاعة شراؤها من أي محل للكيمويات أو السوبر
ماركت . ومن يتشكك في ذلك ، ما عليه إلا أن يطلع على الجرائد
والنشرات الشعبية التي توزع في الخفاء . وفيها يذكر على سبيل
المثال : « بوسك أن تكون Your 077 » أو « لقد أصبح النار عملية
سهلة » . ولقد يسرت هذه النشرات وأمثالها مثل هذه العمليات .

ومن المشكوك فيه ما يقال عن تجدد الحصول على الأسلحة ابتداء من
المباروخ أرض - جو الذي يمكن حمله ، والرشاشات الثقيلة والخفيفة
حتى أصغر الطينجات ، ما دامت هناك النقدية الكافية للشراء . ويتناسب
نجاح السوق السوداء تناسباً طردياً هو وهشاشة الناس ، وثريد سهولة
تلبية احتياجات المتمردين والأرهابيين والمجرمين ذلك ، ويستمر الأمر
هكذا .

العمليات المنتجة :

الأسلحة الأكثر توفراً والأسهل في الحصول عليها هي تلك التي

لها سوق عسكرية وشبه عسكرية واسعة . وغنى عن البيان أن مثل هذه السوق الكبيرة فى السلاح تستلزم وجود سوق هائلة للخبرة . وتبعاً لمبدأ الشيء لزوم الشيء ، فإنها تتطلب رأسمالاً لتجارة قطع الغيار التى تعد من أهم مصادر المواد التى يحتاج إليها لصنع أسلحة غير مرخصة .

وما لم يكن السلاح مطلوباً لتنفيذ مهمة عالية التخصص ، فإن الإرهابى يطالب عادة بالعبارات الشائعة (٩ مم على سبيل المثال) لكى يطمئن إلى وجود مصدر تموينى سهل دائم ، وأيسر نسبياً فى تزويده بالسلاح . ومن الأسلحة الميسورة أيضاً فى المتاجر ، المعدات ذات التعمير الذاتى ، التى تتميز بصغر حجمها وإمكان حملها فى حقائب اليد .

سهولة الاختفاء :

لا يقتصر هذا النوع ، كما يدرك لأول وهلة ، على المدافع التى تحمل باليد . فهناك أعداد متزايدة موجودة فى الأسواق الآن من التجهيزات التى تساعد على إعداد أسلحة قادرة على تحقيق الغاية المطلوبة . ولقد أمكن تكيف أنواع كثيرة من الطبنجات من موديلات مختلفة بحيث يستطيع تركيبها فى حقيبة الأوراق وغيرها من الأدوات السهلة الحمل على نحو يساعد على سهولة التصويب الدقيق بها . ويساعد استعمال القواذف الليزرية الصغيرة على توفير قدر كبير من الدقة لهذه التجهيزات . وبالمقدور تزويد الطبنجات ذات الأعيرة الصغيرة بكامر للصوت يسهل ضبطه ، أو بمعنى أصح قامع للصوت . إذ كان حدوث الصوت من الكوابيس التى تقلق الإرهابى وتثير مخاوفه ، ولقد أمكن تذليل هذه الناحية أيضاً .

وبالاستطاعة فك الكثير من الأسلحة إلى قطع صغيرة تسهل مهمة الإرهابى إذا أراد نقلها إلى الطائرة التى فى النية اختطافها . ويزداد الميل إلى الأسلحة التى يمكن انتاجها بغير استعمال لآلى عناصر اضافية ، أو باستعمال القليل منها ، وإن كانت المواد البلاستيكية ذات الكثافة العالية ، والفائير كاربون غير قادرة على التغلب على مشكلة الفحص بالأشعة السينية ، ومن الميسور الحصول على قطع من مواد مماثلة قادرة على الالتصاق بصفة وقتية ، وبمقدورها خداع الجميع ما عدا حراس الأمن بعيونهم الساهرة .

الدقة :

وهذا مطلب هام للمتخصص . فمن المحتمل أن يراعى الإرهابى عند انتقائه لأسلحته معدلات نيرانها والمساحات التى بمقدورها غمرها ،

وبخاصة عندما يتوقع الاشتباك في معارك مستمرة هو والقوات النظامية .
ولعل تكتيكاته الأساسية تعتمد على نصب الكمين ، على أن يتبع ذلك
بغارات صاعقة ، يلجأ فيها إلى أحداث ضجيج مصحوب بإطلاق كمية كبيرة
من النيران ، سعياً وراء شدة الاثارة .

بيد أن السفاح الذي يهوى توجيه ضرباته عن طريق القناصة ينشد
الحصول على قدر كبير من الدقة . وفي هذا العصر الذي اشتهر بدقته ،
ليس من الضروري أن تكون البندقية هي التي تستهويه . فلقد أقنعت
احتياجات الرياضة المصممين بإنتاج أسلحة أصغر من البندقية العادية لها
مدى مماثل للأعيرة الكبيرة ، ولا يزيد عيارها عن ٧.٦٢ مم . ويساعده
صغر حجمها على اخفائها ، ومن ثم اخترعت طبنجات طويلة المدى
ودقيقة ، وتتطلب مثل هذه الأسلحة استعمال مناظير تساعد على احكام
الارهابي للتصويب على نحو لم يحلم به أحد من قبل ، ويتعين القول أنه
لما كانت السوق العمومية لمثل هذه الأسلحة النارية صغيرة ، خارج
الولايات المتحدة على أقل تقدير ، لذا تزداد صعوبة حصول الارهابي عليها.
من السوق السوداء .

وعند الكلام عن عامل الدقة ، يجب أن لا ننسى « القبلة » . فبينما
تتبع قنابل الارهابيين وأجهزتها في استخدامها - اذا تحدثنا بوجه عام -
قاعدة « اقتل كل من يقف في طريقك » وقاعدة « عليك أن تلمس
العقارات » ، الا أن هناك حالات تتطلب قدراً أكبر من الدقة . وفيما
يتعلق ببعض أهداف بالذات ، فإن هذه الدقة ميسورة ، بالرغم من أن
من يوفق في ذلك عادة هو المخرب البارح ، وما أيسر وأجلى أية شذرة
قاتلة من الشراييل تتوافر لها مميزات المقذوفات كما كان انطلاقها
لمسافات بعيدة ، ولا يثير شكلها أى اشتباه بأنها قنبلة بلاستيكية . ويتيح
ذلك للمحترف الماهر القدرة على صنع أشراك خداعية شيطانية أو أجهزة
تتحكم فيها عن بعد من مسافات بعيدة تؤمن حياته من عدوان هدفه
المقصود .

بساطة الاستعمال :

على الرغم من أن الأسلحة المتقدمة المعقدة تحقق غايتها عندما
يستخدمها بعض الارهابيين من أصحاب الخبرة ، الا أن هناك رغبة عامة
تطالب بمعدات أبسط وأبعد عن التعقيد لسهولة استعمالها ، والمصدر
الذي يزود الارهابيين بالمجندين فسيح للغاية ، ففي مناطق كثيرة ، يختار
المجندون من القرويين غير المتعلمين ، وغالباً من بين الطلبة ، وفي بعض

«الاحيان من الأغنياء العابثين ، واذا تغدثنا بوجه عام سنقول أن هذه القاعدة التجنيدية تأتي بفترة من الأشخاص ليس لديهم أى شعور فطرى أو خبرة بأى نوع من أنواع الأسلحة .

وقد تقتضى الضرورة تدريب المجندين على عجل . وليس من شك أن الظروف قد تتطلب تكييفهم بأحدى العمليات بغير تدريبهم على أى نوع ، ومن ثم فيتعين أن تتصف أسلحتهم بالبساطة فى استعمالها ، وتجنح أغلب الأسلحة العسكرية الصغيرة الى الاتصاف بالبساطة . ولا يعنى هذا افتقار الجندى الى الذكاء . فالبدأ الذى تعتمد عليه فكرة البساطة هو الحاجة - عادة - الى حشد أعداد كبيرة فى ميدان المعركة ، واحتمال قيام غير القنئين بإجراء عمليات اصلاح الأسلحة .

وتناسب بساطة الاستعمال حالة أجهزة المتفجرات المصنوعة فى المنازل (البيتى) . غير أن « الأحداث المنزلية » أو الاصابات التى أحدثها بعض الأشخاص لانفسهم قد جاءت غالبا فى ايرلاند الشمالية من أثر المبالغة فى تبسيط صناعة القنابل ، التى قد تودى الى اعمال وضع أجهزة تأمينية ، وما يترتب على ذلك من نتائج محتومة .

امكان الاعتماد عليها :

ويرتبط هذا العامل ارتباطا وثيقا . يعامل البساطة . فغالبا ما تؤول أسلحة الارهابيين الى اناس بعيدين عن المهارة ، أو من المتهاونين فى هذه الناحية ، الى جانب انتقالها من مستعمل لآخر . وكثيرا ما تخزن الأسلحة تحت الأرض فى لفافات غير اصولية ولفترات طويلة (وأحيانا تتعرض للماء) وهذا سبب من الأسباب التى تفسر لماذا استمرت أسلحة قديمة بطل استعمالها تلعب مثل هذا الدور البارز فى تسليح الارهابيين رغم انتهاء مدة استعمالها . ويرجع هذا بالطبع الى سهولة الحصول على مثل هذه الأسلحة . ان هذا لا ينقص من امكان الاعتماد على الأسلحة الحربية الحديثة . فالأمر بعيد عن ذلك . فلعلنا قد اقتربنا من اليوم الذى ستصادف فيه الجهات المسئولة عن فرض القانون بارهابيين يستعملون أسلحة من آخر طراز .

الحد الأقصى فى المدى وأدنى حد فى الحجم :

وهذا أيضا مطلب عام لجميع المشتغلين المتخصصين فى الارهاب ، وبخاصة القناصة ، وللارهابى الذى يحرض على الاطمئنان الى إمكان قراره

بعد انجاز مهمته . ولابد من القول بأن سوق البنادق ذات الدقة العالية والمضى البعيد أصغر نوعا من سوق الأسلحة اليدوية . وربما كانت الولايات المتحدة استثناء من هذه القاعدة . ففيها فرص هائلة للاستجابة لرغبات من يسافرون الى بقاع قصية ابتغاء لصيد الوحوش الضخمة ، أو من يسافرون وحدهم قاصدين المتعة حاملين مثل هذه الأسلحة لاطلاقها على الفريسة أو لحمايتهم من الحيوانات المفترسة .

ويتوجب علم نسيان مقدار ما تضيفه المناظر الجيدة الصنع من دقة الى قدرة المصوب المسلح تسليحا هزيلا ، وإن كانت المناظر الجيدة لن تحول أية طلقة رديئة التصويب الى طلقة قاتلة . ولقد دار السؤال حديثا في أوروبا حول امكان اخضاع المناظر الدقيقة وغيرها من الاجهزة المكلمة للأسلحة للترخيص . وهذه مسألة خلافية . على أن الوقوف ضد هذا الرأي قد لا يكون مجديا .

درجة الضوضاء المترتبة على استخدام السلاح :

« كوسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها الارهابي ، باستطاعة مخترع القنبلة الصامته أن يخفي ثروة طائلة » . لقد استمعنا الى هذا القول همسا في أحد المعارض الدولية التي خصصت جناحا كبيرا من أجنحتها للأسلحة والذخائر ، وبطبيعة الحال ، فإن القنبلة الصامته مسألة مستحيلة تقنيا ، ولقد ذكرنا هذا العامل لكي نثبت أن درجة الضوضاء المصاحبة للسلاح ربما كانت أحيانا فاققة الأهمية للارهابي . فقد يكون ارتفاع الصوت في حالات خاصة أمرا مرغوبا ، مثلما يكون انعدام الصوت مرغوبا في حالات أخرى ، كما يبين ما حدث في يوم الجمعة العنوى أو الأحمر Bloody Friday في بلفاست في ٢١ يوليو ١٩٨٢ ، فلقد شهد هذا اليوم لقاء عشرين قنبلة من هذا النوع في المدينة وفي نفس الموعد ، أي عقب الظهيرة أثناء ذروة الزحام في ساعات التسوق ، وقصد بالضجيج أن يكون مساعدا هاما على احداث الارتباك والذعر عند عامة الناس وقوات الأمن والانتفاذ . ونظر الى الغضب العام على أنه اعلان للعالم بأن الجيش الجمهوري الايرلندي مازال قادرا على شن هجمات في المنطقة ، رغم زعم الصحافة « خلع أنياب الارهابي وقضم أطافره » .

وإذا نظرنا للوجه الآخر للمصلحة ، أي الحاجة للصمت ، سنرى أن الأسلحة النارية تحقق أهمية خاصة ، وفي بعض البلدان ، تعد أجهزة « كتم الصوت » غير مشروعة . ولا تقر بلدان أخرى ذلك . وبغض النظر عن المشروعية أو عدم المشروعية ، فليس من الضروري وجوب الحصول على

ترخيص للحصول عليها . وكلمة « كاتم الصوت » اسم على غير مسمى .
فبالاستطاعة كتم الصوت تماما فى أى سلاح ناري ، غير أن النتيجة قد
تدفع الى عدم استعمال هذه الوسيلة ، أو قصر استعمالها على نطاق
محصور .

وليس « كاتم الصوت » بالشئ المستحدث تماما . فلقد وجدت هذه
الأجهزة حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، وكانت تصنع بمعرفه الشركة
الأمريكية التي يملكها هيرام ماكسيم ، وأيضا شركة باركر هيل هوبكنز
والتي فى المملكة المتحدة ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وما صاحبها
من وفرة فى القوات الخاصة الرسمية وغير الرسمية ، وازدياد الحاجة الى
قتل الأشخاص فى صمت ومن مسافات قريبة . وألهمت هذه الرغبة
الباحثين للسير فى هذا الدرب ، وأنتجوا أسلحة أعظم تأثيرا .

ولم يحل انعدام الحاجة عند الرسميين اليها بعد الحرب ، دون
قيام جهود خاصة للارتقاء بها . فلقد نجحت شركة Sterling Arms
فى المملكة المتحدة فى استحداث صورة منقحة لجهاز كتم الصوت ، وقامت
باختباره شركة S.M.G. وتوثقت من صلاحيته ، ومازال كثير من
المستوليين يزعمون أنه يمثل قمة المدافع الرشاشة القصيرة . أما البندقية
هكلر وكوخ MP 5 SD فمن المعدات التي تسعد من يستعملها .
غير أن ما تنتجه المصانع الخاصة من مبتكرات هو الذى يلقى اهتمام
الارهابيين فى أغلب الظن ، وإذا أستخلص من هذا الرأى ما أنتجه بعض
مهندسي "garden shed" من أجهزة لكتمان الصوت للقذافي فلن يكون
هذا الاستنتاج بعيدا عن الصواب .

فمن الحقائق الثابتة أن مثل هؤلاء المتحمسين قد أثبتوا إمكان قيام
أى مهندس « نص نص » بإنتاج مثل هذه الأجهزة ، ومن الحق أن
الصيادين للصوف أو الذين لا يحملون ترخيصا بالصيد فى أوروبا
والولايات المتحدة قد ظلوا يستعملون لسنوات طويلة أجهزة كتمان صوت
« بيتى » ، ويركبونها على أسلحة من عيار صغير ٢٢ مم . وإذا حشونا
أى وعاء من البلاستيك من النوع المستعمل فى الغسيل بقطعة صوف من
النوع المستعمل فى جلاء الأواني ثم ربطناه بشرط لأغراض التويه
بقطب صغير فى ماسورة أية بندقية ، فاننا سنحصل على كاتم صوت
وخاف للوهج من أفضل نوع . وعدد الطلقات التي يمكن إطلاقها بهذه
الوسيلة محدود للغاية . ولكن ربما تكون الحاجة الملحة هى التي تدفع
لذلك بحثا وراء وسيلة رخيصة .

ولقد بلغنا الآن مرحلة يمكن فيها شراء كواتم للصوت مختلفة التأثير يستطيع بواسطتها تطويع الأسلحة لمختلف الغايات التي ننشدها ، والتي قد تعد بديلا لعدد كبير من الأسلحة التي يشتهيها الإرهابي . والقدرة على كتمان الصوت تهم القائم بالاعتقال أو السفاح أكثر من أى إرهابي آخر . ولقد كانت الطلقة الدقيقة التصويب التي لا يسمع صوتها دائما بمثابة كابوس لرجال « البودي جارد » أو الحرس الخاص . فبحكم عجزهم عن تحديد مصدر السلاح الناري بالنظر أو بالسمع ، فانهم يضطرون الى التزام الموقف الدفاعي الشديد التعرض للخطر ، ويسجرون عن القيام بأى هجوم أو اقتحام . ان هذا يمنع السفاح - لو كان قد احسن اختيار موقع تصويبه - القدرة على اطلاق طلقتين أو ثلاث طلقات مما يزيد من امكانيات هروبه .

القدرة على الضرب عن بعد :

ومصطلح Stand-off من المصطلحات العسكرية أصلا . ولقد استعملناه لأنه يساعد على توضيح هذا العامل ، وفي هذا المقام ، فان ما يهمنا هو استعمال المتفجرات التي تيسر للمعتدى باستعمال جملة وسائل متنوعة القدرة على التحكم فى عملية التدمير عن بعد ، فبمقدور من يلقي القنبلة أن يقف عن بعد ، ويرى النتائج فى الوقت المناسب ، وأن يطلق على أخبارها فى الصحف أو يشاهدها فى التليفزيون ، أثناء استمتاعه بتناول مشروبه المفضل .

وهناك نوعان أساسيان من المتفجرات : شديدة الانفجار ولها تأثير بآثر قاطع ، ومتفجرات معتدلة الانفجار لها تأثير دافع «Push» والنوع الأخير أكثر شيوعا فى المناجم والمحاجر . وتساعد هذه الخاصية على امكن الحصول على هذه المتفجرات فى أى مكان من العالم . والمتفجرات الشديدة الانفجار H. B. « والبلاستيكيات » الحديثة لها فوائد متخصصة ، أكثرها للأغراض العسكرية . وبالمقدور التحكم فيها تحكما دقيقا ، وتميز بنباتاتها وعدم تعرضها للتلف مما يساعد على تخزينها وحملها والاحتفاظ بها ، وتفسر هذه المزايا السر فى ارتفاع ثمنها . وثمة مكونات عامة تشترك فيها أغلب المتفجرات ، مما يجعلها عرضة للاكتشاف باستخدام وسائل التبخير ، وان كان بالاستطاعة فى كثير من الأحيان التغلب على ذلك . ومن المتفق عليه امكن الاعتماد على الكلاب أكثر من المعدات فى هذا الشأن ، بل وربما كان الحنزير أفضل من الكلب فى هذا المضمار ، رغم صعوبة تدريبه وتغيير عاداته الشخصية ، كما أنه لا يحترم الأديان ، (والأديان لا تحترمه) ولا يعترف بما هو غال أو ثمين .

بالإضافة الى أنه لا يلقى الكثير من الترحيب في قاعة كبار الزوار بالمطارات !

وفي عمليات الارهابيين ، هناك أنواع من المخاليط المتفجرة بين (أو البينية بلغة كرة القدم) لعل أشهرها هو مخلوط ANFO Coop والمخصبات (التي تستعمل لتزويد النبات بالنيتروجين) ، ويساعد زيت الديزل (السولار) على اكساب المادة طابعا رخويا ، وقد اتبع الجيش الجمهوري الايرلندي هذه الطريقة لمدة طويلة عندما قاموا بحشو مقادير ضخمة من هذا المخلوط في المجارى والمخضضات وما أشبه . وكانت النتيجة مهلكة .

وتنتقى المتفجرات عادة من أجل آثارها المريعة ، وامكان تفجيرها عن بعد . فليس جميع الارهابيين بالزهاد والقديسين الشهداء على الاطلاق . وعلى رأس العوامل التي تراعى في تخطيط العمليات من هذا النوع تأمين طريق الهروب .

ومن أكبر الأحداث الحافلة لالقاء القنابل في السنوات الأخيرة عملية اغتيال الأدميرال لويس كاريرو بلانكو ، الذي كان يشغل آنئذ منصب رئيس وزراء أسبانيا ، وكان شديد الميل لاقتفاء أثر الجنرال فرانكو . وقبل يوم ٢ ديسمبر ١٩٧٣ بأيام ، انهضت جماعة من العمال في بعض الأشغال في أحد الشوارع المدينة ، وعكفوا على وضع اللمسات الدقيقة الأخيرة لجزء من الطريق ، كان يستخلفه موكب رئيس الوزراء . ونجح الارهابيون من الباسك ، وهل يتوقع أن يثيروا أية شبهات وهم يقومون بأعمال من صميم واجبههم ؟ . ومن ثم قاموا بوضع ما يمكن أن يوصف بقنبلة المجارى الضخمة ، وتم تفجيرها بدقة بالغة ، وأمكنها الاطاحة بالسيارة الليموزين الخاصة برئيس الوزراء وقذفتها الى أعلى الكنيسة المجاورة وزعم رجال الباسك أن ما قاموا به كان انتقاما لقتل عدد من أقرانهم .

وإذا أريد اتمام عملية التفجير عن طريق زر كهربائي ، فإن كل ما هو مطلوب لا يزيد عن قدر كاف من التيار الكهربائي لتسخين سلك رفيع (طوله ٥٠ سم) يستعمل كمعبرة . وتستغرق هذه العملية مدة من الزمن تقاس بكسور من الثانية . وهذا يبين مقدار ضآلة القوة الكهربائية المطلوبة . والأجبار المستعملة في الحاسبات وما أشبه متوفرة في السوق ، وتعتمد كافية لانجاز هذه المهمة . ولقد حققت تكنولوجيا آلات التصوير تقريبا عظيما ، مساعد على ابتكار ما يدعى بالخلايا الورقية التي لا يزيد سمكها عن سمك ورق التصوير ، ولكنها قادرة على توليد طاقة كهربائية هائلة باستطاعتها اشعال مفجر صغير ، وبذلك يتم التفجير .

وحققت الطريقة نفسها التي تعتمد في صناعة الساعات على الكوارتز

بدلا من اليايات ، طفرة في صنع القنابل لا تقارن بها أيام استعمال الساعات الزنبركية وموقتات الغسالات وما أشبهه . فقلقه غدا من الميسور الآن زرع قنبلة زمنية دقيقة قبل الوقت المطلوب للانفجار بحيث يتم خلال ثوان معدودة وبمنتهى الدقة .

ولعل أفضل مثل معروف للقنابل ذات جهاز التفجير المتمهل في فاعليته هو القنبلة التي وضعت في الجرائد هوتيل في برايتون ببريطانيا . وبرایتون هي المدينة التي عقد فيها حزب المحافظين الحاكم مؤتمره السنوى . واختير الجرائد هوتيل كمكان للاقامة من قبل كثير من الأعضاء وعلى رأسهم رئيسة الوزراء نفسها (مرجريت تاتشر) . وانفجرت القنبلة في ١٢ أكتوبر ١٩٨٤ . ولولا إرادة الله ولطفه لنجحت القنبلة فيما فشل فيه جى فاوكر Fawker ، وانتهى الأمر بازهاق أرواح أغلبية مجلس الوزراء البريطاني . وشامت الإقذار أن يقتل خمسة أشخاص ويجرح عديدون جروحا بليغة ، ولو صح القول بأنها حققت شيئا نافعا واحدا لكان هذا الشيء هو أنها كشفت القدرة التخطيطية والخبرة التقنية لدى بعض أعضاء الجيش الجمهورى الايرلندى . ومن المعروف به فى دوائر الشرطة البريطانية أن الجيش الجمهورى الايرلندى يضم بين صفوفه بعض أفضل التكنولوجياين فى العالم .

ولم يقتصر الأمر على استخدام أجهزة التوقيت فى تفجير القنابل المريمة . ففي ٢٧ أغسطس ١٩٧٩ فى « وارين بوينت » فى شمال ايرلاندة قتل ثمانية عشر جنديا وضابطا فى الكتيبة الثانية من لسواء المظلات (الشياطين الحمر) فى كمين وضعت فيه متفجرات تتفجر عن بعد من مركز قيادة الجيش الجمهورى الايرلندى . وكانت عملية تكنولوجياية بارعة ، وتطابقت فى تكتيكها هي وعملية تفجير أخرى جرت على ظهر يخت الايرل مونتياتن (خال الملكة) فى بورما . وتسببت القنبلة فى مصرعه ومصرع عدد من الآخرين على ظهر اليخت . وأثار الحادث لغطا واضطرابا فى الرأى العام ندو حدوثه فى المملكة المتحدة .

وربما كان الأكثر افزاعا واثارة للقلق الدائم الانفجار الذى حدث على سطح إحدى الطائرات ، وترتب عليه سقوط العديد من القتلى بلا تمييز . وقررت عدة مراكز معلومات القنابل عدم استعمالها أن يكون الحادث من تدبير « أبو ابراهيم » (الاسم الحركى) ومن أعظم خبراء هذا الفن ، بعد أن حقق درجة عالية من الخبرة فى استعمال المبتكرات البارومترية (*) للتحكم فى تفجير الحفائب الممخضة فى جوف الطائرات .

(*) قنبلة تفجير عندما يوقع عمود الزئبق فى البارومتر الوجود فى « تابلو » الطائرة الى درجة معينة محسوبة . ولتبنى اعرف سرها ، لأنها من الأشياء الغريبة حقا .

والحقائب الملقمة أمر شائع - بطبيعة الحال - وساعد على أحداث ثورة فى هذا الفن ما حدث من تطور فى المتفجرات بعد أن اتخذت شكل الرقائق اللاصقة ، والتي كانت مصممة أصلا لأغراض حربية متخصصة . وتصنع المتفجرات الآن فى أشكال متنوعة بحيث يكون من المقذور طبعها على جزء صغير من المعدن الذى يستعمل فى تدريع بعض الحقائب ، وبذلك تكون فى مأمن من اكتشاف العيون اليقظة للمستولين عن الأمن . وليس الاحتياط لمواجهة مثل هذه الاعتداءات متعذرا ، وإن كان فادح الثمن اقتصاديا . ولا ننسى أن التفتيش الدقيق الكامل يتسبب فى تعطيل العمل تماما فى المطارات . وفى بعض الأحيان قد يكون أكثر الأشخاص ضيقا بهذه الاجراءات هو أكثرهم تعرضا للخطر ، يعنى أحد كبار المسئولين .

وليس بمقدور أى بحث عن أسلحة الارهاب تناسى الحديث عن البندقية التى تستعملها (مخابرات البوفيت) KGB فى الإغتيال . ولقد كانت البندقية المسممة والتي تشاهد فى أفلام الجاسوسية المثيرة من الحقائق السائدة عند KGB منذ سنوات عديدة ، ولقد ارتقت بعد استعمال مادة cyanide pellets ، وقد تتخذ جملة صور ، ومن آن لآخر تحدث احدي الاصابات التى تحتل العناوين الرئيسية فى الجرائد ، وكانت أحدثها الحادثة التى نشرت فى مختلف أجهزة الاعلام وتحمل بصمات K.G.B. ، والتي قتل فيها جيورجى ماركوف فى سبتمبر ١٩٧٩ . غلقد حقن بسم الرسين ، بنقر بوز المظلة فى رجل المعتدى عليه عندما كان مسافرا للعمل فى لندن . وكان هذا المعتدى عليه هو أحد المنفيين البلغارين الذين يعملون فى خدمة الاذاعة البريطانية B.B.C. ولعل هذه الحقيقة كان فيها الكفاية لتبرير الخلاص منه .

وختاما ، فهناك أسلحة تفضلها الجماعات الارهابية ، ولكنها لا تعرف أى حدود فى شتى مجالات استعمالها . وغالبا ما يكون الارهابى حيوانا وطنيا ، وكثيرا ما يتصف بشجاعته (وكثيرا ما يتصف بالجن أيضا) . انه يتبنى دوما قضية يؤمن بها ايمانا حارا . فاذا راعينا جميع هذه العناصر وجمعنا بينها منحصلا على انسان قادر على استعمال كل ما يقع بين يديه . والضرورة وهى أم الاختراع - كما نعرف - لم تقف عائقا أمام كل من ينجح فى اسدال الستار عليها والتخفى ورامها فى الوقت المناسب .

★★★

١٠ - تكنولوجيا الارهاب

حققت أساليب الارهاب تقدما سائرا خطوات التقدم في التكنولوجيا التي تقبل التطبيق وأمكن ذيوها على نطاق واسع . والطريق الوحيد لايكاف تقدمها المتواصل هو حرمانها من الحصول على أية معلومات تقنية . وهذا الحرمان في ذاته مستحيل ، اذ يسعى المخترعون للحصول على المال من وراء مخترعاتهم ، وكذلك تفعل منافذ البيع بالقطاعي . فنحن نعيش في مجتمع حر ، يتعرف فيه الرأي العام والمشترون المحتملون على هذه الخطوات التقدمية عن طريق صناعة الاعلان والمجلات التجارية والمعارض . والارهابي في جميع مظاهره العديدة قادر على زيارة جميع هذه المراكز الاعلامية ، ان لم يك بطريقة مباشرة ، فلا بأس من أن يتبع طرقا ملتوية ، وان كانت متيسرة ، انه شخص متعدد الجوانب ، كثيرا ما يرغب الى اللجوء الى التفكير بطرق ملتوية كي يحقق مهمته الارهابية . وليس من الضروري أن يخترق ترسانة صناعة الأسلحة بحثا عن الصون ، لأن الكثير من الاستعمالات المنزلية اليومية تزوده بوسائل الاحتذاء الى غاية تساعده على تنشيط مبتكراته المميته أو أخفائها أو تمويلها . وفي الكثير من الحالات فإنه يستفيد استفادة مباشرة من التكنولوجيات السوفيتية ، والتي تعد في بعض نطاقات مساوية في تقدمها للغرب ، ويتعين النظر الى الارهابي على أنه يملك معرفة مساوية - على أقل تقدير - لمعرفة قوات الأمن العادية له . وليست آخر الأساليب المتقدمة في تكنولوجيا الأسلحة الصعبة المنال عظيمة الأهمية للارهابي ، اذا كان بمقدوره أن يؤدي مهمته الفتاكة بكفاءة مماثلة باستخدام أسلحة غير معقدة أو متقدمة وشديدة البساطة ، وربما استثنينا من ذلك سبل الأسلحة المنهمرة التي انتقلت من أيدي السوفيت الى بلدان مثل ليبيا ، ولا يستبعد أن تشق طريقها في نهاية الأمر الى ترسانة

الارهابيين ، وبلاستطاعة القول بوجود موقف مماثل ترتب على بيع بعض الأجهزة التي تحاط بدرجات السرية العالية الى سوريا وإلى طرفي النزاع الايراني العراقي ، فجميع هذه البلدان الثلاثة لها منظمات ارهابية تتبعها وتقوم بتمويلها أو تأييدها .

وفي معظم الأحوال ، بالرغم من أن دور الارهابي يقتصر على استخدام الأسلحة التي يمكن اطلاق نيرانها دون حاجة الى مساعدات اضافية من أجهزة تكنولوجية تتجاوز قدرات الارهابيين ، فاننا سنكتفي في هذا الكتاب ببحث تلك الجوانب التي يمكن أن توصف بأنها تمثل ما سيتعرض له المسئول المسافر أو الدبلوماسي المسافر من أخطار . وطبقا للتعريف ، فإن هذا التحديد يستبعد الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية الكبرى ، والتي ربما استهوت الارهابي يوما ما ، وسيترتب عليها تغير هام في العوامل التي يتعين عليه أن يراعيها عند بحثه عن الأسلحة . وفي سياق هذا الكتاب ، يعد التقسم في ذخيرة الأسلحة الصغيرة والدروع الشخصية ووسائل التفجير هي أهم الموضوعات المناسبة . وهذه الموضوعات عظيمة الأهمية للجماعات الصغيرة من المتشددین الذين لا يستهويهم أى شيء خلاف الجوانب التي قد تؤثر في الأمان الشخصي لقرائنا ، ولقد حرصت أشد حرص عند مناقشة هذه النطاقات أن لا أفيد الارهابي من حيث لا أدري ، ومن ثم فقد أحجمت عن ذكر اسم أى مصادر أو شرح أية تفاصيل تقنية .

وفي وقتنا الحالي ، عندما تخطط أية منظمة ارهابية لاختطاف طائرة أو لتدبير عملية تؤدي في نهاية الأمر الى احتجاز رهائن مهددين بالسلاح ، فإن هناك احتمالا قويا بتوقعهم حدوث عملية اقتحامية تقوم بها قوات الأمن من آن لآخر . وسيساعد الاعلام والتدريب من قبل مدربين على دواية بالاضافة الى المفهومية الفطرية على تعريفهم بجميع هذه النواحي، وعلى تزويدهم ببيانات حسنة عن أنماط التكتيك والمعدات التي يحتمل أن تستعملها جماعات الاقتحام ، ان هذا سيساعدهم على تركيز أمخاخهم على الجوانب التخطيطية والتسليحية للعملية حتى يتمكنوا من النهوض بأفضل ما في مقدورهم لاجباط - أو تجنب - هذا التهديد الهجومي ، وليس من غير الطبيعي أن تنحصر الطرق المفتوحة أمامهم في قتل الجماعة المهاجمة أو زيادة صعوبات الموقف ، بحيث لا تنتهي عملية الاقتحام بالمقتل المؤكد للرهائن ، على الرغم من أن هذه النتيجة الأخيرة قد يكون لها وقع كبير في بعض البلدان .

وفي بوجوتا بكولومبيا ، لم تعر قوات الأمن أرواح الرهائن أكثر من اهتمام تأفه عندما شنت هجومها في ٦ نوفمبر ١٩٨٥ ، والذي تصدرته

احدى الدبابات بعد أن استولى الارهابيون على دار القضاء العالى . نعم لقد قتل جميع الارهابيين ولكن علينا أن لا ننسى مقتل مائة آخرين الى جانبهم ، بما فى ذلك رئيس المحكمة العليا .

ويتضمن تدريب الارهابى تعريفه بأثار بعض أساليب خاصة كالقنبلة اليدوية الصاعقة والانواع المختلفة من الغازات المسيلة للدموع . ولن تمثل أية وسيلة من هذه الوسائل مشكلة فى نظر الارهابى اذا توقع استعمال المقتحمين لها ، وتساعد النظارات السوداء وسدادات الأذن على تخفيف أثار القنبلة آنفة الذكر . كما تساعد الكمادات على تخفيف أثار الغازات المسيلة للدموع . والحق لقد حدثت حالات كان تأثير الغازات المسيلة للدموع واهنا للغاية ، عندما استعملت ضد علو استطاع أن يستفيد من افرازات الأدرنالين فى جسمه التى لا تتوقف .

ولتنبيه الارهابى ، توجد دائما لحظة تحذير تسبق أى اقتحام . ومن أسف أن أجهزة الاعلام قد تحدثت كثيرا عن هذه الناحية فى كتب ومقالات ظهرت بعد حصار السفارة الإيرانية ١٩٨٠ . ففيها تم التنبيه على الكافة (ومن بينهم الارهابى بطبيعة الحال) بأهمية الانبعاثات فى الجدران والضوضاء التى تكشف حدوث محاولات للتدخل ، والمعدات والكاميرات الخفية التى تكشف كل ما يجرى من تحركات ، وأطلعت هذه الكتب والنشرات على قيمة ترك أجهزة التلفزيون وما شابهها مفتوحة . وإذا تعرف الارهابى على هذه التحذيرات ، فانه سيبحث - بطبيعة الحال - فى ترسانته عما يمكن استعماله لتعطيل أو إعاقة الاقتحام .

وفى عالم الذخيرة ، توجد الآن تشكيلة لا بأس بها باستطاعة الارهابى أن يختار من بينها ما يشاء . ويمكن الاعتماد عليها فى اقتحام أكثر الأبواب مناعة ، وقتل أى انسان يقف خلفها ، وهناك دروع وسترات مدرعة من التفلون وذخائر مغلقة بمادة التيتانيوم ، وذخائر متفجرة مدببة . وجميع هذه الأصناف متوافرة بالسوق الحرة . وفى أسوأ الأحوال ، فان الارهابى يعرف أنه قد يواجه بهجوم تقوم به قوات أمن مسلحة تسليحا كاملا ومجهزة أفضل تجهيز ، غير أنه يعرف أيضا أنه قادر على الحصول على الذخيرة القادرة على النفاذ فى أغلب الدروع . فلقد أصبح من المعروف للكافة أن الذخيرة المدببة اللينة ذات الطرف المجوف قادرة على صد أعظم القاتلين من رجال الشرطة وأشدهم بأسا ، وجميع هذه الأصناف معروفة من الاعلانات ، ومن الميسور شراؤها .

وبعد ما ذكر عن وجود ذخيرة قادرة على اختراق الملابس المدرعة ، فان الارهابى يعرف أيضا أن هناك دولا عديدة تتمسك باتفاقية جنيف ، ولا تسمح باستخدام الذخيرة التى تحرمها الاتفاقية . ولقد حثت هذه

الأوضاع الإرهابيين في الماضي على الاهتمام بارتداء الدروع • ويتوافر الآن عدد لا بأس به من التصميمات التي تجمع بين خفة الوزن وتقدر نفاذ أي شيء فيها ، مما يساعد الإرهابي على الحصول على قدر معقول من الحماية • إن عالم الدروع عالم لا يتوقف فيه التقدم التقني عند الشركات المشهورة ، ولقد شهدت السنوات العشر الأخيرة الانتقال من استعمال الصلب إلى استعمال السيراميك ثم الكيفلار Kevlar ثم استخدمت مخلوطات عادوا بعدها مرة أخرى إلى استعمال السيراميك بعد تقديم الأبحاث ، ومن حسن الحظ أن أغلب المصانع الجادة ، تطبق قواعد تشابه في صرامتها هي والقوانين السائدة في حالة الأسلحة ، فتضع شروطا صارمة لبيع أحدث الأروية المدرعة •

فإذا انتقلنا إلى المتفجرات ، ولعلها هي أنفع الوسائل المتقدمة للإرهابي ، سنرى ما حدث من تقسيم في الأشكال المختلفة للمتفجرات • وأساليب التفجير وقطع الصخور ، التي يراعى فيها مبادئ مونرو (١) وتسمح بأكبر قدر من الدقة في قطع مختلف أنواع المعادن • ولقد بلغت درجة كبيرة من الارتقاء مما جعلها عظيمة الفائدة لتكنولوجيا الفضاء ، وغالبا توجد هذه العبوات المتفجرة عند المخربين أكثر من وجودها لدى الإرهابيين • على أن المتفجرات التي تتخذ شكل الرقائق قد حققت أثرا أعظم عند استعمالها في صنع الحقائق المفخخة • وتشبها مع طبيعة صناعة الحقيبة المفخخة ، فنادوا ما تقلت مثل هذه الأشياء من اكتشاف الباحث الخبير المدقق الذي يعتمد على explosive vapour sniffers ، أو على الكلاب • وتمتد الوسيلة الأخيرة هي الأفضل • على أنه في المطارات الأقل تقدما ، هناك وفرة من هذه الكلاب ، ومن ثم فإنها تكون أوفر حظا في احتمال اكتشافها للحقيبة المفخخة •

ويشعر الإرهابي صاحب الخبرة التكنولوجية بفرحة حقة عندما يصادف عددا من الابتكارات في السوق المفتوحة تسمح له بممارسة حرفته بكفاءة كبيرة عندما يشرع في صنع أحدث القنابل • وتتوافر له فرصة عظيمة للاختيار عندما يلزم لشراء المكونات التي يستعملها لتجهيز قنبلته وزيادة خطورتها عندما يضعها تحت تصرف المتخصص ، وكثيرا ما يشترك أكثر من واحد في صنع قنبلة الإرهابيين • وجود المصمم المتخصص هام للغاية ولا يستغنى عنه في أي مرحلة من مراحل تصميمها واستخدامها •

(١) قرشت مبادئ مونرو لأوصاف العبوات الناسفة من حيث شكلها وتركيبها الكيميائي وآثارها للدمار وطريقة تجويفها التي تساعد على إحداث تأثير يتر عندها اختراقها بدقة فائقة لجسم المصاب • وتعتمد على ما يحدث من رد فعل يعقب الانفجار يذيب المعدن المكلف للحياة ويدفعها بشدة لاختراق جسم الضحية • ويتبع هذا الاختراق اندفاع الغازات ذات الحرارة الشديدة الارتفاع تحت ضغط عال يمزق الفتحة التي حدثت للجسم •

وفي مرحلة التحضير ومرحلة التشغيل يكون الفريق الذي اشترك في صنع القنبلة في أكثر أحواله تعرضا للخطورة ، فقد توكل عملية جمع المكونات لعدد من الأفراد لا يلزم أن تتوافر لهم أية معرفة بالغرض من الأصناف التي صدرت اليهم التعليمات بشرائها ، فهناك متفجرات يجب الحصول عليها . ويعد « المفجر » أهم مكونات جهاز التشغيل ، بالإضافة الى الأجزاء الخاصة بالتوقيت والبطاريات والوعاء الذي ستسحقن فيه المتفجرات . وقد ينتهى دور المصمم بعد وضع مخطط حافل بالتفاصيل للمعدة ، ثم ينتقل العمل بعد ذلك الى من يقوم بتعبئة المتفجرات في وعاء مموه يخفى حقيقته . وقد لا تكون له مواصفات خاصة ، وربما تولى فريق آخر عملية صنع دائرة الاشتعال ، وتثبيتها في وعاء القنبلة حتى تصبح جاهزة للتفجير ، ولا يبقى بعد ذلك غير التشطيب النهائي الذي يتركز على وضع صمام بسيط للأمان وأداة توقيتية أقل بساطة .

وقد تكون الغاية من هذه الاضافة الأخيرة هي زيادة كفاية القنبلة لمواجهة مختلف الأحوال ، التي تتعرض لها من جراء النقل والعبث بها أو فحوصها . فمن الأفضل تأمين القنبلة ضد الكشف عليها بواسطة الأشعة السينية وضد الضوء أو الظلمة ، ويتوقف مدى هذه الإضافات على علم المصمم ، وخبرته . ومن أهم مكونات القنبلة ، ستقاطرة الأمان ، من أى نوع كان ، حتى تساعد على تأمين حامل القنبلة . ولن يكون هذا الشخص - يقينا - واحدا من أصحاب الأدوار الرئيسية في تسلسل المشتركين في صنع القنبلة كالمصمم والمختص بالناحية الكهربائية . ويترتب على اشتراك العديدين في هذه العملية اضعاف السلامة والأمان . وكثيرا ما أدت هذه الأعمال التجهيزية المتعددة التي تسبق تشكّل القنبلة في صورتها النهائية الى القبض على الحلية الارهابية ، بفضل نقطة التجار أو الجيران . والتدريب على التعرف على هذه التكتيكات من الاجراءات المضادة الهامة في أية حملة شاملة ضد الارهاب .

ولربما كان من الخطأ البالغ اعتماد جميع الأشياء العادية المستعملة في الحياة اليومية ، التي يحتمل أن تفيد في صنع القنبلة . ولكن يكفينا التنبيه الى أى شيء بمقدوره توليد الطاقة ، ولو بصورة مصغرة ، أو من النواقل ، وأيضا أى شيء يرتبط بالتوقيت الدقيق ، وإى شيء يساعد على قطع التيار أو توليد التيار نتيجة لعملية محسوبة ، وإى شيء يتغير في الحجم والشكل تبعا لقاعدة يمكن التنبؤ بها تحت ظروف محددة . ان جميع هذه الأشياء ، وغيرها الكثير تحقق نفعا للارهابي المختلر الملم بالتكنولوجيا .

وتعد قوائم الخدمات الأمنية والوسائل التأمينية مصدرا حسنا للمعلومات التي تفيد الارهابي في أكثر من ناحية . اذ لا يقتصر الأمر على تسيرها عتوره على المواد التي قد يحتاج اليها ، ولكنها تمكنه من التزود بمعرفة دقيقة نوعا بما هو متوافر لدى قوات الأمن . وتساعد هذه المصادر على التعريف بمختلف الأصناف والمنتجات وطريقة استعمالها ، أنها تنبه الارهابي الى ما يتعين أن يهتم به عندما يحتجز في معقله برفقة الرهائن ، فاذا عرف ما الذي يتعين اهتمامه به ، وكيف يتمكن من التعرف على التهديد الذي سيتعرض له ، سيكون باستطاعته قلب الموازنات على وكالات المخابرات .

لعله من أخطر الجوانب وأكثرها اثارة للفضع في التكنولوجيا السهولة الظاهرية لصنع أية قنبلة بدائية ، وما أسهل تسرب المعلومات التي يرجع اليها اوساط مستعمل القنبلة من اصحاب شيء قليل من المعرفة بالفيزياء ، والتي تيسر لهم صنع هذه المدة من المواد المشتراه من محلات المصنوعات المعدنية أو من السوبر ماركت . ويعرف الجميع أن من يملك كيلو جرامات قليلة من أكسيد البلونتيوم (وليس من الصير الحصول عليه كما نتخيل) وقلرا معقولا من المتفجرات الثابتة بدرجة عالية باستطاعة أن يصنع معدة تحمل مئات الأطنان من المتفجرات شديدة الانفجار ، ولعله من الأشياء التي تستوجب مزيدا من اليقظة الاعتقاد بأنه مادامت الجماعة الارهابية قد نجحت في تحقيق ذلك . فهل هناك ما يحول دون قيامها بصنع أسلحة بيولوجية أو بيوكيميائية . فلربما كانت هذه المهمة أيسر كثيرا ؟

بطبيعة الحال ، من غير المحتمل تماما توقع استعمال الارهابيين لمثل هذه الأسلحة ، فلا جدال أنهم سيفقدون أى تأييد لقضاياهم ، لو أنهم أقسموا على ذلك ، وبوجه عام ، فإن الارهابيين لا يقدمون على قتل الناس مجرد القتل . ففي تصورهم أنه سيجيء يوم يعترف فيه بقضاياهم ، وسيؤدى استخدام سلاح ذرى أو بيو كيميائي بقصد استعراض العضلات الى احداث حالة من النفور والتفرز لن يسهل التحكم فيها ، مما يعوق محاولتهم بلوغ مبتغاهم .

وما يستحق النظر ، هو امكان ادعاء أية جماعة اوهابية ملكيتها لهذا النوع من الأسلحة ، واذا افترضنا أن المتحدث باسمهم أراد تقديم تفسير مقنع ومفصل عن كيفية صنعهم للقنبلة ، ومن أين حصلوا للمواد ، ويمكن التحقق من هذه البيانات ، فإن سينور التفاوض معهم ؟ وكيف تستطيع الشرطة فى البلدان الأقل تقدما التحديد الفعلي لهل هم ازاء موقف حقيقى أم أنهم حيال أساتذة فى عالم الخداع ؟ .

بطبيعة الحال ، ليست هناك حاجة حقيقية تدفع الارهابى للالتجاء الى اسلحة سرية لو كان كل ما يحتاج اليه هو احدث بلبلة لدى القوات القانونية والنظامية . والدولة الصناعية المتقدمة معرضة لأشد الأخطار ، وبخاصة عندما يكون ارتفاع مستوى التنافس الصناعى على قمة أولويتها ، وقد يحدث الدمار الذى ينشأ على أثر الهجوم على أنابيب النفط ، أو أخايد توصيل الغاز الطبيعى فى وسط البحار ومخازن الكمبيوتر التابعة للقطاعين العام والخاص مشكلات اقتصادية جسيمة فى قسحة قصيرة من الوقت .

وإذا اعتمدنا على أجهزة توقيتية راقية وتكنولوجيا المتفجرات - التى تحدثنا عنها آنفا - واستعملناها فلربما حدثت حالة كذلك التى حدثت فى نيويورك ١٩٧٧ (ولم تك من تدبير ارهابى) . فلقد ساد الظلام فى المدينة زهاء يومين بعد انقطاع التيار الكهربائى ، الذى ترتب عليه قدر كبير من الاذى . غير أن أكثر ما أثار الاهتمام بوجه خاص هو ما حدث من اضطراب فى النظام وخروج عن القانون . فلقد اندلعت النيران وانتشرت أحداث الاحتفال على نطاق واسع . ومن العسير أن نتصور كيف كانت الشرطة ستواجه هذه الأحداث لو أنها استمرت ؟ وإذا افترضنا انها استطاعت فهل كانت ستستعين بالقوات المسلحة ؟ بالتأكيد ! ولقد استشهدنا بما حدث فى نيويورك ، لانه تصادف أنه حدث هناك . وبالقدور أحداث فعل مدبر يعم العديد من المدن فى وقت واحد . وربما ترتبت عليه أثار أكثر مأسوية ، وبخاصة إذا أفلح المجرم فى الانتقال الى قارة أخرى بعده « تفجيره القنبلة » .

وعندما يحين الوقت المناسب سيتجه اهتمام الارهابيين الى الأغراض الاستراتيجية . والأثار المترتبة على أحداث اختطاف الطائرات والقاء القنابل مازالت تتصف بمأسويتها ، وستظل كذلك . ولكن من المتفق عليه أنها لا تحظى بعناية أجهزة الاعلام ، الا لفترات قصيرة تتناقص يوما بعد آخر . فإذا سلمنا بهذه الحقيقة ، فأننا سنقر القول بأن ما يحدث من تقدم فى الصواريخ (أرض - أرض) و (أرض - جو) سيكون موضع اهتمام متزايد من الارهابى .

ولن نصف آنئذ هذه التقنية بأنها تقنية مستحدثة ، وأظننا لم ننس أنه قد ظهر فى عناوين الصحف فى الماضى حدث من هذا القبيل . ففي ١٩٧٣ ، أحبط خبر قيام خمسة من الفلسطينيين فى روما بمحاولة اسقاط طائرة الركاب التابعة لشركة اعمال الاسرائيلية باستخدام صاروخ بدعاية هائلة ، وحدثت محاولة مشابهة فى باريس ١٩٧٥ ، عندما حطمت طائرة

يوغوسلافية • وعلى الرغم من اتصاف هذه الأسلحة بالابتعاد عن البساطة -
الا أنها استطاعت أن تشق طريقها الى أيدي الارهابيين - على ما يبدو -
بانتظام واطراد ، ولن يضى وقت طويل حتى يصاد النظر فيما يصلح
للانضمام تحت عنوان استراتيجية الارهاب •

ومن الحقائق المعروفة أن جماعة بادر - ما ينهوف قد هددت فى الماضى
باستخدام غاز المسطرة ضد عامة الناس فى محاولة للابتزاز • ومن
المعروف أيضا أنه فى وقت باكر يرجع الى ١٩٧٥ قبض على جماعه من
الناس فى النمسا أثناء قيامهم بعملية تحضير لغاز الأعصاب ، وكانوا ينوون
بيعه لجماعة ارهابية غير معروفة • وهكذا تكون بدور هذه الفكرة موجودة،
وبازدياد تقدم التكنولوجيا ستزداد وسائل تحضيرها واستعمالها ونشرها
تقليصا •



١١ - هوامش الارهاب

(أكل اللحوم وسفك الدماء سيان) MEAT IS MURDER

الارهاب - كما رأينا - نهج وأداة ووسيلة ، ولكنه ليس أيديولوجية انه وسيلة ، قد تزايد الالتجاء اليها في السنوات الأخيرة من قبل « نوعية ثابوية » متكاملة جديدة من جماعات « العمل المباشر » ، ولقد تزايدت بلايا العالم الغربي الفارق في النواحي الاستهلاكية من جراء التهديدات بالابتزاز وما تحمله في طياتها من عمليات تلوين المنتجات وغير ذلك من « الأعمال المباشرة » التي تتصف باجرامها • ويتبع هذه الأساليب من أصبحوا يدعون « بالارهابيين الرقاق » (٢) ، ولكن كما سنرى فليس هناك ما يوصف بالركة ، فيما يتعلق بتكتيكات أولئك الذين أضفوا طابع التطرف على حركات اصلاح البيئة والمنادين بحقوق الحيوانات وغير ذلك من القضايا والحروب الصليبية •

هذه التنظيمات ، والتي آثرنا تسميتها بتنظيمات هوامش الارهاب. تستحق - بطبيعة الحال - كتابا خاصا بها ، فهي متعددة الى أبعد حد • ولن يستبعد احدائها أخطارا ودمارا من جراء ما تقوم به من تهديد ، ولو أننا ألفنا هذا الكتاب منذ خمس سنوات ، عندما كانت مثل هذه التنظيمات مازالت تحبو وتتبع أساليب سلمية في مقاصدها ، لما استحققت أنئذ أي ذكر • على أن العنف بمجرد اتباعه له قوته الدافعة • ومن ثم أفسح الاحتجاج المشروع الطريق أمام « العمل المباشر » والمقاصد الاجرامية ، والحديث عن

هذا الموضوع - ضمنا - له أهمية حتى تكتمل دراستنا لتهديدات الارهاب بجميع ألوانه . وسيتركز هذا البيان على منظمتين بصفة خاصة . أحدهما في بريطانيا ، والآخرى في الولايات المتحدة ، من باب التمثيل لا الحصر .

لقد عرف الانجليز - دوما - بأنهم شعب محب للحيوانات . فما دنفق على اطعام الحيوانات المدللة وحده ربما فاق ما ينفق على اطعام القوات المسلحة ، والباسها ، ورواتها . ولعلك تفضل الذهاب الى ما هو أبعد ونقول : ما يكفي لحل مشاكل المجز والقصور في معدات علاج الفشل الكلوى . وعندما نسفت PIRA إحدى السيارات المفخخة في طريق الاحتفال الذى يسميه الانجليزى Household Cavalry أثناء توجيهها الى ثكنة حرس الفرسان تساوت الصيحات التى انطلقت هى وصيحات الاحتجاج التى انطلقت بعد انفجار القنبلة في محلات هارودز . ولم ينصب التعاطف على الأدميين من راكبي الحیول ، بقدر اتجاهه الى الحیول التى يركبونها .

وعلى هذا فاننا لن ندهش اذا رأينا ذیوع شهرة « حركات حقوق الحيوانات » بمثل هذا المقدار فى السنوات الأخيرة ، وهناك حركات مكافئة لها فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة ، أى البلدان التى يتماثل أهلها فى مقدار الافتتان بالحيوانات المدللة ، غير أن هذه الحركة فى بريطانيا قد اتخذت - بوجه خاص - طابع الحمة والاسفاف . وعليك أن تلاحظ الألفاظ التى استعملناها عامدين . فالحركة تعمل على الحفاظ على حقوق الحيوانات - وليس رفاهيتها - ويبلغ عمر « حركة تحرير الحيوانات فى بريطانيا » عشر سنوات . وعلى الرغم من اتباعها للارهاب فى أسلوبها ، الا أنها لا تقابل بالصدود أو توصف بالاشوعية . وعدوها الصريح هو كل من يستعمل الحيوانات اما كغذاء أو لأغراض البحوث . ولما كان ٩٨٪ من سكان انجلترا يأكلون اللحوم كجانب منتظم من وجباتهم لذا فليس من الصعب أن تثير هذه الحركة على أهداف لها . وفى طبيعة من يتعرضون لسخطها وهجومها الجزائرون ومواقع بطاريات المدفعية ، والكيماويون الذين يبيعون « الشامبو » الذى تم اختباره على الحيوانات ، وأيضا محلات بيع الفراء ومعامل الأبحاث . وقام الحركيون فى هذه الحركة بمهاجمة مذابح لحم الحیول وجمعيات الأبحاث الصغيرة وكلية الجراحين الملكية .

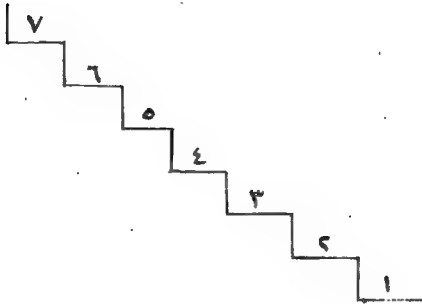
وهوجمت هذه المنشآت لأن جبهة تحرير الحيوانات تعتقد أن للحيوانات حقوقا مساوية وموازية لحقوق الأدميين ، وعلى الأخص حق الحياة الذى يتمتع به الانسان . وليس هناك من ينكر حق الحيوانات فى

الحياة • غير أن نقطة الخلاف هي الى أى حد يجب أن تمتد حقوق الحيوانات ؟ والقول بأن الحيوانات تتماثل هي والانسان زعم يراه بعضنا جارحا من الناحية الأخلاقية ، ويستعمله الارهابيون كذريعة أخلاقية للارهاب • والادعاء بأن ذبح المواشى فى السوق يوضع فى نفس المستوى الأخلاقى لذبح أولئك الذين أعتقلوا فى معسكرات الاعتقال من قبل النازى، يعد فى أقل تقدير مسخا شنيعا للحقائق ، وإهانة للبشرية • وقد لا يعتبر تناول شريحة لذيفة من « البفتيك » أفضل نوع من الطعام من الناحية الصحية ، وربما كان الاكثار من تناول اللحوم الحمراء من أسباب ارتفاع ضغط الدم ، غير أن الزعم بأن مثل هذا التكاليف على اللحوم يبرر استحقاق من يتناولها للعداوة والقتل لا يختلف فى منطقته عن الزعم الذى يزعمه الحركيون بأنهم يتبعون أخلاقيات عليا تسمح لهم بالخروج عن القانون •

ولقد أخفقت جبهة تحرير الحيوان وأذناهما « كليفيا حقوق الحيوانات » « وجمعية تخريب غابات الصيد » - باعتبارها - فى كسب التأييد عن طريق اتباع القنوات الشرعية المتاحة فى الأنظمة الديمقراطية ، يعنى المعتمدة على اقناع الرأى العام والمجادلة بالتي هي أحسن • ومع هذا فقد اجتذبت الحركة التأييد الذى زودها بالتبرعات التى تحقق عائدا سنويا يبلغ أكثر من مليون جنيه ، وتستغل أموالها فى مناصرة نوع جديد من السياسة له حافة ارهابية حادة • وتشهد بذلك بعض الأقوال كالقول الآتى على سبيل المثال : « اذا اقتضت الضرورة تحطيم كل دكان من دكاكين الجزائين فى البلد ونسفه فان AILF (*) لن تردد عن القيام بذلك (١) » •

ولقد قدرت AILF عدد الأعضاء المناضلين فى الحركتين التابعتين لها بمائة وواحد وثلاثين عضوا من الأشداء ، وتكمن قوة الحركة فى تنظيمها الذى يعتمد على خلايا صغيرة تتمتع بالاستقلال ، وموزعة فى جميع أنحاء البلاد • ويساعد مثل هذا التنظيم اللامركزى على صعوبة التنفيذ داخل الحركة • والظاهر أن معظم أعضاء الحركة من الإناث من اللائى لم يتجاوزن الثلاثين من عمرهن ، ويتم اختيارهن من سيدات الطبقة المتوسطة ممن يشغلن وظائف كتابية ومهن حرفية ، فهى تضم بين أعضائها أيضا كاتبات فى البنوك ومدرسات ومحاسبات ممن يعملون فى جميع الجوانب الأخرى من الدعامات المحترمة للبلاد •

ولقد تصاعد عنف أفعال هذه الجماعات على أثر شعورها بالاحباط
 لاختفاقها في كسب تأييد الرأي العام • انها نزعة يمكن التعرف عليها
 من حالة العنف والجنوح الى « العمل المباشر » التي تتبعها هذه الجماعات
 التي كرست نفسها لخدمة « القضايا الجديدة » ابتداء من قضية تحرير
 الحيوانات الى قضايا التخلص من الأسلحة النووية • وبالمقذور التعرف
 على الخطوات التي تتبعها حركة العمل المباشر اذا تأملنا الشكل التالي
 الذي يبين كيف تتصاعد في الاتجاه الى العنف •



شكل ٢ - النمط التصاعدي للعنف

- ١ - المظاهرات - اجتذاب الانتباه
- ٢ - الاعاقة - المواجهة (الكمائن التي تنصب للقوافل التي تجعل
 الصواريخ النووية) •
- ٣ - التخريب (ابتداء من تعطيل النوافذ في المحلات والقنابل
 واشعال الحرائق) •
- ٤ - تلويث المنتجات •
- ٥ - التهديد •
- ٦ - التهديد الشخصي •
- ٧ - الارهاب •

ولقد رمينا بهذا النموذج الذي يمثل الارهاب الدعوة الى تناسي ان أفعالهم قد بدت آثمة - أي منذ سنوات قليلة - منفرة بقدر كاف وفي ريف المناطق الشمالية ، قامت جماعة Hunt Retribution Squad بتدنيس بعض القبور كقبر جون بيل الصياد الانجليزى الذى ورد اسمه فى الفوركلور والأغاني ، والذى مات منذ مائة وخمسين سنة ، بعد أن عيخوا به ودنسوا مخلفاته ، وقد نظر الى هذه القصة على أنها من الأفعال الوحشية الشبيهة بأفعال الغيلان .

وفى مواضع أخرى ، أفسحت عمليات تومسيخ الصور والشعارات المجال أمام الاعتداء على العقارات واللقاء الأحماض والحجارة على النوافذ ، وصاحببت هذه الاحتجاجات حركات عنيفة . والآن فى السنوات الخمس الأخيرة ، ظهر نموذج جديد من الشغب والعنف ، ويبدو السلوك الباكر معتدلا بالمقارنة به : « فى كل يوم يستمر فيه أصدقاؤنا وأخواننا الحيوانات محتجزين خلف القضبان ، فان علينا أن نقابل ما يتعرضون له من عذاب بالاعتصاف حتى لو عني ذلك فقصدان بعض الحثالة لأرواحهم » (٢) . وأخفقت المظاهرات ، ولم تلق الاعتداءات على العقارات أى تأييد ، وبقي بعد ذلك الادميون . وارسلت رسائل مفخخة لرؤساء الأحزاب السياسية ولرئيسة الوزراء والوزراء والى بيوت كبار العلماء . وفى سنة ١٩٨٠ ، غرست ١٠٠٠ شجرة قنبلة كجانب من حملة فى طول البلاد وعرضها للتدمير ، والتهديد ، ارتكب فيها ألفان من الأحداث العنيفة ، وأتلفت أمتعة تقدر قيمتها بستة ملايين من الجنيهات .

ومن بين أكثر مشاهدتهم إثارة ، الاعتداءات على مصنع شوكلاته مارس . فلقد لوئت قطعتان من شوكلاته مارس فى مخازن سوثامتون باستخدام سم الفار . وحدث اتصال تليفونى لانهار الصحيفة القومية . وفيما أثبت أنه درس نافع فى تقنية مواجهة الأزمات ، لم يكن أمام الشركة التى بوغت بهذا الحادث أى حل آخر سوى اعطاء الأمر برفع بقايا ثلاثة آلاف طن من الشيكولاته من فوق الرفوف . وقدرت الخسارة فى الدخل بطريقة متحفظة بأكثر من ثلاثة ملايين جنيه . فلماذا وجهت ALF ضرباتها الى شركة مارس ؟ ان السبب يرجع الى التجاء الشركة التى تبحث فى أسباب تعرض الأسنان للفساد الى الاستعانة بالقرد فى اختباراتهما .

(٢) Animal Liberation Front نشرة رقم ١١ ١٩٨٥

استشهد بها Brass Track فى BBC, Tv يونيو ١٩٨٦ .

وقامت وحدة الانتقام Hunt بتوجيه ضرباتها • وتعرض للتدنيس قبر الدوق بوفور صاحب كلاب الصيد والذي كان حديث الوفاة • وهدد الغيلان (أعضاء الوحدة) بإرسال رأسه إلى الأميرة آن ابنة ملكة انجلترا ورعاية الجماعة !

« اننى أمقتهم • وأكره وجوههم القرمزية وأصواتهم المنكرة • انهم يركبون خيالاتهم (متقنعين) ويتوقعون أن يفسح الجميع الطريق لهم • كم أتمنى أن أراهم قتلى (٣) » • وكان المتحدث شابا من المستولين عن الاعلان يملك بيتا لطيفا في أحد الأحياء الراقية بلندن ، ويقوم بالتسكع يوميا لزيارة المكاتب الأنيقة في ماى فير • انه واحد من أثرياء الطبقة المتوسطة ، وبعيدا عن الفقر ، أو البراعة ، ولا عمل له ، ومن يرزخون تحت وطأة الشعور بالضالة • انه واحد ممن يشنون باليوبى • وهو يعنى تماما ما يقول •

ان الأحياء قد أصبحوا الآن أهدافا • فقد اتجه أنصار حركة تحرير الحيوان إلى الانقضاض على أبناء جلدتهم • وفي الحرب التي تحارب الآن بشدة لم تعهد من قبل ، هناك نقمة ملحة تتردد بلا انقطاع تعبيرا عن الكراهية • وليس يوسع المرء أن يتجنب الاستنتاج بأن الدافع ليس حب الحيوان بقدر كونه بغض بعض الأدميين الآخرين •

وثمة نزعات أخرى أكثر اقلاقا في جبهة تحرير الحيوان • فمؤسسها Ronnie Lee • وهو فوضوى ملتزم بيميناته • ويبدو الأمر وكأن مظهر من مظاهر الارهاب قد رجع إلى الوراء قرنا من الزمان ؟ أى إلى القرن التاسع عشر عندما كان الارهاب مستلهما من المنهب الفوضوى • وثمة مبررات كثيرة تدعو للاستنتاج بأن الحركة قد تعرضت لتسلل أفراد من المتطرفين ، انضمو لعضويتها من اليمين واليسار على السواء •

وتتجلى حقوق الحيوانات الشرائع والأعراف • وليس من الأمور غير المألوفة أن ترى الزايات السوداء للفوضويين جنبا إلى جنب أعلام الجبهة القومية في مظاهرات تحرير الحيوانات والمسيرات الاجتماعية حيث تؤثر العناصر الوحشية المواجهة العامة ، والفوضويون ملتزمون بأحداث العنف والشغب والبليلة في المجتمع في جبلته وشموله • وهم يتبعون بذلك السياسة الثورية : « لا يتعين على حركة تحرير الحيوان أن تمثل صورة مكتملة الألوان للتغير الثورى ، لأن الديمقراطية البريطانية تعتمد على المزيد من الدماء والارهاب أكثر من أى بلد آخر » (٤) •

(٣) جريدة Independent في ١٤ نوفمبر ١٩٨٦ •

(٤) نشرة Animal Liberation Front رقم ١١ (١٩٨٥) •

وحدثت ملتشياً حقوق الحيوانات أهدافاً بالذات لمهاجرتها في وضع النهار ، فشنت غارة قوامها بضغ مئات من لابس الطراير على أحد المعامل ، واحتلت المداخل ، وارتكبت أكبر قدر من التخريب أمكنها القيام به ، ولقد قبض على بعض منهم ، وقلائل موجودون في السجن الآن ، وإن كان هذا لا يبدو رادعاً كافياً ، وفي الحق إن المعامل وغيرها من الأهداف المحتملة قد أصبحت مجهزة بأفضل تجهيزات تكنولوجية ، بحيث يصح اعتبارها حصناً محصناً بأعظم التكنولوجيات ، قادراً على الصمود حتى في وجه أبشع الاعتداءات البيئية . وكان أكبر مثل مثير للفيظ ، القنبلة التي وضعت تحت سيارة أحد العلماء . وإذا كانت هذه القنبلة لم تنفجر ، فإن مرد ذلك هو المصادفة أو العناية الإلهية فحسب ، واختر ما تشاء من الاحتمالين ، تبعاً لما يروقك . ولم تعط قللاً أي تحذير . لقد كانوا يقصدون القتل ، وهناك احتمال بأن يزداد العنف ضد الباحثين الذين يحرون تجارب تستعمل فيها الحيوانات . وهذا منزع يمكن التعرف عليه في شتى أنحاء العالم الغربي . ويجري تخويف العلماء باستعمال وسائل متناغمة من أساليب البغضاء المصممة لارهابهم أثناء عملهم في بيوتهم .

وفي ٢ سبتمبر ١٩٨٦ تركز التخويف والارهاب على هيئة جلييلة الشأن عظيمة المكانة . انها الجمعية البريطانية لتقدم العلوم . ولقد نوقشت هذه المسألة طويلاً أثناء مؤتمرها السنوي الذي عقد في جامعة بريستول وسط اجراءات أمن مشددة لم يسبق لها مثيل . وعبر بعض عما يشغل بالهم ويقلقهم وقالوا أنهم على غير استعداد لنشر الكشوف أو تفاصيل من أبحاثهم خشية اجتذابها لانتباه الارهابيين . ومن الصعب أن يساعد العمل في جو الخوف على انجاز البحث . وإذا لم ينشر العلماء نتائجهم ، فإن المعرفة المكتسبة لن يشارك فيها الآخرون في التو ، وبذلك لن يتحقق الصالح المتبادل للجميع .

وقد ظهر أيضاً أن الاعتداءات الشخصية لم تكن موجهة ضد من يحزون التجارب ، وإنما كانت موجهة بالآخرى ضد أولئك العلماء الذين اعترضوا على المخالفة في استقلال مبدأ الحرية . وتحدث علماء كثيرون عن اهتمامهم بخير الحيوانات ، وإن كانوا قد خانهم التوفيق في هذا الشأن . فقد غاب عن فطنتهم أن ال . علماء ليست فعنية برعاية الحيوان ، ولكنها فعنية بحقوق هذه الحيوانات التي تراها مساوية لحقوق الأدميين .

وئمة مثال مقلق مماثل في تضاعفه يمكن لمحه في خركات السلام

وانصار البيئة • وهذه الحركات أمثلة للاحتجاج الشعبي الحق المؤيد بأصوات مليون من أبناء أوروبا الغربية الذين دفعوا الى التطرف والاستغلال من قبل آخرين • والحوار أمر مقبول • والخلاف في الرأي من الملامح المستحبة في الانظمة الديمقراطية على شريطة أن يتحقق التعبير عنها في نطاق قوانين البلاد ، وفي الوقت نفسه فإن أى هجوم يوجه ضد تضامن حلف الناتو ويهدد تماسك روابط حلف الأطلسي تباركه موسكو • ولربما قام الكرملين بتمويل حركات السلام على أى نحو غير مباشر وربما كان من المصادفات أن يكون بعض من يشغلون مراكز القيادة في هذه التنظيمات هم من الأعضاء المطيانية للأحزاب الشيوعية القوية ، غير أن حركة السلام تعمل في اتجاه واحد • فلم نسمع عن خروج تظاهرات لنساء كيبف للاحتجاج ضد الأسلحة النووية تطوف مدنها •

ولا يرجع الجانب المطلق الى مجرد حدوث تصاعد في العنف ، أو الى ما يتكبده دافع الضرائب من زيادة لتغطية النفقات الإضافية التي يحتاج اليها لمواجهة « العمل المباشر » • وانما المطلق هو الأدلة الموثقة عن الاعتداءات التي تشن على الصناعات الدفاعية بالاشتراك والحركات الارهابية الأوروبية • ولقد هوجمت المصانع والقواعد العسكرية • ولا يخفى أن جماعات الاحتجاج قد تعرضت للاستغلال من قبل جماعات « العمل المباشر » مثل R.A.F. و C.C.C. وغيرها من الجماعات الارهابية •

وليست الحكومات فوق كل لوم عندما يتعلق الأمر بأحداث الارهاب • إذ كان الهجوم الفرنسي على باخرة الخضر من دعاة السلام « رينبو » في نيوزيلاندة من الأفعال الارهابية الصارخة التي أثبتت « تورط الدولة في رعاية الارهاب كأي ارهاب ليبي غير مؤيد كتابة » •

وفي نوفمبر ١٩٨٦ ، قام حوثان في ميناء ركيافيك بأحداث ثقب في إحدى المراكب • ووصفت شرطة أيسلندة العمل بأنه تخريب معتمد ، وأعلنت جمعية منطرفة للحفاظ على حقوق الحيوانات مسئوليتها عن الحادث • ولقد انشقت هذه الجمعية عن جمعية الخضر منذ بضع سنوات • وفي الوقت نفسه تقريبا ، تعرض أحد الأشخاص أثناء استعمال دورة للمياة في مدينة ريفية انجليزية لجرح شديد من أثر أصابته بأحد الشراك الخداعة • ولقد شاعت شهرة دورات المياة هذه لأنها كانت ملتقى المصابين بالشذوذ الجنسي • وتمتد قائمة هذه الأحداث والأحداث الغريبة الأخرى من يوم لآخر •

وفي الولايات المتحدة ، تتخذ هوامش الارهاب مظاهر أخرى ، إذ تندلع أحداث جمعية الكلوكلوكس كلان من آن لآخر في الولايات

الجنوبيه ، وما عرف عنها من كراهية عنصرية مرضية • ومفتاح مسلك « الدلان » ووحدها منذ أعقاب الحرب الاهلية الأمريكية في منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن هو ما يكنه بعض البيض من بغض للسود ، وتتلقى هذه الطوائف الدعم أما من باب الاعجاب بها ، أو اتقاء لشرها •

ولجأ أنصار حماية البيئة الى « العمل المباشر » ، الذى غالبا ما يتخذ شكل الاحتجاج الجماعى الذى ينتهى بالاصطدام والجهات المسئولة • وفى بعض النواحي العاطفية ، مثل الاحتجاج على الأسلحة النووية ، يحدث نفس التصعيد المثير فى العنف ، ونفس الاتجاه للتطرف فى الاهداف والغايات • وظهرت عمليات النهب للمتتوجات (بطلب فدية من الشركات والا تعرضت منتجاتها للتلوين) التى يضطلع بها المجرمون وأعضاء حركة الاحتجاج سواء بسواء فى صورة أحداث متفرقة ، وان كان قدر كبير من الأذى والضرر قد لحق بأولئك الذين قتلوا حيثهم بسببها •

ويمقدورنا أن نصافد أكثر النزعات وضوحا فى السياسات المتصلة لليمين المتطرف ، فلقد تعرضت العيادات التى تسمح بالإجهاض للاعتداء والحرق من قبل أولئك الذين يدعون الولاء لحركة « حق الحياة » وحركات مماثلة • وتسمح منظمات أخرى بالدين لتبرير العنف والعنصرية • وفى هذا المقام ، فان حركة « الهوية المسيحية » قد أثبتت ازدياد نزوعها الى الاقلاق والشغب فى السنوات الأخيرة ، ولقد خلطوا كراهيتهم للسود بكراهيتهم لليهود ، وقاموا بالدعوة بالقول والفعل لاستخدام العنف المسلح لتحقيق مآربهم ، التى تتألف من خليط متفجر من الدين والنزعة العنصرية ، التى تنشر عن طريق الراديو والتليفزيون لكى تستمع اليها مراكز المتشددىين التى تضم خمسة آلاف نفس فى أغلب الظن ، وخمسة أمثال هذا العدد من المؤيدين ، انها حركة بدأت من وسط الغرب ، حيث مازالت تتمتع بالقوة ، وتتمركز هناك • وتعرض الحكومة الفيدرالية بواشنطن لنصيب خاص من الكراهية ويطلق عليها كنية ZUG « الحكومة الاحتلالية الصهيونية » ، ويوجه لها اللوم عن كل ما يصيب أمريكا من أوصاب • وفى السنوات الأخيرة ، اجتذبت الحركة أنصارا جلدا من الفلاحين المفسدين الذين يكرهون الحكومة الفيدرالية كره التحريم • وقام المسلحون من أتباع الحركة بالقاء القنابل وسرقة البنوك والاغارة على مخازن أسلحة الحرس الوطنى ، وتفنتق هذه الجماعة الى التماسك والقيادة القوية ، ولكنها تتميز بمهارتها فى استعمال الأسلحة ، والمذبذبات ، وحركة « الهوية المسيحية » والجمعية الأخرى المحتمية بها « الأمة الآرية » متصلتان كذلك بجمعية أخرى تدعى Posse Comitatus

ومقرها في الغرب الأوسط أيضا وتعمل على إثارة العنف وتشجيع المواطنين على التهرب من الضرائب .

ولا تتوافر لأية جماعة من هذه الجماعات القوة الكافية التي تساعد على إثارة أية مشكلات حقة في الوقت الحاضر ، ولكنها جميعا مسلحة على خير وجه ، وبارعة في استخدام الأسلحة ، وقد اجتذبت الكثير من المحاربين القلما من حرب فيتنام ، الذين مازالوا يشعرون بالمرارة ، وساعد ذلك على مضاعفة أعدادهم ، وأيضا على زيادة مهارتهم .

وفي العالم الغربي ، جنحت حركات الاحتجاج الى التطرف والعنف ، وتأييد الأعمال الارهابية ، لأنه عندما يحدث اجماع دائم على القضايا التي يعتبرونها هامة كقضية قتل الحيوانات واجراء التجارب عليها ، لن يكون هناك أى استعداد لتأييد التغيير وحل المشكلات باتباع الوسائل السلمية .

★ ★ ★

١٢ - الإعلام والارهاب

« الصحافة اليومية هي بالضرورة شي، احتكاري ، وأول واجباتها هو الاعراض عن اغراءات الاحتكار ، فجمع الأخبار على رأس مهامها ، وكى تتجنب الأخطار التى تهدد روحها ، يضمن عليها الإلمثنان الى علم تلوث ما يردھا من زاد ، فيجب أن لا يشوب وجه الحقيقة الناصعة أى خطأ ، فيما تذكره ، وفيما لا تذكره ، أو فى طريقة العرض ، والتعقيب حر ، ولكن الحقائق مقلصة » ، (جريدة المانشستر جارديان ٦ مايو ١٩٣٦) .

والحنف خبر من الأخبار ، وهذه مسألة لا اختلاف بشأنها . ومن الأمور التى لا خلاف عليها أيضا ، دور الصحافة الحرة ، وما تتضمنه من انتقادات تساعد على مواصلة مسيرة المجتمع الديموقراطى الحس والمعدل ، التى لا تختلف عن دور قوانين البلاد والحكومة المنتخبة انتخابا حرا : « التعقيب حر ولكن الحقائق مقلصة » . ولقد نشرت الكلمات السابقة قبل ظهور التليفزيون ، وبعد ست سنوات فقط من ظهور أول إذاعة تجارية بالراديو . غير أن كلبداً مازال صحيحا سنة ١٩٨٧ ، مثلما كان الحال سنة ١٩٣٦ . فما هى الواقعة التى كانت بمثابة نذير نبه جريدة الجارديان الى القول بأن التعقيب قد يشيب فى ضباب الأيام ، وإن كان لا يستبعد أن تكون حجج مماثلة قد ثارت آنئذ ، مثلما ثورت اليوم عن دور أجهزة الاعلام ، والاختلاف الهام بين ١٩٣٦ و ١٩٨٩ هو ما حلت

من تساعد في شدة النقاش وحدته في الاعلام الحديث ، والقفزة الهائلة التي حدثت في مقداره .

ومسئولية الاعلام واضحة ، انها عرض الوقائع . اما التحليل والرأي فيتبعان أبواب التحرير واللقاءات ، وان كانت اقامه هذا الحد بين الجانبين ليست بالهمة البسيطة القاطعة ، كما تبدو . ولقد وصفت كاميرا التلفزيون بأنها عين الحقيقة ، ولم يكتب هذا الوصف ، لأن التلفزيون يسجل ، - حقا - الأحداث كما حدثت . ويتعين الاعتراف بأن التلفزيون قد أصبح العين الفعلية للمشاهد . ولا يلزم أن يتوافر له المنظور الجامع ، رغم ما له من أهمية ، حتى تتصف الصورة باكتمالها ، فمثلا لن ينسى جنود ايرلاندة الشمالية ما شاهدوه أثناء أحداث الشغب على نطاق واسع في الشوارع من عودة هذه الأحداث للحياة على الشاشة ، ولقد قامت الكاميرا بتصويرهم في لقطات أخذت من وراء المشاهدين . ونسيت طلقات القنابل النفطية والحجارة التي ألقيت على الكاميرا ، ولم يعد أحد يرى غير تهديد الجنود المدرعين وخوذاتهم ، وهم يتقسمون حاملين الشوم والبنادق التي يفرقون بها المشاغبيين ، والموقف واحد في الحالين (أى كما حدث ، وكما صورته الكاميرا) ولكن طريقة العرض والتفسير المحتمل مختلفة تماما . وقد يظن أن الاختلاف مجرد اختلاف في وجهات النظر، ولكن من بمقدوره أن يلوم المشاهد اذا هو ارتكن الى الظن بأن الجيش البريطاني قد كان عدوانيا ومتيرا للخطوات الى أبعد الحدود ؟ ومنذا الذى يوجه اللوم الى المصور التلفزيوني ؟ لقد سجل الحقيقة ، ولم يسجل أى شيء غير الحقيقة .

والمخبرون الصحفيون والمصورون الصحفيون بشر ، وبحكم بشريتهم فانهم يمتنقون اتجاهات سياسية ويتبنون مشاعر شخصية ، ومن العسير قبول ما يقال عن تحررهم من التعصب . وبوجه عام فما لم تكن التقارير من نوع الأخبار « الساخنة » التي وردت للتو عن حادث ما ، فان التقارير تتعرض لعمليات مراجعة وتنظيم وتمحيص قبل اذاعتها على الهواء ، وقبل اختيار أفضل صورة تناسبها عند ظهورها ، على أن هذا الفحص ، حتى اذا تحقق بأعظم قدر من العناية ، فانه لن ينفى عن الاعلام - والتلفزيون بخاصة - الاتهام بأنه يميل الى مساعدة الاوهابيين .

ويطلب أى وصف لعملية الاغتيال في الجرائد اليومية - بغض النظر عن مدى اقتدار الصحفي - تركيزا وخيالا من القارىء حتى يتمكن من استحضار حقيقة الموقف . ولا اختلاف من حيث التأثير الدرامى بين وصف الاعتداء على الطائرة واختطافها فى الراديو ، وبين التعليق على المباراة النهائية للكأس فى عالم كرة القدم ، واذا قمت بعرض أى حادث لالقاء القنابل فى التلفزيون وما ثار من شغب فى بلغاست وسجلت صورة

الارهابى وهو يقدم طلباته وهو قابض فى معقله الحصين فى السفارة ، وهذه واقعة حقيقية ، فانك ستصور وأنت جالس فى حجرة معيشتك أمام المدفأة ، أنك قد عرفت كل شيء ، ولست بحاجة الى خيال لمعرفة المزيد .

وكاميرا التلفزيون قادرة على التهويل وتضخيم امكانات العنف بحيث تبدو مكبرة جملة مرات ، بأن تأتى بصورة الارهابى أمام الأعداد الغفيرة من المتفرجين . وسيظهر الارهابى بمظهر درامى أبلغ تأثيرا مما يجول فى خاطره . فالتلفزيون سلاح يخدم الارهابى فى بعض الأحيان ، ولكن رغم ذلك فإن التلفزيون يوصف بأنه مازال يؤدي ما يطالب به عامة الناس « أى تقديم الحقيقة » ، ومن الانصاف أن نستخدم كلمة سلاح عندما نتحدث عن الاعلان ، ولعله سلاح رغم أنه ، لأن الكثير من جوانب الحرب السيكلوجية تستند على طريقة توجيه الاعلام . انه توجيه ربما لا تدرك أجهزة الاعلام مدهاه على الاطلاق ، وعليك أن تخطر خطوة الى الامام وتفترض أننا اذا كنا على الصواب والاعلام مخطئا ، فلماذا لا نستعمل هذا السلاح مثل استعمالنا لباقي الأسلحة ، بحيث يخلم استراتيجيتنا الدفاعية والهجومية على السواء ؟

فاذا كان من بين الاحتياجات الصفة لآى جماعة ارهابية ، اذاعة اخبار عملياتها حتى تنتشر رسالتها وقضيتها فى العالم (أو يتعين أن نذكر أن أغلب الجماعات الارهابية تعتقد اعتقادا راسخا أنها على حق ، وأن الوقت والجهد كفيلا بانصافها ورفع الضيم عنها) ، فهل يساعد أى اجراء حكومى أو فرض حظر على نشر جميع الأحداث الارهابية « بالقضاء » على العنف ؟ أم هل سيكون له تأثير عكسى ، فيتصاعد العنف الى درجة مهولة ، بحيث يضطر الاعلام الى عدم تجاهل هذه الأحداث ؟

ولقد كشفت تغطية التلفزيون لحادث ميونخ عندما حدثت العملية الارهابية فى مطار Furstenfeldbruck الكارثة بجميع دقائقها كاملة ، وجاءت صحبحات الراى العام فى المانيا الغربية وباقي أوروبا مقلقة الى أقصى حد لحكومة بذلت قصارى جهدها فى الطريق الصحيح ، علما بأن الكاميرات لم تسجل ما هو أكثر من الأحداث على حقيقتها . ولم يخف على صناعات القرار من أرباب القنوة على النفاذ فى النفس البشرية مدى عدم الارتياح الذى شعرت به الشرطة أو ما تنوى اسرائيل القيام به .

ولقد وصف اعتداء SAS على السفارة الإيرانية بأنه « فرصة ذهبية » للتلفزيون ، ولعله كان كذلك ، فلقد رأت الجماهير اقتناعا مثيرا على درجة عالية من الكفاءة يجرى هناك ، وسمعوا طلاقات الرصاص

والتفجرات • وبعد ذلك بـعشر دقائق ، رأوا الرهائن وهم يهرعون للخروج من المبنى دون تعرض للأذى • وبعد ذلك بأيام ، بدأوا يقرعون في الجدران اليومية أن الجنود قد أطلقوا النيران على الإرهابيين الذين كانوا قد رفعوا أيديهم مسلمين بالفصل ، ولربما كان هذا صحيحا ، ولعله كانت هناك أسباب وجيهة تبرر حدوث ذلك لصالح الاقتحام الشامل ، وتأمينا لأرواح الزهائن ، ولقد هز رجل الشارع رأسه بحكمة وقال : « هذا صحيح ! وكان من الواجب أن يحدث ذلك » • غير أن استقبال هذا الحادث كان سيبلو في صورة أخرى لو أن كاميرات التليفزيون كانت موجودة داخل الحجرات ، ورأى عامة الناس كيفية حدوث الواقعة • فالمشاهدون المسترخون على مقاعد وثيرة يتفرجون دون مشاهدة التوتر الذى ينتاب المعتصم ، وبغير معرفة لدرجة تدريب الجنود ، وبغير دراية بالاصرار السياسى على عدم تعرض أية رهينة للخطر ، وبغير معرفة لتكتيكات « القنابل اليدوية المختبئة » التى يتبعها ارهابيو الشرق الأوسط ، وبغير تعرف على ما تلقته القوات ، ما كان من المستبعد أن يتماطف هؤلاء المشاهدون على الإرهابيين المتهورين وأن يسمع ترديد صيحاتهم : « اللعبة غير متكافئة » ، غير أننا نكرر القول بأن ما كان ينتظر أن يروونه كان تسجيلا دقيقا للأحداث •

وحصار شارع بالكومب في لندن في ديسمبر ١٩٧٥ مثل أولى لكيف يستطيع استغلال سلاح الاعلام لتحقيق أثر حسن عن طريق عرض أحداث الارهاب • ولقد استمر الحصار زهاء خمسة أيام ، وفر أربعة من حاملى البنادق الرشاشة الى شقة فى شارع بالكومب بعد أن أطلقوا النيران على مطعم فى حى ماى فير ، وقبضوا على اثنين من الطاعنين فى السن كانوا يملكون الشقة كرهينتين ، وفى اليوم السادس للعملية ، نصب رجال شرطة لندن شاشة عالية من القنب لسد الطريق ، وأخفوا الكاميرات بحيث لا يراها أحد ، ودسوا خبيرا الى الصحافة بأن S.S. فى طريقها للتحرك نحو المسلمين ، وانتشر هذا الخبر فى شتى الأنحاء ، وبعد ذلك بوقت قصير استسلم المسلحون الأربعة ، ولم تسمح أية طلقات من جهة الشرطة طوال الحادث ، وكان هذا القرار قرارا كلاسيكيا ، وسجن رجال الجيش الجمهورى الايرلندى مدى الحياة ، وحقق هذا الاجراء ردعا يفوق تأثير اطلاق الرصاص عليهم ، الذى قد ينتهى بمصرعهم وتحولهم الى شهداء !

ولعل من أكثر القضايا إثارة للجدل فى هذا القرن حول مسألة الاعلام والإرهابيين قرار الاذاعة البريطانية باذاعة اللقاء الذى تم بينهما وأحد أعضاء جيش التحرير الايرلندى INLA فى يوليو ١٩٧٩ •

وربما لم يسمع غير قلة من الناس عن هذه الـ INLA الى أن أعلنت هذه الجماعة مسئوليتها عن مصرع ايرى نيف عضو مجلس العموم وعضو حكومة الظل في ٣٠ مارس ١٩٧٩ . ونجح دافيد لوماكس (بهيمة الاذاعة البريطانية) في النفاذ الى داخل INLA ، واستطاع أن يجري حديثا مسجلا معهم ، وبرز القاتل عملية القتل أثناء حديثه المشتت الموشى الخلى بالكليشيهات الشيوعيين متهما « نيف » بتعذيب المسجونين السياسيين ، ولم ينس توجيه انتقادات الى المجتمع الانجليزى . ولم تخطر الشرطة أو الحكومة بوجود هذا التسجيل الذى أذيع على الهواء في ٥ يوليو ١٩٧٩ بعد تردد وتقاش طويل داخل أروقة الاذاعة البريطانية ، وجاء رد الفعل فى المدى القصير معتدلا الى حد آثار الدهشة . فلم تسمع أية اعتراضات باستثناء ما قامت به « الليدى نيف » أرملة ايرى التى تصادف أن شاهدت التليفزيون ، وشعرت بالضيق . وهذا أمر غير مستغرب ، ونشرت جريدة الدايلى تليغراف رسالة انتقادية شديدة الهمجية وردتها من الليدى نيف . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، أصبح الموضوع محور أخذ ورد غاضبين فى أجهزة الاعلام والدوائر السياسية . وبرزت الاذاعة البريطانية ما قامت به بالقول بأن للراى العام الحق فى معرفة وجهة نظر الارهابيين ، وأن نشر مثل هذه الاحاديث سيسمح الارهابيين على التحدث بما هو أكثر عن العنف .

وفي هذه الواقعة ، تركزت المشكلة على أن جمعية لم يسمح بها أحد قد باغثت المتفرجين الذين يقدر عددهم بالملايين ، وأتيحت لها الفرصة للتعبير عن آرائها . وترى إحدى مدارس الفكر أن هذا اللقاء ربما يكون هو الذى ألهم بالقاء القنبلة على سفينة الايول مونتهاتن فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٩ . وهو حادث راح ضحيته الايول وثلاثة آخرون . ويفسر ذلك بأن PIRA قد شنت محاولة يائسة لكى تتكافى هي ومقدار الشهرة التى حظيت بها الجماعة الارهابية الأخرى INLA .

وهكذا فإذا نظر لأخبار أجهزة الاعلام على أنها سلاح فيثعن - فيما يحتل - أن ينظر اليها على أنها أشبه بيندية بلا سقطة أمان ، أو أنها أشبه بيندية ذات ماسورة منجنبة ينفذونها أن تنطلق فى أى وقت دون أن تكشف عن أى أثر يستشف منه أين ستسقط القنابل ، وليس هذا كلاما من قبيل المغالاة فى التبسيط . فعندما نفحص القيمة الخبرية من هذا اللقاء الذى أجرته الاذاعة البريطانية فإن علينا أن نفحص جميع الآثار المحتملة من جميع الزوايا التى يمكن تصورها حتى لا تتعرض لأصابة أية طلبة « سكرتمة » غير متوقعة .

ويُحتمل أن يكون أفضل نصير لفن تسخير الاعلام لأغراضه هو المخابرات السوفيتية K.G.B. . ويمتد بوجه عام أن عمليات تحريف المعلومات Disinformation من اختصاص الادارة التابعة لها والمسئولة مسئولية كاملة عن الدعاية والحرب النفسية ، وتعرف K.G.B. « عملية تحريف المعلومات » بأنها النشر على نطاق واسع (عن طريق الصحافة والراديو والتليفزيون) لمعلومات زائفة بقصد خداع الرأى العام ، وعندما أنشأ الجنرال يورى أندروبوف هذه الادارة ١٩٦٧ (وكان رئيسا عاما للمخابرات آنئذ) فانها قد تبادت في المبالغة في هذا السبيل ، ويقال انها كانت تنفذ بين ثمانمائة وألف عملية خداع سنويا

وأكبر مهزلة قامت بها هذه الادارة التي حققت تأثيرا جزئيا (وأن كانت هذه المسألة موضع خلاف) هي اثارها الشعور بالذنب داخل العالم الحر ، وتنصب جهود هذه الادارة على الولايات المتحدة بوجه خاص ، ويكفي أن نتذكر عدد الجمعيات المتأثرة بالدعاية الشيوعية التي هاجمت الاستقرار في الارتقاء بصناعة قنبلة النيترون . واعتملت هذه الدعاية على نشر صور فظيعة للجن سوفيتية بقيت فيها الأبنية قائمة ، بينما سقط المواطنون موتى باللايين ، والقنبلة النيترونية سلاح ممنم صغير كان في النية استعماله في عمليات الدفاع خلف خطوط الحلفاء في أوروبا الغربية في حالة حدوث « اجتياح » سوفيتي . ولقد هدف جهاز الدعاية السوفيتي أيضا لاشعارنا بالذنب لأننا نأجحون وأثرياء ومتخون ونستمتع بمستوى عال من الحياة ، بينما الارهابي البائس الذي ولد في الفاقة ، لا يسعى لأكثر من الحصول على ما يتمتع به القارىء بالفعل مما ورثه من الجهد الشاق الذي قام به واحد من جلدوده . وتتم أكثر عمليات نسخ المعلومات في عالم K.G.B. عن طريق صلات معروفة بوكالة الأنباء « نوفوستي » ووكالة الأنباء الرسمية تاس وراديو موسكو .

ومن بين مهام « مجلس السلام العالمى » - وهو من كبار المساهمين المزعومين في هذا المضممار - التأثير في الرأى العام في البلدان الديمقراطية في العالم الحر ، والوسائل المتبعة عتيقة عتاقة الجبال ، يعنى الاعتماد بقدر ما على الصحفيين الذين يميلون ميلا فعليا الى اليسار ، وما أكثر عددهم . وتقوم K.G.B. باقامة ولائم فاخرة حافلة للمراسلين يتناولون فيها القودكا والبورشيت والبالونى بمقادير متساوية . ويترتب على هذه الولائم قيام المخبرين الأكثر سذاجة بترويج المواد الاعلامية المطلوبة .

ولقد ظهر هجوم متوافق ومتناغم على برامج النهوض بالتسلح في

الولايات المتحدة وأوروبا من قبل جماعات من الصحفيين والمنظمات كمنظمة
Coalition for Peace and Freedom و Mobilization for Survival ومنظمة
International/League and Military for Foreign Policy .
وقد هاجمت هذه الجماعات مشروعات القنبلة النووية وحرب النجوم
ونشر الأسلحة النووية والأمريكية في أوروبا ، وغير ذلك ، ولقد حققت قدرا
من النجاح - كما يمكننا أن نتخيل - لأن بعض هذه البرامج قد أوقفت ،
كما يبدو .

وإذا كانت K.G.B. قد أنفقت قدرا كبيرا من المال على عمليات
تحريف المعلومات اتباعا للاستراتيجيات المشار إليها آنفا باقتضاب ،
لذا فلا يستبعد أن يكون بعض هذا المال قد حول إلى تدعيم الارهاب في
أجهزة الاعلام . اذ تقوم K.G.B. بتدريب أو تنظيم قديمي الكثير من
الجماعات المتنوعة للارهابيين ومحاربي المصائب ، بحيث لا يتخيل أن
يقصر جهدها عن القيام بمثل هذا النوع الأسهل من الموازنة والتي يحتمل
أن ينسب إليها بمقدار أقل .

هناك بكل تأكيد بعض أمثلة بالذات للعمليات الارهابية التي يكون
اشراك الصحافة فيها كطرف أو تكليفها بعمليات مسخ محسوبة للمعلومات
(شريطة أن لا يتبع هذا الاجراء الا في أضيق نطاق استطاع) عملا
مستصوبا ، كما حدث عند محاولة اقتاذ أرواح الرهائن مثلا ، وليس مثل
هذا التكتيك بعيدا عن الخطر ، بطبيعة الحال . فلربما استطاع اضعاف
ثقة الجماهير بدقة الصحافة (وهذه حالة قائمة بالفعل) وربما أدى الى
حدوث موقف يستمر فترة من الزمن ، لا يجلي فيه ما أتبع في شوارع
بالكومب .

كثيرا ما ذكر العارفون ببواطن الاعلام ان جمهور المتفرجين يتعطشون
للفزع ، ويبدو لي أن أعراض هذه الحالة المرضية تظهر عندها يكون فيها
المتفرج جالسا بالقرب من المدفأة ، ويود أن يشجر كأنه واقف في الخط
الأمامي للقتال ، وينسى أن الحادث المروض أمامه مجرد خبر . وتحلث
الواقعة شعورا بالاستثارة يتداعى معه شعور لسان حاله « آه لو كنت
هناك ! » ، ولا يلزم أن يكون هذا الشعور نائبا من الحادث نفسه ،
وعلى هذا فان على الاعلام أن يشبع هذه الحاجة عند الجماهير . وبفض
النظر عن تفسيرات الأفراد ، فان ما تفعله يحقق المراد منه ما دامت الحقيقة
تبلغ بطريقة غير منحازة .

★ ★ ★

١٣ - التهديد الارهابي اليوم

قبل أن نفحص مختلف وسائل مواجهة الارهاب ، ربما كان من المستصوب أن نتوقف هنيهة للتحدث عن « التهديد » ، وأبعاده الآن . ولو قسنا مدى التهديد اعتمادا على مقدار اجتذابه لانتباه الاعلام سيبدو غديره كثيبا . وترجع المشكلة الى أن تصوراتنا وانطباعاتنا عن الارهاب لم تتكون استنادا الى دراسة التاريخ أو تأثير التقاليد ، ولكنها جاءت الى حد كبير من تأثير الاعلام ، ان هذا يفسر أيضا لماذا يخصص الارهابيون في حربهم ضد الغرب قدرا كبيرا من استراتيجيتهم وجهودهم لجذب انتباه أجهزة الاعلام ، وتسخيرها لغاياتهم .

وعندما تستمع الى أجهزة الاعلام فانك ستعتقد أن الارهاب قد أصبح « سرطان » العالم المعاصر ، ورغم جميع المظاهر ، فلا يخفى أن هذا الاتهام بعيد عن الحقيقة . على أن الاعلام اليوم - أو على أقل تقدير جانباً كبيراً منه - يمد برهانا حيا على نجاح الارهابيين نجاحا باهرا في ترويع أخبارهم الى حد كبير مقابل أدنى قدر من الجهد المادي . والارهاب ينتعش في المجتمعات الحرة والمتفتحة في الديمقراطيات الغربية ، ويثير مشكلة حقيقية للغاية للعديد من المنظمات والأفراد . وفي الماضي القريب ، كانت بعض البلدان ، وعلى الأخص تركيا وإيطاليا ، مهددة بخطر الارهابيين ، ولكن على الرغم من ضعف مناعة المجتمعات ، فإن الديمقراطيات مازالت بخير ، وليس بمقدور الارهاب تهديتها .

ومن الملاحظ الغربية في العالم الحديث ، اتصاف الدول بالمرونة التي تساعد على الاستمرار في البقاء ، رغم ما يواجهها من ضغوط وتكسات ، وهذا يصح - بوجه خاص - عن الديمقراطيات . فقرة الدولة ، وما لديها

من موارد هائلة تحت امرتها أعظم دائما مما باستطاعة الارهاب حشده
ففي حالة ألمانيا الغربية وإيطاليا ، أمكن - آخر الأمر - السيطرة على
التهديد الارهابي الذي اكتسح وبرز بروزا كبيرا من أثر وجود منظمات
مثل بادر - ما ينهوف والألوية الحمراء ، وأمكن ترويضه بفضل السياسات
القوية والجهود الجماعية التي اشتركت فيها مختلف الأجهزة .

وليس من المحتمل أن تقلر أعظم الجمعيات الارهابية على الحفاظ
على سلامتها ، وشن اعتداءاتها كما تشتهي ، اذا واجهتها القوى الدفاعية
المستولة عن حماية الدولة ، بعد تعبئة النظام الديمقراطي لها عندما
يستثار غضبه . وبمقدور الحركات الارهابية المستلهمة من النزعة القومية
كتلك القائمة في أسبانيا وإيرلاندة الشمالية ، أن تزداد مرونة اعتمادا على
استهوائها لجانب من المواطنين ، ولكن يلاحظ أن هناك بعض جماعات
ارهابية مثل الجيش الجمهوري الإيرلندي و « إيتا » في أسبانيا لم يعد
لها مظهرها القوي الذي كانت تتمتع به فيما مضى .

ومن الناحية النظرية ، فإن نجاح الدولة في قمع الارهاب لا بد أن
يبدو مسألة مسلم بها ، أما في الناحية العملية ، فكثيرا ما تسرف الدولة
في تقدير عملية محاربة الارهاب « وتصل من الحجة قية » ، كما يقال في
أمثلتنا العامة ، ويرجع ذلك الى جملة أسباب كتعدد الأجهزة المستولة
عن تنفيذ القانون ، والوحدات المضادة للارهاب ، والقوات الخاصة
والتنظيمات الاستخبارية . كما أدت المنافسات القائمة بين العاملين في
الشرطة والقوات المسلحة الى تصعيب عملية التعاون في الجهود والتعامل
بينهما ، وفي الوقت نفسه ، فكثيرا ما يكون بمقدور الحكومات خلسق
مشكلات ارهابية إضافية لمواجهة . وكما رأينا ، فإن الارهاب قد أصبح
يبدو بصورة متزايدة كأنه نتاج للبرالية والأنظمة الديمقراطية أكثر من
كونه من آثار القهر واتباع الأنظمة الشمولية ، فمن الحقائق الواضحة
أنه منذ موت فرانكو ، تزايدت أحداث الجريمة والارهاب في أسبانيا .
ولو تابعنا هذه النظرة في المحاجة الى ما هو أبعد فائنا سننتهي الى
ملاحظة مريضة مؤداها أنه في بلدان كفرنسا وألمانيا الغربية والبرتغال
وتركيا ، ازدادت أحداث الارهاب في ظل حكومات أقرب سياسيا الى
اليسار .

نعم ان بمقدور الحكومات أن تقهر الارهاب ، ولديها طرق مفتوحة
عديدة لتحقيق ذلك . ولكن احدى هذه الطرق - يقينا - هي الرد عليه
بكفاية وقسوة . وبعد ١٩٨١ ، اكتشف آية الله الخميني أن نظامه
يلقى معارضة من مجاهدي خلق (اليساريين) الذين ألفوا تحالفا مع

الأحزاب اليسارية المشابهة لهم في معتقداتهم ، وسرعان ما تفجرت هذه المعارضة ، وتحولت الى حملة ابراهيمية ضارية ، استطاعت أن تحقق نجاحا لبعض الوقت على أقل تقدير . ففي بحر ثلاثة شهور حاولت اغتيال رئيس الوزراء وقرباة نصف المجلس الحاكم وقادة مختلفين للشرطة وأعضائه البرلمان ، كل بدوره ، وعلى هذا العهد ، جاء الدور على آية الله الخميني لكي يتجه الى الضراوة والرد عليهم بقسوة جامحة . وقامت الشرطة وقوات الأمن بالقتل بلا هوادة أو تمييز . وانتزعت المعلومات عن طريق تعذيب المشبوهين . ولم يمض أكثر من ثلاثة أشهر حتى أمكنهم كسر ظهر المقاومة . وحقت دول أخرى قدرا مماثلا من النجاح باستعمال قدر أقل من الوحشية وفي مدى زمني أطول .

والمشكلة التي تواجه الحكومات على المستوى الدولي ، هي أنها تحاول تنسيق سياساتها واجراءاتها الخاصة بمواجهة التهديد ، بغير وجود اتفاق عام على تعريف ماهيته . ولقد نشرت قائمة (١) تضم ١٠٩ تعريفا مختلفا للإرهاب في نصف القرن الأخير ، وأثناء اشتغالنا بالبحث ، صادفنا تعريفا جديدا أو تعريفين أصدرتهما الولايات المتحدة ، بل وصادفنا ما هو أكثر من ذلك عند أوروبا الغربية . وجميع هذه التعريفات مختلفة بعضها عن البعض .

وبقدر ما يهنا في هذا الشأن ، فإننا سنعرف الارهابيين بأنهم أناس ينجحون الى أعمال العنف ، بلا تمييز ، باسم ما يظنون أنه قضايا أخلاقية سامية ، وعندما يشن الارهاب في الديوقراطيات فإنه يعد جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد ، تلحق ضرا وتهديدا للأبرياء بقصد إثارة المخاوف ، لغايات سياسية . ولقد بدأ الارهاب — كما نعرفه الآن — كنزعة في أواخر الستينات ، ووطد أقدامه كامتداد للسياسات المتطرفة أو للحركات القومية أو الانفصالية . ولقد غدا الآن ظاهرة دولية .

وعندما يتعلق الأمر بالكلام عن الارهاب الدولي ، فإن هناك فجوة عميقة تفصل بين الأحاديث المعتزلة وبلاغة زعماء الدول ، والمتحدثين باسمهم ، وبين عمليات المهادنة أو ردود الفعل الواضحة التي تعقبها . ولما كان الارهابي يعمل على زعزعة استقرار المجتمعات الديمقراطية ، وإثبات أن حكوماتها لا حول لها ولا قوة ، لذا يساعد رد الفعل الضعيف على تعزيز قضيتهم . وهناك بعض حكومات بمقدورها مواجهة

مهدد الارهابيين ، والرد عليه بشدة ويقصد . ويتميز الاتجاه البريطاني بالذات في هذا الشأن بصلايته وحزمه . فهو يرى أن على الحكومات أن ترفض التعامل والمنظمات الارهابية ، ومن يساندنها من الحكومات ، حتى إذا كان ثمن ذلك حدوث خسائر في المدنيين . وهناك انجليزى يفترض أنه ضمن قائمة الرهائن بلبنان . وعلى الرغم مما تذكره البلاغات الرسمية لحزب الجهاد الاسلامى عن وجود اسمه فى قائمة الرهائن ، إلا أنه ليس هناك أى دليل آخر يثبت أنه على قيد الحياة .

ورعنا عن شعور الرجل وعائلته بالضيق ، فإن لندن قد طبقت سياستها . وعندما وجهت بالدليل الذى قسم فى احدى محاكمات الارهابيين ، وكان فيه الكفاية لاقتناع المحلفين بتورط سوريا ، وخداعها ، لم تتوان وزارة الخارجية عن اتخاذ الرد المناسب . فلقد خرق السفير السورى والعاملون بالسفارة بطريقة فجأة البروتوكول الدبلوماسى والسلوك الدبلوماسى ، ومن ثم قطعت بريطانيا علاقتها الدبلوماسية مع سوريا ، التى تعد قوة عربية *de facto* فى الشرق الأوسط . وهذه مسألة تحتل الجدول . وتطلعت بريطانيا الى قيام المجتمع الأوروبى بعمل مماثل ، غير أن أقصى ما استطاعت بريطانيا توقعه من هذه الدول هو ربتها على كفها بخنان من قبيل المواساة ! أما فرنسا فانها قد لعبت كمداتها دائما لعبة براجماتية بوصفها الدولة الأوروبية الوحيدة الملتزمة التزاما قويا بشئون الشرق الأوسط بحكم التاريخ والحاجة لتأمين حياة رجالها المحتجزين كرهائن .

وعندما كشف النقاب عن فضيحة إيران جيت ، كانت الولايات المتحدة هى التى أحدثت أعظم صدمة ، بل وتسببت فى أحداث أشنع احباط فى رأى الكثيرين . ولقد وضعت فى سياقها الصحيح الآن الوعود الكريمة التى عرضها الرئيس ريغان ، والتحذيرات التى حذر بها الارهابيين ، الذين هاجموا المواطنين الأمريكان ، بعد أن أوفد مبعوثا الى طهران يحمل عرضا أمريكيا بقيام الولايات المتحدة بدفع جزية لآية الله . ويستند بوجه عام أن إيران ، أى البلد التى احتجزت الرهائن الأمريكان لمدة ٤٤٤ يوما ، والتى لا تتوقف عن وصف الولايات المتحدة بالشيطان الأكبر هى التى حرضت على ارتكاب أبشع الصليبات الارهابية ضد المواطنين الأمريكان وممتلكاتهم خارج أمريكا ، وعندما باعت اليابان الأسلحة الى إيران عن طريق إسرائيل ، فانها أثار ضيق الأوربيين ، وأغضبت العرب المعتدلين كالسعودية ودول الخليج ، الذين يعيشون فى حالة خوف من الإيرانيين لتأييدهم العنف الذى يرتكبه الأصوليون من الشيعة . وفى مثل هذه الأمثلة ، استطاع الارهاب تحقيق غايته ، التى تبدأ بأثارة الرب

واستفزاز أهدافه واستحثاثهم على إصدار وعود تتنافى والعقل ، ويصح أن توصف باللاعقلانية الأفعال التي أقسم عليها مجلس الأمن القومي الأمريكي عندما حاول استرداد أولئك المواطنين المحتجزين كرهائن في لبنان ، ومن سخريات القدر أن يكون المفاوض الأساسي لاطلاق سراحهم انجليزى (تيرى ويت) مبعوث رئيس اساقفه كانتربرى . وقد احتجز ويت أيضا من قبل أولئك الذين تفاوض معهم قبل ذلك . وعند تأليف هذا الكتاب (١٩٨٧) ، ما يعرف عن أحواله لا يتجاوز الشائعات والرجم بالغيب .

وخلت ايران وليبيا وسوريا وحكومات أخرى خطوة جديدة في ميدان الارهاب الآن يحتمل أن تكون أشدها تدميرا . انه الارهاب المؤيد من الدولة . وهي مهمة تحقق قدرا أكبر من النفع ، وأخطارها هينة ، وأشبه بقيام الحكومات بانابة آخرين للقيام بالحرب بدلا منها ، وبمباراة أخرى فان الدولة تؤيد الذين يقودون العنف ، وتجنح ثمار الارهاب ، وهي بسيدة آمنة ، لا من الأفعال المادية نفسها ، وانما من ردود فعلنا حيالها .

والارهاب تحت رعاية الدولة من أساليب الطغاة الطموحين الأنانيين ، الذين يحصلون باتباع هذا السبيل على ما هو أكثر مما يمكن اشباعه عن طريق مكانتهم القومية وسلطانهم . ويتشابه رعاة الارهاب الدولى ، من جملة نواحى ، هم والأطفال الذين يحاولون الاهتداء عن طريق المحاولة والخطأ الى أى حد يستطيعون التماذى فى استفزاز البالغين الى أن يوقفوا عند خلعهم أو يهدأون ويضطرون لتغيير مسلكتهم . وتتخفى دول أخرى كسوريا وراء أفواج من الرجال الذين يوضعون فى « وش المدفع » ، والأعداء الباطلة ، وتكون هذه الدول على استعداد دائم لانكار ذنبها ، واثبات براءتها . وتزعم دول أخرى كليبيا أن لديها الحق فى مؤازرة أفعال العنف فى أراضي الدول الأخرى ، ولعل هذا يفسر - من جانب - لماذا يستحب اتخاذ أوروبا كميكان لمعارك الارهابيين . فاسرائيل هى العدو الحقيقى لارهابى الشرق الأوسط ، ولكن من الصعب النفاذ الى داخلها ، أما الولايات المتحدة الحليف الحميم لاسرائيل فتقع فى موقع قصى ، وربما بلغت اعتداءات الارهابيين هناك مثيرة للاستفزاز الى أبعد حد ، وعلى أى حال فلا ننسى أن هناك عددا وفيرا من الأمريكان فى أوروبا ، وإلى عهد قريب جدا ، كان أحب هدف أمريكى هو المنشآت الدفاعية . وبدأ هذا الاتجاه يتغير بعد أن تزايد تحصين هذه المنشآت ، ومن ثم وجه الارهابيون الدوليون والوطنيون انتباههم الى القطاع الاقتصادى .

فما هو تأثير كل ذلك على المسافرين الدولى ، والدولة المعنية بهـ
المسألة . وقد أصبحت الحاجة ، تدعو للرد على الارهابى بطريقة فعالة فى
المستوى الدولى . ولكن فى الوقت نفسه ، فان ما تقوم به الحكومة لسن
يضمن حماية الفرد وممتلكاته ، ولا يستبعد أن لا تكون قادرة على ذلك ،
ولقد تحسنت ردود الحكومة بدرجة ملحوظة . غير أن الأحداث الارهابية
قد تزايدت بمعدل بين ١٢٪ و ١٣٪ سنويا فى غضون السنوات العشر
الآخيرة ، ففي سنة ١٩٨٤ ، حدث اعتداء ارهابى على المصالح الأمريكية
والمستولين وراء البحار . وكان لمن أحتجزوا مبرر قوى يدفعهم للخوف
فقد قتل ثمانية وعشرون وجرح أربعة وسبعون . وقدرت تلفيات الممتلكات
بمبلغ اثنين وعشرين مليوناً من الدولارات ، وفى سنة ١٩٨٠ ، شنت
اعتداءات على المصالح الأمريكية وراء البحار ، ويعد السلاح المفضل فى
اعتداءات أوروبا هو القنبلة ، ويستخدم الارهابى القنابل لأنها سهلة
الصنع ، وسهلة الاخفاء ، وليست فى حاجة الى وجود الارهابى فى مكان
تفجيرها .

وكانت البنوك وشركات الكمبيوتر الأمريكية من الأهداف المفضلة
عند الارهابيين الذين كرسوا أنفسهم لمحاربة ما يعتقدون أنه « امبريالية
اليانكى الاقتصادية » . وفى بلجيكا وألمانيا الغربية ، كانوا يختارون
للهجوم الشركات التى يستعان بها فى ميدان الدفاع ، وبخاصة تلك المعنية
ببرامج شديدة التعرض للمشاكسة مثل صواريخ كروز !

وفىما يتعلق بالمسافرين الى الشرق الأوسط ، فان المخاوف الداهية
الدائمة فى الوقت الحاضر هى اختطاف الطائرات ، وبخاصة عندما يكون
الطيران على احدى الطائرات القومية المحلية ، والرد المباشر فى هذه الحالة
هو اختيار خطوط طيران احدى البلدان التى ليس لها دور سياسى تلعبه
فى صراعات المنطقة ، ولشركات مويس اير و KLM و S.A.S. وبعض
طائرات الركاب التابعة للشرق الأقصى شبكة ممتدة من الخطوط التى
تعمل فوق هذه المناطق .

وفى أمريكا اللاتينية ، التى تلى فى الترتيب أوروبا والشرق الأوسط ،
يرجع التهديد الرئيسى الى اختطاف الأشخاص ، فمنذ بواكير السبعينات ،
وحتى يومنا هذا ، قامت تسع عشرة جماعة مختلفة بعمليات احتجاز
الرهائن . وفى هذه الفترة ، طلبت الفدية من ست وخمسين بلد وست
وأربعين مؤسسة تجارية . ويحى ترتيب ضحايا هذه الأحداث تنازليا
على الوجه الآتى : مواطنو الولايات المتحدة ثم فرنسا وبريطانيا العظمى
وألمانيا الغربية وإيطاليا . ويخص هذه البلدان وحدها ما يقرب من نصف
حالات الرهائن المرفوعة على نطاق واسع .

وتتخذ ردود أفعال المؤسسات صوراً مختلفة • فبعضها يقر دفع مبلغ من المال ، ويجرى احتسابها على الوجه الآتى : اذا تجاوزت الاجراءات التى قد تتخذ ضد الارهابيين بمقدار ١٪ ما سيدفع فى سبيل استرداد هؤلاء الرهائن ، فاننا نكون قد حققنا ما فيه الكفاية ، وعلينا أن نرحل من هذا البلد بالذات ، وحتى لو كان ذلك كذلك ، فان المسئولين يعيشون فى ظل قيود صارمة مجهدة ، كما يبين من حالة أحد رجال الأعمال المقيمين فى بوجوتا (كولمبيا) : « ان الاخوة الذين على أن أصبحهم لحماية وحماية عائلتي » ألفت « من الارهابيين • فأخبر من أرى أنا وزوجتي بالليل هم أولئك المقرفون ، وهم أول من أرى فى الصباح » (٢) •

وليس من المحتمل أن يتحسن الموقف • ونحن نرى أنه سيزداد سوءاً • وليس الارهاب شيئاً مستحدثاً فى التاريخ ، بل ولقد شهد حتى قرننا أكثر من نصيبه العادل فى هذا الشأن • بيد أن ارهاب هذه الأيام يختلف فى مداه ودرجة عنفه • وترمى استراتيجية الارهابيين الى زيادة القدرة على الضرب بقسوة أشد فى المستقبل ، بغض النظر عما قد تتخذه الدولة من احتياطات لحماية شعبيها وممتلكاته ، وتعتمد اعتماداً تاماً المخاوف والروادع التى يلوح بها الارهاب فى وجوده الطفيل على هذا التهديد •

ويحتاج المسافر خارج وطنه لمواجهة مثل هذه المخاوف الى التعرف على تهديدات الارهابى وتفهمها حتى يكون بمقدوره تخفيف وطأة المخاطر التى يتعرض لها هو وعائلته ، ويكون باستطاعته فى حالة تعرضه لآى حادث ، سواء بالمصادفة أو نتيجة لمخطط ، أن يعرف كيف يمكنه أن يحافظ على بقائه حياً يرزق •

ثالثاً: رد الحكومة على الإرهاب.

١٤ - القانون الدولى والارهاب

بمقدور المواطن أن يرتكن الى قانون بلاده لحمايته ، وليست القوانين بقيادة وفق مشيئتها على محو الجريمة ، ولكنها تزود الفرد بالراحة وتعيد اليه حقوقه المقتضية . على أننا اذا تركنا الدولة وانتقلنا الى خارج حدودها سنرى أن رجل الأعمال الدولى والمسافر الدائب لن يتوافر له الا القليل من الراحة وهله البال . ويرجع ذلك الى عدم تماثل القوانين الدولية هي والقوانين التي تسنها الدولة لنفسها .

وتتمتع الدولة بالسيادة ، ولها نظريا - على أقل تقدير - السلطة المطلقة لسن قوانينها ، وفرضها طبقا لنصوص دستورها . وتنظر الحكومة التي تهاجم الى جميع أنواع الارهاب على أنه اجرام ، يعاقب بكل ما يتمتع به القانون من قوة ، أو يسلم الأشرار لبلادهم قبل أن يتسببوا فى أحداث متاعب أخرى ، ولا يلزم أن تتمكن القوانين الأهلية والمدنية ، وبخاصة تلك الموجهة ضد الارهاب ، من منع حدوثه ، ولكن بمقدورها - على أى حال - منح المواطن شيئا من الحماية والحق فى رفع الضيم عنه أو انصافه .

والقانون الدولى مختلف . ويتخذ دوما شكل المصاهدات أو الاتفاقيات التي توقعها الدول ، ولكنه لا يتمتع بالقوة التي يتمتع بها القانون الأهلى ، لأن الدول لا يمكن أن تقبل سلطانا أعظم من سلطانها . وهذا هو ما تعنيه كلمة السيادة ، وهذه ناحية تغار الدول عليها وتمسك بها تمسكا صارما . وليست هناك وسائل يمكن الاعتماد عليها لفرض القانون دوليا ، والاعتراف به من قبل الجميع ، باستثناء العقوبات

الاقتصادية أو الحرب ، فليست هناك قوات شرطة دولية • أما محكمة العدل الدولية بلاهاي ، فانها كثيرا ما تتعرض للاستخفاف والاساءة اليها ، مثلما تحظى أيضا أحيانا بالاحترام والتبجيل •

ويلقى القاتون وضعا مؤسفا عندما يحاول التعامل والارهابيين والارهاب الدولي ، فحتى سجلات الدولة فانها غارقة في مبات عميق ، فالارهابيون يقتلون وبعضهم يؤسرون ، وقلائل من هؤلاء الأسرى يقدمون للمحاكمة ، وبدلا من ذلك ، يسمح لهم بترك البلاد لتأمين حياتهم . ولقد حوكم جورج ابراهيم عبد الله زعيم احدى العصابات اللبنانية الشريرة . واصدورت المحكمة الفرنسية العليا حكما بحبسه أربع سنوات • وفى هذا المثل تصادف نموذجا اوليا لعلم التناسب بين العقوبة والجريمة • كما أننا نرى مثلا لخضوع العدالة للمصالح العامة العليا ، ولقد اتضح أن نية الحكومة الفرنسية كانت متجهة أصلا لتخليص نفسها بأسرع وقت ممكن • ولكن الاجراءات القانونية الصحيحة تدخلت ، وجاءت النتيجة فى صورة حملة فظيعة بالقتال شنها الارهابيون خلال فصل الخريف ، وتركت المدينة تترنح من أثر الصدمة ، ولكنها صمدت فى الوقت نفسه على عدم الخضوع لمثل هذه الضغوط ، ثم حوكم عبد الله بعد ذلك ، وصدر الحكم بحبسه مدى الحياة على جرائمه • وهناك حالات أخرى تم فيها استبدال الارهابيين الذين يعضون احكام السجن برهائن فى أحداث ارهابية لاحقة • وقلائل من الارهابيين - باستثناء الموجودين فى بلدان شديدة المراس كبريطانيا واسرائيل والولايات المتحدة - يحتمل تنفيذهم فترات العقوبة كاملة •

ان هذا لا يعنى أن المجتمع الدولي لم يبذل أية محاولة للتنسيق بين أفعاله ، فلقد عرف الارهاب منذ أمد بعيد للفاية ، وتعالى الصيحات من حين لآخر فى أوساط الدبلوماسيين مطالبة بالسيطرة على العنف والتحكم فيه • وعقد عدد من الاتفاقيات دارت مشاحنات حولها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بل ووقع الأعضاء على هذه الاتفاقيات ، ولكن لم يصدق على أية اتفاقية منها ، ومن ثم فلم يحث التزام بتنفيذها ، ولا حتى الالتزام الأدبى من قبل من قاموا بتوقيعها ، ويبين من جميع هذه الأشياء مدى تأثير المنظمات الارهابية ، والبول المناصرة لها ، على المحافل الدولية كالأمر المتحدة التى يتوجب عدم المغالاة فى انتظار الكثير منها •

وسلقت للذابح التى حدثت فى ميونخ ومطار اللد عام ١٩٧٢ الأمم المتحدة الى التحرك • وفى ذلك الخريف ، استغل كورت فالدهايم سكرتير الأمم المتحدة آنئذ نفوذه لبدء حوار فى الجمعية العامة عن الاجراءات الخاصة

بمنع الارهاب وأشكال العنف الأخرى ، التى تهدد أرواحا بريئة أو تهدد الحريات الأساسية . ولا بد من الاعتراف بأن ما أحرز من تقدم منذ ذلك الحين كان هينا ، ولم يساعد على تحريك الأمور أن تكون إسرائيل هى هدف حادثي الارهاب اللذين آثارا اهتماما عالميا ، واحتتم حولهما النزاع . غير أن الانهيار كان أعمق ، ففي نظرة الأمم المتحدة الى الارهاب ، انقسمت الآراء الى قسمين أساسيين ، تمشيا مع قسمة العالم التقليدية الى شمال وجنوب ، فأيدت معظم الدول النامية شرعية الكفاح المسلح « ضد الأنظمة الاستعمارية ، وغير ذلك من أشكال السيطرة الأجنبية » .

وأيد الاتحاد السوفيتى والدول التى تسبح فى فلكه هذا الرأى أيضا . وانما لأسباب مغايرة . . . وتطلعت الدول النامية الى ايمانها بحق تقرير المصير بلا منازع ، ولكن هكذا فعل أيضا أغلب مفكرى اليمين فى الدول الغربية ، وإن كنا نميل الى اقامة حد فاصل عندما يتعلق الأمر بالارهاب . ولم يكتف آخرون بقبول الارهاب ، ولكنهم نظروا اليه كعمل مشروع فى السعى نحو التحرر ، وكان هذا الصوت الأجدس الذى صدر عن جماعات الضغط فى الأمم المتحدة هو الذى هدف الى اعفاء أعمال العنف التى ترتكب فى سبيل التحرر الوطنى ، وهو ما يعنى مقدرة أية جماعة لاهائية على املاء كلمتها عند تحديد أى معايير فى الجمعية العامة ، وإن يعقدورها أن تحصل على الحصانة ضد أى تشريع .

ومن ناحية من اعتاد السفر ، فليس أى اتجاه من الاتجاهين محدود العاقبة ، فالاتجاه الأول له تأثير سلبي نظرا لما تلقاه الإجراءات المضادة للارهابيين من عدم ترحيب ، وربما كان الاتجاه الآخر أشد اهلاكا ، لأن القانون الدولى بمقدوره فى بعض الأحيان أن يفرق تفرقة موجبة ، لصالح الارهابى ! ويتركز جانب كبير من المشكلة والصعوبات حول السؤال الشائك الخاص بتسليم المتهم الفار ، وهى قضية قد رأينا - بالفعل - كيف أحدثت شقاقا بين الدول التى لولا ذلك لاحتفظت بصدقتها .

وتحتوى معاهدات تسليم المتهمين التابعين لدول أخرى ، لأسباب تقليدية ، على فقرات يستبعد منها الاعتداءات التى توصف بأنها تتبع « مسلحا سياسيا » . وإيرلاندة الشمالية من البقاع التى شهدت اضطرابات زهاء عشرين سنة فى الأزمة الجارية . وخلال هذه الحقبة ، حظى المشاعبون بالاطمئنان والتأييد ، ونال رجالها من الفارين ملانا فى الولايات المتحدة ، وعندما طالبت المملكة المتحدة بتسليم الفارين ، استطاع المجرمون الأمريكان المحاجة بأن حالة الانتفاضة فى إيرلاندة الشمالية تبخ وصف جميع الجرائم التى اقترفت باسم التمرد والبعثيين والجرائم السياسية .

وهكذا يكون الهاربون معافين من التسليم . ولا أحد يتشكك في الحاجة الى نظام ديموقراطي يوفر ملاذا لضحايا الاضطهاد ، وينظر كثيرون الى ما قامت به نقابة المحامين في أمريكا على أنه قد خلم الاتجاهات السامية لمهنتهم .

وبالنسبة لنا نحن المقيمين على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي ، يتراءى لنا أن حلفاءنا قد تناسوا ان ايرلاندة الشمالية - تقليديا - جزء من نظام ديموقراطي لن يتعذر فيه اجراء التغييرات باتباع الوسائل السلمية ، وربما لاحظ أصحاب الألسنة الأطول ان القضاة الأمريكيان وجيمهم من المعينين بصفة سياسية في حاجة الى تذكر ما يكتسب أو يفقد من أصوات الجماعات الكلتية(*) الهامشية الصاخبة ، وفي سنة ١٩٨٦، انزلت قلم الرئيس ريجان ، واشترك في المعمة ، ووقع على معاهدة تكميلية لتسليم المجرمين ، سمحت للولايات المتحدة بتضييق نطاق الفقرات الخاصة بالاعفاء السياسي ، مما أدى الى استبعاد أغلب أفعال جرائم العنف ، ثم استغل ريجان جاذبيته وبراعته في الاقناع للتأكيد بأن مجلس الشيوخ لن يقوض مبادرته .

في بعض أحيان ، يكون تسليم المتهمين الفارين من بين الارهابيين المشهورين من بين المسائل الشائكة التي يصعب على بعض الدول المساس بها . فلقد سمح الايطاليون لأبو عباس - الذي يحتل مكانة مرموقة بين الارهابيين الدوليين ، الذين تطالب واشنطن بتسليمهم - بالمفادرة في أيام « الهوجة » ، التي أعقبت اعتراض الطائرة المصرية بالرغم من محاولة الأمريكيان تسليمه اليها .

وأثار حادث الباخرة أكيلي لاورو تساؤلات هامة حول هل يعد الارهابيون قراصنة ؟ وللقوانين المناهضة للقرصنة تقليد طويل ومحترم يبين مدى التعاون بين الدول عبر القرون . ولا يميل كثير من القانونيين الدوليين البازدين الى اعتبار الاستيلاء على أكيلي لاورو جريمة قرصنة تقع تحت طائلة القوانين الأهلية ، والباخرة أكيلي لاورو مسجلة في إيطاليا ، وطاقتها من الايطاليين ، ومعنى ذلك أن الارهابيين مجرمون بموجب القانون الايطالي ، ولقد قتل المواطن الأمريكي . مستر كلينجهورف بوحشية ، وتعرض ركاب أمريكيون للسرقة ، مما يضع المجرمين الأشرار تحت طائلة قوانين الولايات المتحدة ، وعقدت محاكمة الارهابيين المقبوض

(*) يقصد الكاتب أن هناك أقلية تمشي على هامش الحياة ، الانجليزية والأمريكية وتعتقد أن لها حقوقا سياسية خاصة باعتبارها من أصل كلتي (من الشاثر الستيلة التي كانت تحيا في إنجلترا في زمان غابر) .

عليهم في جنوا ، وفي يوليو ١٩٨٦ ، أصدرت المحكمة قرارها ، وثبتت أن الجميع مذنبون . غير أن أحد عشر منهم قد حكم عليهم بأقل من الحد الأقصى للحكم المسموح به ، وعومل هؤلاء الإرهابيون برفق نظرا « لصغر سنهم » ولأنهم شبوا وترعرعوا في ظل الأحوال المأسوية التي يعاني منها الشعب الفلسطيني . وطبقا لمصطلحات القانون الإيطالي الدقيقة ، فإن القاضيين والمحلفين الستة قد اعتقدوا أن الاستيلاء على أكيلي لاورو كان حقا فعلا إرهابيا . غير أن مقتضى الباخرة لم يصنفوا على أنهم « جماعة مسلحة » . وهذا يعني أن المختطفين قد حوكموا ، وصدر الحكم عليهم باعتبارهم من محاربي حرب العصابات ، أو من المحاربين في سبيل الحرية بدلا من محاكمتهم على أنهم مجرمون .

وفيما يتعلق بالأمم المتحدة ، فليست القضية موضع ارتياب . فلقد عرفت القرصنة في اتفاقية جنيف ١٩٦٨ الخاصة بمرض البحار وفي اتفاقية الأمم المتحدة ١٩٨٢ الخاصة بقوانين البحار . وفي الاتفاقيتين ، عرفت القرصنة بأنها « الأفعال غير المشروعة من العنف ، وعمليات الاستيلاء على إحدى السفن ، من أجل غايات خاصة » وتتضمن عملية اختطاف السفينة أو الطائرة احتجاز رهائن . وهذا عمل من أعمال العنف ، دار حوله نقاش طويل طنان في الجمعية العامة للأمم المتحدة . وفي الاتفاقية المناهضة لاحتجاز الرهائن ، والتي أعيد توكيدها من قبل أغلبية وفيرة العدد في وقت قريب يرجع إلى ١٩٨٥ ، جاءت صياغة الاتفاقية بعيدة عن التعقيد ، وخالية من الفوضى ، من حسن الحظ ، فلقد وصفت احتجاز الرهائن بالفعل الإجرامي الذي يتطلب من الدول تسليم المشبوهين ، أما إذا شعرت هذه الدول بأنهم قد لا يعاملون معاملة عادلة ، فإن عليها أن تقيم الدعوى ضدهم ، ولم تعرض الا حالات عدد قليل من المشبوهين تنفيذا للاتفاقية ، بالرغم من ازدياد عدد أحداث احتجاز الرهائن . والسري في ذلك هو أن قليلا من الدول قد صدق على الاتفاقية ، ولا تعد هذه الدول مسئولة عن اتباع ما نصت عليه الاتفاقية مادامت لم تصدق عليها .

وفي المناقشات التي ثارت حول الاتفاقية ، حاول المتشددون من الرافضين عيثا الإفراج عن الرهائن المحتجزين بمعرفة « الحركات الوطنية التحررية » ، واقتنعوا بأنقاط مطالبتهم مقابل حل وسط يبدو حتى وفقا لمعايير الجمعية العامة مشوبا بجميع أمارات التملّص والتشوش . وصادق على الاتفاقية في مقابل اعتراف الأمم المتحدة بمقاتلي الحركات التحررية الوطنية كجنود يخضع سلوكهم لاتفاقيات جنيف .

ومن النتائج المترتبة على ذلك ، أن يصبح بالمقدور تقديم محتجزى الرهائن للتحاكم الآن ، وإذا كانوا من مقاتلى الجمعيات التحررية الوطنية فانهم لن يحاكموا كمجرمين ، وانما كجنود مشاكسين مناوئين ، بل لقد حاول الماروغون من أنصار الارهابيين قلب أوضاع جمعية الصليب الأحمر الدولى ، وتسخيرها لغاياتهم ، اذ أصبحت قوانين الحرب لا تطبق على الصراعات الدولية فحسب ، وانما أيضا على « الصراعات المسلحة التى تحارب فيها الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية والاحتلال الأجنبى ، وضد الأنظمة العنصرية ، عملا بمبدأ حق تقرير المصير ، ويرجع تاريخ هذه الاتفاقية الى ١٩٤٩ ، عندما كان الصليب الأحمر الدولى مخلصا لدوافع انسانية يعمل على حماية المدنيين من اللمار والسلب والنهب فى جميع أنواع الصراع ، وأقرت هذه الاتفاقية معظم الدول التسع والتسعين . غير ان الاتفاقية قد نصت أيضا على امكان مطالبة الارهابيين المقبوض عليهم بنفس المعاملة التى يعامل بها أسرى الحرب على أفعال إجرامية مختلفة . وكان هذا هو الثمن الذى أكره البعض على قبوله لضمان تأييد الأغلبية » .

ويتخذ أن يشعر هؤلاء الماروغون بالدهشة اذا عرفوا أن هناك معاهدة واحدة عرضت على الجمعية العامة ، وصلق عليها أكثر من نصف أعضائها ، وأثبتت نجاحها النسبى . ففي عام ١٩٧٧ ، تبنت الأمم المتحدة اتفاقية لمنع الجرائم التى ترتكب ضد الشخصيات التى تتمتع بالحماية الدولية ، ومن بينهم الدبلوماسيون ، ومعاقبة مرتكبى هذه الجرائم . وكان من اقترح هذه المعاهدة ، وتولى أمرها ووضع مسودتها وتفاوض من أجلها ورعاها هم الدبلوماسيون ، الذين سينتفون بها بطبيعة الحال ، وتعد هذه الاتفاقية من آيات البلاغة فى صياغتها اللغوية . فلقد عرف من يتعين النظر اليهم « كشخصيات تتمتع بالحماية الدولية » ، ولم يعترف بأى مساس بهذا الحق باسم « الدوافع السياسية » . وطالبت الاتفاقية الأعضاء الموقعين باعتبار أفعال العنف ضد الدبلوماسيين ، ومن يعتمدون عليهم وملكياتهم فعلا إجراميا ، أما من يقبض عليهم فاما أن يتم تسليمهم للدولة الدبلوماسية أو ترفع عليهم الدعوى فى المحاكم المحلية حيث وقعت الحادثة . وتعد هذه الاتفاقية باعتبارها من صياغة الدبلوماسيين نموذجاً جديراً بالاعتناء من الجميع . وباعتبارها رادعا للارهابيين ، فانها تجتنب نجاحا باهرا ، كما يشهد بذلك انحصار موجة الاعتداء الصاعسة ضد الدبلوماسيين ، الذين يمثلون الآن أعظم الجماعات المتفردة التى يتخذها الارهاب هدفا له .

وليس من الصعب توجيه أكبر نقد للجمعية العامة للأمم المتحدة لأن اخفاقتها ملء الأسماع والأبصار ، وبخاصة لأننا نميل الى تجاهل النجاحات التي تحرزها دبلوماسيتها الصبورة يوما بعد آخر ، والتي تسمى - على نحو ما - لجعل الطابق مستورا على عشرات المواضع الملتهبة والمتوهجة في شتى أنحاء العالم . ان هذه الجمعية - بلا شك - هي مركز الدبلوماسية الدولية في انعام . ولها تأثير يتناسب مع ما يتاح لأعضائها تحقيقه ، ومن ثم فعند الحكم عليها علينا أن نذكر القول الآتي : « لا تطلق النار على عازف البيانو . فهو ليس مؤلف ما يعرف » .

لقد منعت الدول الأعضاء في هيئة الأمم المنظمة من سن قوانين دولية غرضها ضد الإرهاب . غير أنه ليس هناك مبرر للاعتقاد بأن الحركة لا يمكن أن تشن بطريقة فعالة على المستوى الاقليمي . فلقد نشط الأوروبيون المررد على ما حدث لمسلقتهم التي أصبحت الميدان المفضل لاحتضان الارهاب دون رغبتهم . ففي السنوات العشر الأخيرة ، قتل الارهابيون الوطنيون في أوروبا الغربية نحو خمسمائة ، بينما من بين مائتي جماعة إرهابية يعرف أنها موجودة الآن ، هناك على أقل تقدير أربعون جماعة لها قواعد لملياتها في عواصم الجامعة الأوروبية .

وفي ١٩٧٧ وردا على اعتداء إرهابي قام به جيسل أبكر ، ناقش الأعضاء التسعة عشر للمجلس الأوروبي اتفاقا يرمي الى قمع الإرهاب . وكانت الغاية والمبادرة التي تولاهها الأعضاء المتزعمون ، ومن بينهم بريطانيا وألمانيا هي اعتبار جميع الأفعال الإرهابية جرائم مدنية ، وتعامل وفقا لذلك ، ورئي عدم وجود حاجة للاتفاق على تسليم المتهمين . وبدلا من ذلك ، يقدم كل عضو في الجماعة الأوروبية المتهم للمحاكمة أمام محكمة ، ولم توقع دولتان من الأعضاء على الاتفاق ، وكان من المستطاع التكهّن باعتراض جمهورية أيرلاند عليه ، اذا سلمنا بما حدث في تاريخها من اضطراب وعنف ، والحوادث الخاصة بانشاء دولة أيرلاندية جامعة . والدولة الثانية هي مالطة ، التي اعتبرت لسبب غامض من الدول الأوروبية ، وليست دولة شرق أوسطية . وفي هذه المناسبة كشفت مالطة عن لونها الحقيقي كدليل ليبيا ، ان لم تكن أسيرة لها ، وللتاريخ نذكر ان أقل من نصف الأعضاء التسعة عشر قد اتجهوا الى التصديق على الاتفاق . وكان من بين الفائتين فرنسا التي كانت عاصمتها محاصرة .

وفي اوقت نفسه تقريبا ، شكلت الجامعة الأوروبية جماعة ترفي Trevi ، والتي سميت بهذا الاسم تيمنا باسم نافورة روما الشهيرة ، ويؤتمن وزراء داخلية الدول الأعضاء ، وتعد هذه الجماعة تجمعا غير رسمي

تبعاً لمعايير الجامعة الأوروبية ، على أقل تقدير ، ونشجع على زيادة التعاون والتنسيق في أعمال الاستخبارات الخاصة بالإرهابيين ومنظماتهم . وكشفت جماعة تريفي عن وجود نقاط ضعف كبيرة في المعركة المضادة للجنف السياسي . فقلد أصبح الإرهابيون دوليين حقا ، ولم يعد أحد منهم يبالى بالحدود بين الدول ، غير أن الحكومات تهتم بهذه الحدود . ومازال أمام التعاون الدولي الكثير من العقبات التي يجب أن تذلل . ويشكل الإرهابيون تحالفات متنامية وعظيمة الفاعلية تفوق في تنظيمها المواجهة التي تقوم بها الحكومة .

وبطبيعة الحال ، ولدرجة ملحوظة ، فإن التصديق على الاتفاقيات ليس مسألة ذات بال . وترجع أهميته الحقة الى أنه ترمومتر للمناخ السياسي للتعاون وحسن الإدارة ، الذي تخلقه بين الدول أصحاب التوقيع . ان هذا بدوره يهدد الطريق أمام حدوث تعاون وتسيق للأنشطة بين قوات الشرطة والأجهزة المضادة للإرهاب في الحرب ضد إرهاب .

وفي المحصلة الأخيرة للتحليل ، نرى أن الدول قادرة على رد العدوان . أيضا . فمن بين البنود التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة ، البند الخاص بحق الدفاع عن الذات ، وفي إبريل ١٩٨٦ ، شنت الولايات المتحدة غارات تاديبية ضد أهداف محددة عبارة عن قواعد عسكرية ومنشآت مختلفة في ليبيا . وينص القانون الدولي طريقة استعمال الدول لقوتها العسكرية في أرض الدول الأخرى ، فليس من حق أية دولة أن تدخل أرض دولة أخرى بغير موافقتها ، إلا إذا قامت بذلك من باب الدفاع عن النفس . وحتى حينئذ ، يتعين أن يكون مقدار القوة المستخدمة متناسبا هو والتهديد الذي تواجهه .

عندما زودت ليبيا الجماعات الإرهابية التي هاجمت مواطني الولايات المتحدة بالموءن ، فإنها بذلك تكون قد اشتركت في عدوان مسلح ضد الولايات المتحدة تحت المبادئ الوطنية للقانون الدولي ، وكأنه (أي معمر القذافي) قد استخدم قواته المسلحة الخاصة ، وكان هذا البيان تحذيرا واضحا أعلنه الرئيس ريجان في ديسمبر ١٩٨٥ ، في أعقاب الاعتداء الإرهابي ضد مطار روما ومطار فينا ، وكانت جماعة أبو نضال هي المسؤولة ، وتأكد تورط ليبيا في هذه الاعتداءات عندما ظهر أن المواطنين الأمريكان كانوا بين الضحايا ، ومهما كان نصيب الهجمات الجوية اللاحقة من الحكمة ، سياسيا وعسكريا ، إلا أنه ما من شك في سلامة الاطسار القارئ وراء سبيل الولايات المتحدة لرد على الإرهاب .

١٥ - مناهضة الارهاب

« لو اعتقدنا في سوء شيء ما ، وكان لنا حق الحيولة
دون وقوعه ، فلان واجبتا يدعونا الى محاولة منعه ، واللجنة
للحوالب » ..

نورد الفرد ملتر (٢٦ نوفمبر ١٩٠٩)

ومناهضة الارهاب هي الرد الايجابي على تهديد الارهابيين . ورسالتها
الاساسية هي التعرف عليه ، ومنعه ، والحماية ضده ، وازالة الاساءات.
المثيرة للارهابيين . ولكن قبل كل شيء ان مناهضة الارهاب معنية اساسا
بحماية القانون والنظام ، وتعتمد مناهضة الارهاب على الحصول - بمهارة -
على المعلومات ، واتخاذ وسائل احتياط معقولة ، والتخطيط المنطقي للطوارئ
والمحاجة بالعقل . وتساند جميع هذه الاشياء سلطات مناهضة للارهاب.
تتمتع بكفاية عالية . ولا تقتصر مناهضة الارهاب على الدور الذي تضطلع
به الحكومة . انه ميدان تشترك فيه المؤسسات وقطاعات الأعمال ، وأيضاً
الأفراد . وقيل القيام بأى رد ، وقيل تحريك الجهاز المناهض للارهاب ،
يجب أن يحدث اتفاق حول مبادئ معينة ، ويتعين الجرس على التمسك
بها ، فأولا يجوز ، أن يكون هناك تصميم ، ويجب أن يتوافر الايمان الكامل
بما سيجرى . ولقد قلنا أنه في نطاق الديمقراطية ، من الموضوع تماماً
بل ومن الخطأ ، فرض فدية في مسائل تتبع حقوق الانسان ومبادئ الحرية.

من قبل جماعة متعصبة تحاول فرض اركانها التي لا تخص أكثر من أفراد
قلائل ، عن طريق عملية ارهابية .

ويتعين التمسك بقوانين البلاد لتجنب الوقوع في القوضى . ويجب
عدم الخضوع لضغوط بغض النظر عن الثمن الذي يدفع ، ولبنان مثل
بارز لانهايار الدولة الذي جاء نتيجة لتنافس النحل أو الطوائف المتنافسة .
التي أوقعت البلاد في حالة حرب أهلية ، ويترتب على مناصرة قوانين البلاد
بالطبع خضوع الرد على الارهاب لنفس هذه القوانين . ولا بد أن يدرك
الكافة - بوضوح - أن الأهداف المضادة للأفعال الارهابية وتكتيكاتها موجهة
للمنظمات الارهابية وحدها ، ولا داعي للتنبيه الى أن الحكومات تستخدم
مثل هذه الاجراءات بحكم سلطتها في حالة الطوارئ فحسب ، فيجب
أن لا توجه القوانين لأي أغراض أخرى غير الأغراض التي أعدت لأجلها .

وهكذا فيجب أن تخضع جميع المهام للمبادئ المشار إليها . ومن
الحقائق المسلم بها وجوب تثبيت أية أعداد صغيرة من الارهابيين ، اذا أرادت
الاثبات كفاءتها في العمليات ببعض مبادئ عسكرية مفيدة ، تنحدر من
أصول غابرة لها نفس عراقه وجود القوات السرية . فالسرية لها القدر
المعل في تحقيق نجاحها . انها السرية في التعرف على الأشياء ، والسرية
في التخطيط . والمبدأ التوهم لمبدأ السرية هو مبدأ المفاجأة . واذا قبل
تعريف العسكريين « المفاجأة » بأنها مباغتة للعدو فهو في حالة عدم
الاستعداد وليس أحداث مهمة له ، مبين أن الارهابي يتمتع بميزة لا شك
فيها ، لان الكثير من الاجراءات المضادة لأفعاله مكشوفة ولا تجري في طي
الكتمان ، مما جعل المبادرة في التخطيط من نصيبه . ولا تتكشف
الاجراءات المضادة على الفور ، ولا يلزم أن تحدث تأثيرها الرادع بطريقة
مباشرة . وهناك عوامل أخرى بمقدورنا أن نعتبرها ميزات للارهابي .
فدرجة الدعاية واليقظة لدى المشتغلين بالأمن تصاب بالوهن بمرور السنين
وتزداد املالا عندما تتحول الى روتين ، ويزداد الشعور بالإطمئنان تغلغلا ،
وبخاصة عندما تطول فترات الاسترخاء التي تتخلل الأحداث والعمليات .
أن الأزمات العسكرية الأنيفة ليست كل شيء . وما أسهل تراخي أجهزة
الأمن ، وابتعادها عن الكفاية ، وبخاصة عندما يتقاعس رؤساء هذه الأجهزة
عن اجراء برامج تدريبية .

وعادة تميل الحكومات الى الردود السريعة ، لانه بمجرد نجاح أي
تكتيك يتبعه الارهابيون فانه ينفذ مستحبا لهم ، فمثلا لقد اتخذت اجراءات
لاحكام الأمن بالطائرات . وقد دربت القوات المتخصصة للقيام برد فعل
إيجابي ضد أحداث اختطاف الطائرات القابعة على الأرض ، ولقد أجريت

حسابات دقيقة للغاية لمواجهة جميع الاحتمالات التي يتوقع فيها احتجاز رهائن في أماكن حسنة كالسفارات . وفي بلدان قليلة للغاية ، تنتبه الحكومات للتفكير في اعداد المدة لكيفية مواجهة العمليات الارهابية التي في طريقها للانجاز ، وهذه نقطة ضعف سرعان ما يستغلها الارهابيون بالناية بانتقاء أهدافهم ، لمعرفة أن الدول تكفي بمسيرة الخطوات التي يقوم بها الارهابيون خطوة خطوة ، بدلا من تحقيق السبق عليهم . وتجميع المعلومات له أهمية كبرى للأجراءات الحكومية المضادة . ، وحاليا هناك تعاون دولي كبير لم يسبق له مثيل ، فهناك منظمات كالانتربول ومركز المعلومات الدولي للقنابل ، وغير ذلك من الهيئات الرسمية السرية . وتشترك معها الآن هيئات غير رسمية كالجمعية الدولية لتكنولوجيا القنابل ومراكز الأبحاث ، وغير ذلك من التنظيمات المحترفة ، التي تنقل معلومات تقنية لكل من يطلبها من الأعضاء المتحالفين المشتركين .

وينصب جهد وكالات المعلومات وتجميعها على التعرف على الموجد الذي تنوي التنظيمات الارهابية اختياره للمعركة ، وتساعد هذه المعرفة بدورها على التعرف على الشخصيات المشتركة ووظائفهم المختلفة ومامية مخططات المستقبل والبيانات الخاصة بالأحداث السابقة التي اشتركوا فيها في الماضي .

وباختصار ، أية معلومات تصلح للاسترشاد بها في ال *Modus operandum* . وبذلك يتيسر الربط بين وضوح رؤية الموقف وما سيتخذ من اجراءات مضادة . وكما يحدث في جميع عمليات الاستخبارات ، فإن الجهود المضادة للارهاب تسير وفقا لخطوط سبقت تجربتها بنجاح ، وتتضمن تحديد الاحتياجات بكل دقة ، وتخطيط العملية بحيث تتوافر لها أهداف وغايات محددة تحديدا واضحا ، وتعرض عملية تجميع المعلومات على التأكد من أن المعلومات الوثيقة الصلة بالمهمة قد انتقلت الى المرحلة التالية ، يعني مرحلة « المضاهاة » . وفي هذه العملية تقصر جميع المعلومات بمضاهاتها بما هو متوافر من معلومات محددة ، وتحلل ، وتضاف اليها للحصول على صورة كاملة لهدف الارهاب . ولعل المرحلة الأخيرة هي المرحلة التي يستفاد بها أكبر استفادة من التعاون الدولي . انها مرحلة « النشر » . ففيها يحدد من هم أكثر المشتركين انتفاعا من المعلومات . وما يحددها عادة هو الحاجة الى أساس للمعرفة . وكان الانتشار الدولي للارهاب هو الذي ساعد على تجميع المعلومات من مختلف الدول ، وبذلك أصبحت المعلومات تتصف بدوليتها مثلما تتصف الجماعات الارهابية بدوليتها .

وليس هذا النهج في تجميع المعلومات سهلا يسيرا على الإطلاق ،
فسرعان ما أدرك الإرهابيون قيمة احتفاظهم بقلة العدد ومزايا التكوينات
في شكل خلايا حسنة الانضباط للحفاظ على السرية وعدم نشر المعلومات
إلا في أضيق نطاق مستطاع . ولقد تلرب كثيرون في مدارس السوفييت ،
وتعلموا على خير وجه دوس الوسائل العملية :نظرية وقيمة عدم الوثوق
في المقربين . وإلى جانب الجهود الحكومية ، فما يدعو إلى الدهشة أن
يكون هناك تعاون وثيق بين الخطوط الجوية الرئيسية بجميع مراتبها .
إنها رابطة قد استطاعت أن تشق طريقها وسط جو التكتم التقليدي بين
المشتغلين في نواح تجارية ، والذي أصبح من الملامح المتميزة لهذه الهيئات
المنافسة . وتتساقش في هذه الرابطة مسائل تخص المستحدثات
التكنولوجية ووسائل تطبيقها في مسائل الأمن بتحرر مماثل للنقاش في
التكتيكات الأخرى المرتبطة بأمن الأشخاص ، على أنه ما زالت هناك ثغرات
في العلاقة الحكومية بالشركات التجارية بالمقدور سدها باتباع إجراءات
أكثر إيجابية ، دون تعريض الهيئات الحكومية لأي نوع من الخطر .
ولا ريب أن اليوم سيجيء الذي ستثبت فيه المبادئ العامة لمناهضة الإرهاب
السالف الذكر قدرتها على الالتئام والصمود .

ولا تغلو المشاركة الدولية في « المعلومات » و « الاستخبارات » من
المشكلات . ولو قبل الرأي القائل بأن الهدف الأول لمثل هذا النظام هو
تزويد الدول والأشخاص والمؤسسات بإنذار مبكر بما يحتمل حدوثه من
أعمال إرهابية ، والشكل الذي ستتخذه ، في هذه الحالة ، سيكون التحديد
الدقيق للاختلاف بين « المعلومات » *information* و « الاستخبارات »
intelligence أمرا حاما . ففي حالة « الاستخبارات » التي مرت بمرحلة
المضاهاة والتقييم ، فالأمر قد تكشف عن أسلوب في التفكير السياسي
والافتراض السياسي ربما بدا مسيئا أو ضارا للمتلقي . وفي بعض حالات،
فإنه قد يوحي بالمصدر الذي خرجت منه . فقد يثير الإرهابي المحتمل
والذي يراقب الكترونيا ويتصنت على أحاديثه في بعض البلدان تساؤلات
حول حقوق الإنسان ، وقد يوصف ذلك في بلد آخر بأنه اعتداء على
خصوصياته . وقد يتسبب في خلق مواقف دولية حرجة على نحو لا مبرر
له على الإطلاق .

وبالاستطاعة لصالح الأمن القومي ، أن يقتصر أمر مثل هذا التعاون
الدولي على تبادل المعلومات في الموضوعات التي تساعد على التعرف على
هوية الأشخاص وعلى الاستفسار عن تفاصيل ربما أفادت في النواحي
القانونية ، في حالة إقامة دعوى ، وما ذكر هنا عن القانون يثير أحدي

النقاط التي كثيرا ما دار الخلاف حولها في أجهزة الاعلام الحديثة ، عند وقوع حادث ما ، انها مشكلة تسليم المجرمين الفارين .

وإذا حكمنا من المظاهر ، ربما بدا من المنطقي عقد اتفاق يبيع التسليم الفوري لجميع الارهابيين للبلد التي اقترفت فيه الجريمة . على أنه لو نظر لهذه الناحية بعناية سيبين أن قوانين تسليم المجرمين في ذاتها بمقدورها أن تستغل كأداة مساومة فعالة لتعطيل التكتيكات أثناء عملية المفاوضات الخاصة بالارهابيين والرهائن . والأفضل هو عقد اتفاقات خاصة بالمعلومات، دون اذاعة أى شيء على الإطلاق . والاتجاه الى التكتّم على هذه النواحي قد أثبت قيمته في البلدان الغربية ، ولعل أقرب شبيه لها هو الشيكات التي كان يحررها الأصدقاء الحميون بعضهم لبعض بدافع الصداقات التي توطئت أثناء الحرب العالمية الثانية . وما زالت هذه الوسيلة مثمرة . وبالرغم مما تحدثه عند صفاة الرسميين والبيروقراطيين من الكثير من الشعور بالاحباط ، فانها ستستمر - فيما يحتمل - فعالة ، ولن توقفها عند حدها اعتراضات الدوائر الاستخبارية والعسكرية والسياسية والبوليسية .

وستتحدث عن الاجراءات الوقائية في الفصول العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين ، باستثناء مسألة « بوليس الفضاء » التي سنناقشها الآن ، والمبدأ الكامن وراء استخدام أمثال هؤلاء الأفراد بسيط . فلقد رثى أنه في ظروف معينة ، بمقدور أى شخص مدرب على خير وجه أن يوفق توفيقا كاملا في القبض على مختطفى الطائرة ، وهي محلبة في الجو . وهذه فكرة معقولة ، وقد أثبتت فاعليتها في بعض مناسبات مثل حالات تحليل طائرات الخطوط الجوية الأمريكية فوق الولايات المتحدة وتحليل دأثرات « الايروفلوت » فوق روسيا . والحالات التي باستطاعة « بوليس الفضاء » مواجهتها محدودة حقا . فقد يؤدي استخدام الأسلحة النارية في ارتفاع شاهق ضد طائرة تحمل موادا قابلة للاشتعال ، بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى ، قد يؤدي الى إحتمال حدوث مواقف مهيبة . وشعرت المعامل التكنولوجية بفرحة لم تستمر - من أصف - طويلا ، فلقد ظهر في السوق الكثير من الأسلحة غير الفتاكة ، والنخائر المخففة العنيفة والغازات غير الفتاكة ، وغير ذلك من المنتجات التي ابتكرتها افريقية الانسانية . واتضح أن مستقبل « بوليس الفضاء » محدود . وإذا تركنا جانبا القيمة المشكوك فيها لقدرته على العمل بكفاية أثناء الطيران ، فانه لن يضى وقت طويل حتى يكون بوسع المنظمات الارهابية أن تستخلص عدم وجود مواقف كثيرة يستطيع أن يستثمرها هذا « البوليس الفضائي » لكي يعمل بطريقة فعالة داخل الطائرة ، وغدا من الاجراءات المقتننة والمتصلة

بالعمليات أن يخضع من يشغلون مقاعد خاصة في الطائرة للتفتيش والتحرير من مكان آخر . على أننا لا ننكر أن « بوليس القضاء » قد ساعد لفترة قصيرة من الزمان على الاقلال من عدد حالات اختطاف الطائرات ، في السنوات التي كانت قد بلغت ذروتها (١٩٦٧ - ١٩٧٠) . ولم تظهر آثار ذلك بجلاء في أى مكان آخر مثلما ظهرت في الولايات المتحدة .

والتخطيط لمواجهة الطوارئ وثيق الارتباط بالجهود الاستخبارية . وفى هذا المقام فإن هذه الجهود تتركز حول البحث عما يتوقع أن تقوم به التنظيمات الارهابية في خطواتها التالية ، أكثر من تركزه على ما فعلته في الماضي . ويجب أن ينظر الى أى تكتيك أو إجراء مضاد أستخدم فى أية عملية سابقة على أنه قد « حرق » أو « استنفد أغراضه » ، وبخاصة إذا كانت الصحافة قد تنبعت اليه أو كان هناك ارهابى هارب . والمبدأ الذى يجب أن يسترشد به ويوضع نصب أعيننا هو أن هذا التكتيك أو الإجراء المضاد لن يثبت فاعليته مرة أخرى ، ولما كن لا يوجد أكثر من عدد محدود من التباديل الرياضية لأى مشكلة تكتيكية ، لذا يجب أن تكون هذه المسألة أيضا موضع نظر ، ويجب أن لا تتعرض التكتيكات الجديدة « للحرق » اللهم الا إذا كان هذا الإجراء ضروريا ضرورة مطلقة ، للنجاح فى اللحظة الراهنة .

وهناك نطاق واحد تتزايد سرعة تحوله الى ما يشبه « الفن » . انه ميدان التفاوض على الرهائن . ويجب عدم الخلط بينه وبين مهمة التفاوض فى حالة اختطاف الأفراد فى غير الطائرات . فالقواعد الأساسية مختلفة فى حالتى : اختطاف الأفراد على الأرض واختطافهم وهم فى الطائرات . ان هذا النطاق هو بالتأكيد أكثر النطاقات استفادة من مقدار التعاون الدولى المتزايد تزايداً نه أهميته . وجدير بالذكر أن هذه الأهمية قد جاءت من كون هذا النطاق أكثر النطاقات إفادة من الأبحاث التكنولوجية ومن استخدام المعدات الالكترونية فى الاتصال بالمواقع التى يتحصن فيها الارهابى . ان هذا الموضوع يقع فى مجال عملية مناعضة الارهاب ، ولا أدنى شك فى ذلك ، وإذا تحقق الإفراج عن الرهائن بواسطة جماعة مسلحة دون أحداث أى خسائر بين الأبرياء ، فإن العمل سيكون قد تم على خير وجه . ولكن إذا تم الإفراج بفضل التفاوض فإنه سيعد انتصارا ، لأن القانون سيكون قد خرج سليما من المعمة دون تعرض للتلوث حتى فى نظر أكثر الصحفيين تبعية لليساريين ، وأمكن عدم تعريض أرواح الأيريه للخطر ، وأثبت الارهابيون امكان خضوعهم لحجج المفاوض المنطقية الممنلة للديموقراطية والحرية .

ان هذا لا يعنى القول بان الفريق المفاوض ليس بحاجة الى العون من « الاستخبارات » و « المعلومات » السابق ذكرها . انه محتاج بالتأكيد . وهناك مدرسة فكرية - وهي منطقية تماما - تعتقد ان حصار السفارة الايرانية فى لندن (مايو ١٩٨٠) كان بالاستطاعة انتهاؤه دون فقدان لى أرواح ، لو كان الفريق المفاوض مسلحا بجميع الحقائق عن حالة الاجباط التى انتابت الارهابيين . فاعتمادا على مثل هذه المعلومات ، كان يوسع الفريق أن يكون أقدر على تقدير أسلوب تحركات هؤلاء الارهابيين وتحركاتهم المضادة ، وتقييمها . على أن هذا لا ينتقص من العمل الرائع الذى أقدمت عليه الشرطة ولواء القوات الجوية الخاصة ، ولكن نل هذه العملية تعد من العمليات التى تثبت أن بمقدور الوسائل السياسية الخاصة بمناهضة الارهاب أن توفر اللجوء الى الحل الأخير ، أى « الرد المسلح » . وكان من المتوقع أن يترتب على ذلك أثر مزدوج كلم اتاحة : لفرصة لصياح بعض المنظمات والأفراد ولوسمهم العمل العسكرى بالوحشية ، كما أنه كان سيحافظ على ادخار بعض التكتيكات الفارقة التى تقسم لكى تستعمل فى مناسبات أخرى ، عندما يكون الرد المسلح هو الملاذ الأخير حقا .

واذا تركنا هذه الناحية جانباً ، سنرى أن مسألة ايران قد علمت علماء النفس والمفاوضين معا دروسا هامة . اذ كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على أسلوب فكرى يكاد يكون متائرا «باعتراض استكهم» على أن هذا الأسلوب لم يحقق نايته فى حالة السفارة الإيرانية . ومن اليسر تحديد الأسباب . اذ كان من بين جماعة الرهائن بعض المؤيدين المتعصبين لآية الله الخومينى ، الذين تماثلوا هم والارهابيين فى تحد بهم ، ولأنوا على استعداد للشهادة . والحق أن هذه الرغبة كانت رغبة واضحة سافرة فى مختلف مراحل تطور الحادث ، فماذا بعد ؟ ان هذا سبب آخر يفسر لماذا يحتاج الفريق المفاوض الى الكثير من آخر ما احدثى اليه من معلومات عن الارهابيين « كممارسين عمليين » . وأما القول بأن مسلك هؤلاء الرهائن معروف فمسألة فوق كل شك ، ولعلها قادرة على ترديد المفاوضين ببعض اللخيرة السيكلوجية .

وفى المملكة المتحدة وألمانيا الغربية والولايات المتحدة ، هناك قوات خاصة لها نفس مسئولية القوات المسلحة والشرطة ونرقاء التفاوض ، وهم يتدربون ويتمرنون سويا على أساس منتظم . وبالنسبة لظروف هذه البلدان ، فإن هذا الوضع مناسب بما فيه الكفاية . على أنه من الممكن أن نتصور حاداً دوليا حقا يتشعب فى أنحاء شتى ويعترض فيه عدد من دبلوماسيين مختلف البلدان لنفس موقف الرهائن ، فهل هناك قدر كاف من تبادل المعلومات والتقنيات والتكتيكات ؟ والأهم من ذلك هل يوجد أى تبادل لخبرات التدريب بحيث يستطيع معالجة مثل هذا الحادث بكفاية

وسلامة؟ أليس من الواجب التفكير في عقد مؤتمر دولي عن الاجراءات المضادة لبحث هذه المشكلة بحثا جادا ووضع مخطط للطوارئ للتأمين ضد الأخطار الواضحة .

ومن المحتمل ان تكون اكثر الأحداث الارهابية اثباتا لنجاح المشاركة بين دول عديدة هي التي وقعت في ٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، ففي عملية احسن تخطيطها ، استولى الخاطفون الفلسطينيون على طائرتين في الفضاء الأوربي وحولوا مسارهما الى مطار دوسون فيلده في الاردن . وفي الوقت نفسه ، اختطفت طائرة ثالثة ، وحولت الى القاهرة حيث نسفت على الأرض ، وحدثت محاولة للاستيلاء على طائرة رابعة تابعة لشركة المال الاسرائيلية أثناء تحليقها بين لندن وأمستردام ، وأخفقت هذه المحاولة الرابعة نظرا لتدخل "بوليس الفضاء" الاسرائيلي ، الذي أطلق النار على أحد المخطفين أثناء تحليق الطائرة في الجو ، وترتب على هذه العملية القاء القبض على ليلي خالد (المخطفة الثانية) وتنتمي أيضا الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . التي اختبزت في لندن . وفي ٩ سبتمبر ، اختطفت طائرة خامسة تتبع الشركة البريطانية B.O.A.C. وتحمل ثلاثين ركابا . وكان بين ركابها حوالي عشرين من اطفال إحدى المدارس الانجليزية ، بلا مرافق . وطالب المخطفون بتسليمهم ليلي خالد كغدية في مقابل الافراج عن اطفال المدرسة . وفي نظر الرأي العام وإدوارد هيث (الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس وزراء إنجلترا) كان لا مندوحة من القبول . ونمسك بشرط عدم اطلاق سراحها ، الا بعد اطلاق سراح جميع ركاب الطائرة ، ورغم كل هذا فان هذه الجرة كانت شديدة المراه بحيث يصعب ابتلاعها . ولعل هذه العملية قد حققت نجاحا جزئيا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولكنها ساعدت أيضا على تقوية عزيمته الملك حسين ملك الأردن ، اذ قام بطرد الفلسطينيين بعد وقوع الحادث بوقت قصير من البلاد .

ومن حسن الحظ أن اختطاف جيمس كروسي المبعوث التجاري الانجليزي في كندا (٥ أكتوبر ١٩٧٠) واختطاف جوفري جاكسون في مونتفيدو (٨ يناير ١٩٧١) قد جاءا في أعقاب حادث (دوسون فيلده) في الأردن ، مما أتاح الفرصة للحكومة البريطانية للصمود في وجه مطالب الافراج المائلة الأخرى ، وبذلك توطلت سمعة بريطانيا كدولة متشددة في وجه الارهاب ، وأثبتت عدم خضوع البلاد لمثل هذه الأحداث الابتزازية ، الى أن وقع حادث حصار السفارة الايرانية في ٣٠ ابريل ١٩٨٠ .

وعلى الرغم من أن إجراءات التدخل المسلح تعد الى حد كبير مسئولية الحكومة ، الا أن هناك أيضا عبئا يقع على عاتق قطاع التجارة ،

« الصناعة » • فعليهما القيام بدورها في العملية الوقائية أولا كمسئولية وطنية ، وثانيا كاثبات للعناية بالركاب الذين يتكبدون نفقات باهظة في سبيل تنقلهم حول العالم •

ولقد ذكر في مستهل هذا الفصل بوجوب مؤازرة عمليات الرد المسلح على الارهاب باتِّباع اجراءات ذات كفاية لمناهضة الارهابيين • وسرعان ما أصبحت هذه المسألة محور اهتمام وتعاون دولي عظيمين في نواحي التكتيكات والتدريب والمعدات المتخصصة •

نعم ستظل الديموقراطيات الليبرالية دوما هدفا للارهاب • وليس هناك سوى القليل الذي يمكن أن يجرى للقضاء قضاء مبرما على المشكلة • ومن ثم فإن أفضل وسيلة للدفاع هي تطبيق اجراءات مناهضة للارهاب باقتدار ، والتدريب الواقعي للجماهير ، واعداد وسيلة مسلحة ذات كفاية ، شريطة أن تستخدم دائما كحل أخير ، كما يجب أن يراعى أن يكون الاستخدام متمشيا والقانون •

١٦ - الرد المسلح على الارهاب

« علم تشن الحرب
فلقد انتهت المقاومة »

ولكن ممن سمعت
ان المقاومة قد انتهت »

Skaka's War Song Long Long Ago

R.C. Samuelson تأليف

عندما تفشل الاجراءات المناهضة للارهاب ، فان الانظار تتجه الى وسائل الرد المسلح . وهذه الوسائل أداة عنوانية قوية في يد الحكومة ، وتلعب دور أساسا حول الاستماعة بالوحدات المسلحة والشرطة أو القوات العسكرية . ويعد اللجوء لخيار الرد المسلح بالذات اعلانا عن الاستعداد لخوض معركة قتالية . وقضية أحداث الارهاب ورد الحكومة عليها من أكثر القضايا إثارة للمشاعر ، وربما ساقطت هذه الحالة الى موقف تلقى فيه قواعد الحرب في سلة المهمات ، ويؤمر فيه الرأي العام بمراجعة ضميره بعد الاستماع الى ما يعرضه من حجج طرفا النزاع ، لتقرير الرأي والحكم « فهل هو اجراء صائب أم خاطئ » ؟

وفي مذبحه ميونخ في ٩ سبتمبر ١٩٧٢ ، هاجم سبعة من الارهابيين يتبعون جماعة أيلول الأسود بمعاونة أوروبيين من جماعات مختلفة أحده

الأجنحة المخصصة لإقامة الرياضيين في القرية الأوليمبية قتلوا اثنين ، واحتجزوا كرهائن تسعة آخرين من الأبطال الرياضيين . وتقلت بعض المفاوضات الهزلية والأحداث إلى مطار Fursten feldrueck حيث شنت الشرطة الألمانية هجوما على الإرهابيين اشترك فيه القنصاة . وفي العملية التالية ، قتل خمسة من الإرهابيين وأحد رجال الشرطة ، وفقد جميع الرهائن أدوارهم ، ووقعت هذه الأحداث في أولمبياد ١٩٧٢ ، وأذاع التلفزيون وقائعها في شتى أنحاء العالم .

ومنذ ذلك الحين ، تزايدت المناسبات التي استعانت فيها الحكومة بالشرطة المسلحة أو القوات المسلحة للرد على الإرهابيين . ولم يمض أكثر من سنتين (١٩٨٢ - ١٩٨٣) بعد انقضاء الزمنية التي انقضت بعد حادث المطار آتب الذكر حتى أعلن مرة أخرى عن تدخل جديد للشرطة المسلحة ، وحتى في هاتين السنتين ، فإن من الأمور المقبولة أن يجري ذلك دون أن تتبعه حملة دعائية . وصادفت بعض العمليات التي ترتبت على ذلك نجاحا باهرا ، كما حدث في عنتيبي بأوغندا ومقدشيو في الصومال والسفارة الإيرانية في لندن . ولكن لا بد من الاعتراف بأنه رغم مصرع الإرهابيين ، إلا أن بعض هذه المحاولات قد فشلت فشلا ذريعا نظرا لما ترتب عليها من فقدان الرهائن لأدوارهم (ميونخ ولارناكا بقبرص ويوجوتا في كولومبيا) . وإذا سلمنا بأن أية حادثة من هذه الأحداث ما كان مستبعدا أن تنتهي بالافاق ، مثلما تنتهي بالتفريق ، ألهم إلا إذا كانت الأرجحية بما لا يدع مجالا للشك في صف أنفة المهاجرة ، فإننا سنواجه التساؤل الآتي : « في مثل هذه الحالات ، هل يعد من الصواب أن يواجه العنف بالعنف ، عندما نضع الرهائن وأدوارهم على كف الرحمن ، بعد أن وضوا وسط النيران المتشابكة ؟ وهل يتوقع أن يرحب المستول الذي يحتجزه الخاطفون ، أو الركاب في طائرة منطوقة بقوات التدخل من المتخصصين في الردود المسلحة ، أم أنه سيخشى من عواقب هذا التدخل ؟ »

ولن تلقى قط مسألة « الحق » أو مسألة الضرر أية اجابة ترضى الجميع ارضا كاملا ، انها حقيقة واقعة ، وإن كانت البذل التي تحتفظ بقوة خاصة عزف عنها الاقتدار في مسائل الرد على الإرهاب - خصوصا إذا كانت قد اختبرت وأبلى بلاء حسنا كالألمانيا الغربية والمملكة المتحدة وإسرائيل وفرنسا - قد استطاعت التحرر من « صدام » أحداث الرهائن لفترة من الزمن الآن . نعم إن أحداث الاغتيال والقاء القنابل لم تخف وطأتها ، وربما جازي تقول بأنها زلت في بعض البلدان ، والبدكم يعتمد في هذا الشأن على طريقة قراءة الاحصاءات وتفسيرها ، فهل تدفعنا هذه الحالة إلى التسليم جلا بإمكان إرسال هذه القوات إلى الجحور والمخابئ .

لكي تساعد مساعدة فعالة في محاولة الاستخبارات الضرورية للغاية لمحاربة من يلقون القنابل ؟

على نحو ما ، ان هذا يحدث بالفعل ، كما يستبدل مما حدث في المحاولات المشتركة بين S.A.S. وايرلندية الشمالية ، (أو عنهما تعاونت «الموساد» و Sayaret Matkal . على أن تفاصيل مثل هذه العمليات تتسم بالسرية بطبيعة الحال بالضرورة ، ومن ثم فمن الصعب قياسي ما تحدثه من تأثير . وتلطف من مثل هذه التوجهات الفلسفة الشخصية للفرد والاجابة التي يقبلها عن التساؤل حول ماهية الارهاب ، وهل يمكن القضاء عليه ، أو تخفيفه ؟ ولتوضيح ذلك ، فما هي أفضل وسيلة : الاعتماد على الاستدلال العقل الصحيح ، والمفاوضة البارة بالتعبية ، أم ضرورة القضاء المبرم عليه . وهو ما يستوجب الاستعانة بالقوات العسكرية الخاصة ؟ ربما بدا من المنطقي أن تكون الحجج المكتوبة عن طريق المفاوضة قادرة على احداث تأثير ينوم مدة أطول شريطة عدم قيام المفاوض في صف القانون وانتظام بتقديم أية تنازلات . قد تضعف أهمية هذا القانون ، بل يهجر عن طريق العقل سيكشف عن هتات في حجج الارهابي . يعجز عن تهويها . وإذا قتل الارهابي فلا يستبعد أن ينظر إليه من أثر ذلك كشهيد للقضية التي يدافع عنها ، ويترتب على ذلك ظهور مائة آخرين على استعداد للحلول محله . وقد يحاجي ايضا بالقول بأن هذه الوسيلة قد تخفي هنة في حجج الحكومة المتفاوضة . وفي المملكة المتحدة ، ينظر والتأكيد الى الامتنعانة بالقوات الخاصة على أنها ، منذ أخير ، وأنها وسيلة قد يضطر الى اتباعها نتيجة لضغط حجج الارهابي . وفي مثل هذه الحالة ، فإن اللجوء الى القوات الخاصة لا يحدث قط الا اذا كان من الميقون منه أن الرخصة قد مات ، أو أن هذا الموت وشيك الوقوع .

انه خلاف لن يحسم أبدا ، ما دامت الديوقراطية تسمح بحرية الفكر وحرية التعبير . والإحصاءات غير موثوق منها ، نظرا للسرية التي تكتنف بعض عمليات القوات الخاصة ، ومن ثم فالحل الأفضل هو القناعة بنظرة مقتضبة الى بعض المنظمات القائمة ، وإلى ما هي قادرة على انجازه في عالم الرد المسلح على الارهاب ، وبإستثناء وحدة Sayaret Matkal (اسرائيل) التي لا يعرف أي شيء عن كيفية ظهورها للوجود لأنه محاط بالسرية ، فاننا اذا تحدثنا عن بواء الخدمات الجوية البريطانية (S.A.S.) فاننا سنرى أنه كان سابقا في ميدان الرد المسلح على الارهاب ، وترجع أهميته الى ما هو أكثر من ذلك ، لأنه منذ عهد قريب من تاريخه ، كان مسئولاً عن تدريب الكثير من القوات الخاصة لبلدان مختلفة ، ولا ينافسه في ذبوح صيته غير وحدة Sayaret Matkal . وقد ترتب على ذلك

Special Air Service Regiment.

✱

- بطبيعة الحال - توحد التدريبات والتكتيكات والقدرات بالتعبية في عدد كبير من البلدان . وعلى الرغم من هذه الجوانب المشتركة في القدرات ، فإن هناك اختلافا هاما بين المملكة المتحدة وتلك البلدان الأخرى خارج أوروبا ، يعنى في النظام والقواعد التي تتبع عند الالتجاء الى الرد المسلح ، وهو ما يحدث بقدر أكبر في البلدان غير الأوروبية . ومنسهب في الكلام عن هذه الناحية فيينا بعد - وفي جانب الرد المسلح على الارهاب ، فإن اهتمام S.A.S. قد بدأ منذ أمد بعيد يرجع الى ١٩٦٩ ، فمنذ مولدها بعد الحرب في الملايو ١٩٥٠ ، لم تنم الا بالقليل من فترات السلام في الحياة العسكرية (١٩٦٠ - ١٩٦٢) - وشهدت ١٩٦٧ نهاية حملة عدن ، ولاحت في الأفق عمليات السلام مرة أخرى . وكان أحد الضباط من القادة الأجرياء في S.A.S. هو الذي أثار اهتمام وزارة الدفاع بما يؤمل أن تعود به تاليم S.A.S. من أثر للحفاظ على رؤساء الدول فيما وراء البحار ، والذين تحرض انجلترا على الحفاظ على حياتهم ، ومن ثم قامت بتعزيز حرس شخصي مناسب لهم ، ونقلت هذه الفكرة بحاسة . وعقدت دورات تدريبية حافلة لهذا الغرض في قاعدة S.A.S. ، وأختبرت موضوعات الاغتيال والاختطاف والارهاب للدراسة المركزة ، وطارت الوحدات التدريبية الى شتى أنحاء العالم لتعليم فنون الأمن الوقائي .

ومساعد للاشتراك في العمليات المشار إليها آنفا على تعزيز مكانة S.A.S. مما مكنتها من النهوض بفن التدخل المسلح الى أعلى الدرجات ، وأدت الدروس المستفادة من اعتماد ميونخ الى صدور تعليقات بانشاء « الجناح المضاد للحرب النووية » (٨) . ومنذ ١٩٧٢ ، وبعد ذلك ، خصصت S.A.S. جانبا كبيرا من جهودها التدريبية لدراسة المهارات الضرورية « لاختراق الحصار » والارتقاء به . وارتقت عملية التدريب على وضع مخططات للعمليات المرتقبة بالاعتماد على التحليل الدقيق لنوافع الارهابيين ، وتكتيكاتهم ، وتنظيماتهم . والأحدث السابقة . ونمت القدرة على مكافحة الارهاب وارتقت رغم كثرة تعطلها من أثر الاحتياجات التي تقتضيها العمليات في بقاع أخرى من العالم . وخلال الحقبة بين مولد الفكرة ١٩٨٠ . وهي السنة التي جرت فيها حصار السفارة الإيرانية ، كانت S.A.S. على أهبة الاستعداد في جملة مناسبات . وكثيرا ما قدمت العون للحكومات الأوروبية (في ميغشيو وآسن) . وكشف الحادثن الأخيران للعالم الاتفاق السري السابق توقيعها للتعاون المتبادل بين الدول لمواجهة الأعمال الارهابية .

وفي سنة ١٩٧٧ ، وفي الولايات المتحدة ، شكلت وحدة Delta - S.F.O.D. تحت قيادة الكولونيل شارلي بكويز Beckwith الذي زاد اعجابه بالكفاية القتالية للواء S.A.S. عندما عمل ضابطا بديلا في اللواء في بواكير الستينات ، وساعدت هذه الواقعة على حدوث تخصيص حميم لجوانب التكتيك والمعدات ووسائل التدريب (التي كانت مصحوبة بطبيعة الحال بروح تنافسية حميلة) ، وقامت وحدة « دلتا » بتعليم منظمات خارج الولايات المتحدة ، وبذلك تحققت وحدة الهدف والقدرات الى أقصى الحدود . والحق أن هذا يؤيد الاعتقاد بأن وحدة Spetzanz السوفيتية قد تأثرت بوحدة « دلتا » في طريقها لتدريب الروس . ولقد نقلت هذه التعاليم للآخرين رغم الاختلاف المحتمل في الواقع .

وإذا تحدثنا بوجه عام ، سنقول ان وحدات الرد المسلح على الارهاب التي تحدثنا عنها قد انحدرت من وحدات القوات الخاصة ، التي ما زالت قائمة ، غير أن هناك استثناءات تستحق التنويه نصادفها في وحدات مثل G.S.G. الألمانية و G.I.G.N. الفرنسية . وهي وحدات كانت في الأصل تتبع شرطة هذين البلدين . وفي الولايات المتحدة ، لدى أغلب الولايات وحدات S.W.A.T. ضمن قوات شرطتها . غير أن الدستور الأمريكي يمنع قيام القوات النظامية من تقديم العون في مثل هذه العمليات عندما تحدث داخل القارة الأمريكية .

أيهما الأفضل : اختيار وحدات الرد المسلح على الارهاب من قوات الشرطة أم من بين القوات المسلحة ؟ يتساوى مؤيدو الرأي الأول هم ومؤيدو الرأي الآخر . وتتركز حجج الفريق الأول على أن الشرطة هي الهيئة المعترف بها كمستولة عن حماية القانون والنظام ، ومن ثم فيتمتع تكليفها للاضطلاع بهذه المسئولية . وتعمل بلدان كثيرة بهذا الرأي . ففي المملكة المتحدة هناك قوة شرطة واحدة . وهي عادة غير مسلحة ، وتعتمد في أداء واجباتها بكفاءة اعتمادا كبيرا على ثقة الجماهير بها . ويكلف كل ضابط شرطة تكليفا مباشرا ، أو بصفته الفردية من قبل التاج البريطاني . ومن حقه المشاركة أو عدم المشاركة في أية عملية ، اذا شعر بعدم صحتها ، أو بانها في غير صالح الجماهير ، تبعا لما يمليه عليه واجبه وضميره . وترى الشرطة وجوب عدم تجاوز مهمتها ، وحصرها في الحفاظ على الأمن في الأحوال العادية والوقوف في وجه المجرمين المسلحين .

وتتنزع وحدات الرد المسلح على الارهاب في التماثل في تنظيمها . ففوق كل شيء ، وأيا كان شكل العقل الذي يحتمى به الارهابي ، ويحتجز فيه رهائنه ، فانه لا يزيد عن « صنوق » . فالقطار أو السفينة أو الطائرة

أو المبنى عبارة عن « صندوق » ، قد يكون مصنوعاً من مواد مختلفة ، وقد يكون معلقاً في الهواء (الطائرة) أو طافياً على الماء (السفينة) . وأياً ، كانت حالته ، فإنه يفرض نفس المشكلات لقوة الاقتحام ، فيجب أن تتمكن هذه القوة من التحكم في الموقف ، ومن ثم فيتعين إقامتها لكوندون يحيط بهذا « الصندوق » للحيولة دون هروب أى إرهابي ، وعلم قنوم أحد الى الداخل لمساعدته ، وأول مطلب ضروري لتحقيق ذلك هو الاستعانة « بالقناسة » ، ومن هنا تأتي أهمية وجودها .

ويتعين الولوج داخل الصندوق (على افتراض تعذر تفريغه مما فيه) . وهناك عدد قليل من المواد - ان وجلت - تعجز الوحدات الحديثة للرد على الارهاب عن دخولها باستخدام أنواع مختلفة من الوسائل ، ومن ثم فإن الأمر يتطلب وجود « جماعة دخول » وقد تتسلح « جماعة الدخول » بأسلحة ثقيلة لتنفيذ مهمتها ، وبذلك يكون من الطبيعي تدريب قوة خاصة للنفاذ من خلال الفتحات التي شقت . وتتخذ هذه الجماعة شكل « جماعة الاقتحام » . وتقدم العون لهذه الجماعات مختلف جماعات « تجميع الاستخبارات » لتسهيل أدائها لمهمتها . وتتركز الاستخبارات الضرورية (أو المبتغاة على أقل تقدير) لوحدة الرد المسلح على الارهاب حول ماهية أسلحة الارهابيين ، وموضع كل من الارهابيين والرهائن ، الى جانب أكبر قدر مستطاع من التفاصيل عن كليهما ، بخصوص اماكن التعرف عليهما أثناء الزبيرة التي ستنتج عن الاقتحام ، وهذه الاستخبارات ضرورية بصفة مطلقة ، فقد يؤدي أى نقص في المعلومات الى ترك أحد العوامل تحت رحمة المصادفة . وهذه ناحية قد تجعل مدام فورتونا (الحظ) سيدة الموقف !

و « التوقيت الموفق » و « المفاجأة » هما العاملان اللذان يعتمد عليهما كل نجاح ، كما هو الحال في أى هجوم عسكري . ويتحمل المفاوض في هذه الناحية مسئولية جسيمة . وفي معظم البلدان تحرص وحدة الرد المسلح على الارهاب ، على التصرف على مقدار ما يتمتع به المفاوضون المحترفون من مهارة ، ولا يحاولون قط تجاوز دوره أو تخطيه ، وإن كانت هناك بالضرورة عمليات اتصال مفصلة يجب أن تتم بين هذه الوحدة وهؤلاء المفاوضين .

وتقيم معظم البلدان فارقاً بين الأحداث التي تجري على الأرض وتلك التي تحدث في البحر ، وفي المملكة المتحدة ، تمتد أية حادثة إرهابية تقع في عرض البحر وفي نطاق المياه البريطانية الإقليمية من مسئولية الوحدة الخاصة بخدمات السفن S.B.S. ، التي يتبعها فريق بحري مختص بالرد على الارهاب ، وفي الولايات المتحدة ، تقع هذه المسئولية على عاتق وحدات Seal التابعة لأسطول الولايات المتحدة . وتحرص على هذا

الفارق الفنى ذاته بلدان كالمانيا الغربية وإيطاليا وماليزيا وإسرائيل وغيرها . غير أن هناك بلدان أخرى ، كهللاند ، تعهد للبحرية بمهام للرد على الإرهاب فى البر والبحر على السواء .

ولربما كان من الخطأ المقارنة بطريقة الأطباء عند تشخيصهم للأمراض ، بين ما بين مختلف الوحدات من اختلاف من حيث الكفاءة النسبية ، لأن هناك عوامل مختلفة ، بعضها ملموس والآخر غير ملموس تتدخل فى هذه الناحية ، من بينها نظرة البلد الأم ، الى مصدر تهديدها ، ومدى تأثير ذلك على أهداف التدريب ووسائله ؟ بالإضافة الى مدى تضخ الوحدة ذاتها . (فليست هذه المهمة من المهام التى تعلم بين عشية وضحاها) والأولوية فى اعتمادات الميزانية المخصصة للأغراض العسكرية . وبالرغم من وجود رجال أشداء مدربين تدريباً ممتازاً ، ومن أصحاب الحماسة فى دوافعهم ، إلا أن هناك أيضاً دوراً هاماً للتكنولوجيا ، عندما يراد دخول الهدف ، بطريقة فعالة ، وعليها أن لا ننسى عاملاً يعمل على جميع العوامل الأخرى ، انه الخبرة ، التى من غير المقدر تعلمها .

فما هى الضغوط التى يتعرض لها الرجال الذين تتألف منهم وحدات الرد المسلح على الإرهاب . وفى أغلب الظن فإن الجندى الذى يعمل فى وحدة القوات الخاصة من بين أكثر الجنود إدراكاً لدوافع ما يقوم به فى جيش الأمة ، وأن عليه أن يبذل قصارى جهده جسدياً وذهنياً ، وأن يتوقع التعرض لوضوح بشع تحتاج معالجته لعملية تفكر وتدبير ، ومن ثم يتعين أن يكون لا تقياً لمواجهة مثل هذه الأوضاع فى جميع الأحوال ، فقد يطلب منه مواجهة موقف ، مصيره الردى . وعليه أن يكون على استعداد لقتل أى شخص قد لا تدور بينهما أية حاجة شخصية ، فى سبيل الدفاع عن الرهائن ، الذين قد لا يكونون من أبناء ملتة أو من حلفائه . والأسوء من ذلك هو إدراكه أن أى اخفاق سيجر عليه غضب ملايين من الناس وازدراءهم ! . خلاصة القول ، انه حتى وبالرغم من أنه قد قام بهذه العملية تنفيذاً لأوامر صدرت اليه ، فانه لن يستطيع التخلص أو الهروب من سيف القانون ، الذى قد يسلط عليه فيما بعد . ومن يدري فقد يتعرض للاتهام باقتراف جريمة من الكبائر .

ويتعين أن يتوافر إيمان شامل بصحة كل شئ . ويتطلب النظام المتبع فى المملكة المتحدة من الشرطة بذل أقصى جهد لحل مشكلات المواقف الإرهابية التى تحتجز فيها رهائن بسلام عن طريق التفاوض . وهم يقبلون على تنفيذ هذه الغاية بحمية تضاهي حماسة الإرهابيين ! وفى حالة اقدام الإرهابيين على قتل الرهائن ، أو إذا بدا أن هذا سيحدث حتماً ، أو وشيك

الوقوع ، فإن عمل الرئيس الأعلى للشرطة أن يحرص على تأمل هل تكفي
الإمكانات المتوافرة له للتغلب على هذا الموقف . وإذا اعتقد أن الطريق
الأوحد هو اللجوء الى العسكريين ، كان من واجبه أن يوصي بذلك .
وكان هذا ما حدث في حالة حصار السفارة الإيرانية ، إذ كانت
رئيسة الوزراء بالذات هي التي عملت بتصليحة الشرطة واستدعت S.A.S.
للتصرف .

والتهيئة للمواجهة العملية للأحداث تستغرق جهدا كبيرا حتى يشعر
الجندي براحة الضمير . فلا بد أن يشعر أن جميع الوسائل السلمية قد
استنفدت . وأن المطالب التي يطالب بها الإرهابيون بلغت حدا ليس بمقدور
اية حكومة ديموقراطية أن ترضى بها ، وبذلك يبدأ عمله ، بغير أن تخافه
الشكوك في أن ما يفعله هو الحل الوحيد المتبقي ، وبعد ذلك يترك الأمر
للفرصة وللسنوات التدريب لكي تؤدي دورها . ويجب أن تستغل كل
فرصة تسمح لاقتاذ حياة الرهائن ، لأن سلامتهم ستبلغ أهمية
كبرى نظره حتى إذا جاء ذلك على حساب سلامة أقرانه .

وهناك فارق واضح بين إجراءات مناهضة الارهاب واجراءات الرد
المسلح على الارهاب . ويصح ادراج عملية « الرد » تحت عنوان الأعمال
الوقائية والعلاجية ، إذا طبقت تبعا لمبدأ العين بالعين والسن بالسن .
(أو واحدة بواحدة) . ولا تتبع بعض البلدان هذه التفرقة . إذ تلتزم
قوات الرد المسلح بالعمل ايجابى بمجرد بلوغها اية اشارة من
الاستخبارات ، وتقوم بمداومة الارهابيين قبل أن يشنوا اية عملية متخططة ،
أو شن عمليات ثارية بعد أن يكون قد انقضى أمد طويل على الحادثة ،
ولكن هل يعد مثل هذا العمل أمرا جديرا بالثناء ؟

لقد قامت اسرائيل وجمهورية جنوب أفريقيا بهذا الاجراء الأخير
بصفة منتظمة عبر السنين ، ودافعوا عما قاموا به بكل ما فى جيبهم .
وقامت الولايات المتحدة حديثا بمثل هذه العمليات ، وهددت بفضة بأنها
ستكررها ، فهل حقق ذلك اية غاية نافعة ؟ ولعل ما قامت به هذه الدول
قد تسبب فى تلطيف سمعة الحكومات المشار اليها بنفس القرشاة التي
لطخت الارهابي ؟ لا جدال أن هذه الناحية قد أثارت خلافا في الرأى العام على
نطاق واسع ، ولا يبدو أنها قد ساعدت على الإقلال من الأحداث الإرهابية ،
ولا على المستوى المحلي ، ولا ضد أولئك الذين يتبعون تلك البلدان التي هي
موضوع الشبهات . وفى الدوائر المعنية ، فإن هذه المسألة مستشغلة
- فيما يحتمل - قائمة بموضوعات الأخذ والرد لسنوات عديدة .

يبدو أنه من المنطقي أن نذكر أنه بغض النظر عن كيفية استعمال
الوحدات الفعالة للرد المسلح على الارهاب ، فإن جميع الدول ليس بمقدورها
الاستغناء عن مثل هذه الوحدات ، وإذا أحسن التحكم فيها ، ونم يلجأ
المستولون الى نشرها الا كحل أخير فقط ، على أن تراعى الدقة والحرص
آنئذ ، وأن تخضع لرقابة الهيئات القادرة على فرض القانون ، فإن هذه
القوة ستحقق الصالح العام ، بفاعلية لا تنكر .

✱ ✱ ✱

رابعاً: الرد في نطاق المؤسسة

١٧ - توعية المؤسسات والتخطيط للطوارئ

منذ سنة ١٩٧٠، تكاثرت أحداث الارهاب الموجهة ضد رجال الأعمال على طريقة عش الغراب (*) ، ويتعذر تقدير مدى الخسائر وفداحتها ، التي لحقت بالهيئات والمؤسسات ، لأن الكثير منها يحجم عن كشف الحقيقة . لأسباب لا تخفى ، على أنه يحتمل أن تكون الاستجابة لتهديدات الارهابيين أفتح ثمنا من الأحداث الفعلية لالقاء القنابل على سبيل المثال ، فقد يتسبب أحداث أضرار أكبر في اللفظ المتكرر في المصالح ودوائر الانتاج ، التي تتوقف عن العمل أثناء العمليات الارهابية نتيجة لحملة مدبرة بخرس من المكالمات التليفونية .

ولقد ازداد الارهابيون في شتى الأنحاء ابتعادا عن البساطة في ادراكهم لكيفية شن الحرب الاقتصادية ، فهم دائمو البحث عن قطاعات جديدة في دوائر المصالح والأنشطة الحساسة ، والمجتمعات التي تقوم فيها الاتصالات بأنواعها المختلفة بنور خطير ، ومن هنا برزت مراكز الكمبيوتر كهدف مستحب ، واستمرت جماعات الارهاب الوطنية في البلدان النامية بوجه خاص في ضرب الأجهزة المعاونة للصناعات الجديدة . وما أيسر تلعب المرافق العامة كخطوط الكهرباء ومحطات توليد الكهرباء ، وبخاصة عندما يكون من العسير حمايتها والدفاع عنها ، وتؤكد نفقات باهظة عمليات الدفاع ضد التهديدات السافرة للمنشآت الحديثة والانشآت وعمليات التجنيم ، وبخاصة في المناطق النائية حيث تضعف فاعلية القوات الحكومية ، وتضطر حتى أكبر الشركات التي تشترك في ملكيتها وإدارتها جنسيات متعددة الى دفع أتاوات لحمايتها ، لبعض الجمعيات التي لم يسمع باسمها أحد ، فأكثرها لا يزيد عن زمرة من الإفاقيين ، الذين لا تصرف هويتهم ولا من أين جاؤا .

(*) البزوغ غير المتوقع والسوافر : أو في الشيطان في لغتنا النامية .

وحتى فى المناطق الأكثر استقرارا ، فان انشاء أجهزة أمن اضافية للمواقع والأفراد كثيرا ما تكون بضاعة كلامية ، لا ينفذ منها عمليا أى شئ . وتضطر المؤسسات الى الاعتماد على كفاية المهارات المحلية التى بمقدورها الاجسام عن استعمال المعدات المتقدمة (بدافع الفيرة أو الظن بأنهم تهدد وجودها) ، والاعتماد أيضا على شركات الأمن الخاصة . بمعاييرها القائمة على علم الاكتراث ، والاقتصاد أكثر مما يجب فى التصريح بما لديها من معلومات ، ومن وسائل مواجهة هذه المشكلة تفويض « شركات التأمين » بالنيابة عن المؤسسات فى تحمل هذه الأخطار ، وبخاصة اذا كانت الشخصيات التى يتوقع تعرضها للتهديد من العاملين الوافدين من بلدان أجنبية . ولهذا الاجراء أهمية كبرى . وعلى أى حال ، فمن الواجب ألا ينظر اليه باستخفاف . فاذا تحقق بطريقة صحيحة وبحكمة فان عمليات التأمين ستحقق المعجزات من ناحية الكفاية ورفع الروح المعنوية للأفراد ، وأفضل الأمثلة الخاصة بالتأمينات التى استطاعت حماية العاملين هي أحداث الاختطاف ، التى تكون مصحوبة - عادة - بالتدريب على التوعية الأمنية ، ويكون قسط التأمين متضمنا خدمات المفاوضات المتفرس .

ويتعرض « التأمين » مثل أى نظام آخر - بطبيعة الحال - الى اساءة الاستعمال والفساد . فلقد تحولت فديات المختطفين ومبالغ التأمين الى صفقات تجارية فى بلدان مثل إيطاليا وأمريكا اللاتينية . وتعتقد بعض الدول أن كل ما عاد من وراء الفديات التى تتخذ شكل صك التأمين هو تشجيع عمليات الاختطاف . ولا جدال أن سكوك تأمين المؤسسات تزود بالمال أناسا لا يتمتعون بالثراء كأفراد ، ومن ثم فانها ستساعد على زيادة عدد الأعداء المحتملة للإرهاب والاختطاف عما سبق ، وفى حالات أخرى ، يبدو أن سهولة المعاملات قد حولت المفاوضات الى عمليات مساومة على الثمن ، وإلى تشكيلات تمويل الإرهاب فحسب ، ولهذا الأسباب فان بعض الحكومات تبحث فى حظر تحريم هذا الشكل من التأمين . وعلى الرغم من سلامة طوية هذه الاجراءات ، فاننا نرى أن مثل هذه القوانين غير عملية وغير مثمرة . فالأولوية التى تملو على كل شئ آخر فى حالات الرهائن هي تحقيق الافراج عن الضحية ، حيا وفى حالة طيبة ، وهى غاية اضطرابية بما فيه الكفاية تدفع للبحث عن وسائل للتجامل على المحظورات القانونية . والقوانين المقترحة غير مثمرة ، لأنها ستساعد بكل بساطة على زيادة عمليات الاختطاف ، واجراء عمليات دفع الفدية فى الخفاء بعيدا عن الأنظار ، وفى الوقت الحالى تقوم الشركات الأفضل عندما تتعرض لمأزق ، الى اشراك الشرطة المحلية والتعاون معها ، لو كان هذا مجديا . وليس التعاون والشرطة بالمهمة السهلة على الإطلاق . ولن يؤدى تحريم التأمين

الى استبعاد الشرطة من القيام بهذا الدور وحسب ، ولكنه سيؤدى الى حرمان أسرة الضحية أو المؤسسة من الاستفادة بذلكاء المفاوضات المحترف ذى الخبرة وحنكته . وسترتب على ذلك دفع القدية بلا أدنى تأخير ، مع ائزة أقل قدر من اللفظ ، وستذيع أخبار هذه العمليات المربحة ، وتزداد عمليات الاختطاف ، ويهرب الأشرار ويفلتون من العقاب .

والاستراتيجيات البديلة ، وبخاصة عندما يتعلق الكلام بكبار الشخصيات المستولة ، لها جميعا عيوبها الخاصة ، وربما ساعد على منع مثل هذه الأحداث تزويد المستولين بسيارات ليموزين مصفحة ، فى الوقت الذى بلغ فيه ثمن اطار العجلة التى لا ينفذ الرصاص فيها مبلغ ثلاثة آلاف جنيه استرليني أو أكثر (حوالى ثمانية عشر ألف جنيه مصرى فقط لا غير) . وقد يعد اقناع كبار المستولين عند وجودهم بالخارج بالاقتصاد فى حب الظهور فى حياتهم الخاصة ، احتياطا معقولا ، وله دور ايجابى فى انقاص احتمالات التعرض للخطر ، غير أن كثيرين ينظرون الى مثل هذه الخطوات على أنها مطالب فظة للغاية ، وأنها تقضى على مزايا الخدمة فى الخارج ، بل وتقضى أيضا على أساليب الحياة المرفهة التى كثيرا ما تصحب مثل هذه الخدمة ، ويحاول بعض المستولين - حلا لمشكلة الأمن - تحديد ساعات عمل غير منتظمة ، وبذلك يحدث اضطراب فى المخططات التى توضع على أساس نمطى لاتمام عملية الاختطاف . غير أن مثل هذه الوسيلة قد تحدث خرابا فى دنيا الأعمال والمواعيد والارتباطات التى يجب أن تلتزم فى اغاب الأحيان بمواعيد محددة .

وعلى الرغم من مثل هذه الافتراضات ، فلا مناص من اصرار الشركات على اعداد برامج "Self Help" أو الاعتماد على الجهود الذاتية ، ولو اقتضى الأمر فإن عليها أن تموض موظيفها فى نواحى أخرى . والاقتصاد فى المظاهرات أمر معقول . وإذا اقتضى ذلك ، وجوب تحمل المسئول الحرمان من استخدام السيارة بورش أو سيارة مرسيدس بسائقها ، فإن عليك أن تدرك هذه الحقيقة ، وأن تموضه بزيادة المرتب أو العلاوات ، وغير ذلك من المميزات ، التى تلتطف من هذا الحرمان . أما الزوجات والأتباع الذين كثيرا ما يتجاهلون - فقد يكون لهم القليل من الآراء النافعة -

ويعتمد الإرهابيون اعتمادا شديدا على المعلومات المستقاة من داخل المؤسسة أو الشركة لتنفيذ عملياتهم . فإذا أختير أحد المصانع أو المرافق التى تبسر له القيام بمسئوليته كهدف للإرهابيين ، فانه من القروض المنصفة أن يكون للموظفين الذين لم يتأثروا بهذه العملية ضلع فيها ، وأحيانا لا يكون هناك أى اجراء يمكن اتخاذه من قبيل الأعمال الوقائية أو التصحيحية أكثر من التعريف بما حدث . وقد تكون حالات القصور بالامتناء من أوضاع سياسية مصحوبة أحيانا بمعارضة للحكومة أو

بالشفور بالمبدأ تجاه الأسس التي تقوم عليها المؤسسة ، والتي قد لا يكون في مقدور المستول القيام بأي شيء بشأنها . أما الارهابي فانه من ناحيته يستمتع بالتكتيكات المجرية على خير وجه ، والتي سميت تسمية بارعة بتكتيكات السلافي (*) ، أي سيقوم بالتخريب أو الشغب وتهديد الموظفين بوجوب التعاون معه .

ورغم كل هذا ، فان بوسع الشركة اجراء الكثير لاعادة النظام الى عقر دارها ، وللمحد من تأثير مثل هذه النواحي التخريبية . وكثيرا ما تكون المصانع هدفا للارهاب من اثر عقم شعبية ادارتها ، فالخبراء الأجانب لا يتعاطفون مع احتياجات العمال ، ويتصفون بالخشونة و « الجليظة » في سلوكهم ، مما يرجع في الأغلب الى جهلهم بالعادات والمعايير المحلية ، أو عجزهم عن مسايرتها ، والغرب بالذات في موقف سيئ في هذه الناحية ، فالبريطاني يتصرف وكان الامبراطورية التي لا تقرب عنها الشمس ما زالت حية ترزق ، ويصر الأمريكي على تصور المكان الذي يعمل به كانه أمريكا مصفرة متناسيا ما يحدثه هذا التصور من آثار مهلكة . وبمقدور الانجليزي والامريكي أن يتساهلا في مسألة اختلاف العنصر واللون . غير أن الاثنين يعجزان عن التحكم تحكما كافيا في الادارة التي غالبا ما تتصف بالوحشية والفساد والعنحية في تعاملاتها والقوة العاملة . لعل جبهه الآراء مجرد تعميمات ، ولكن في ميدان الأمن ، فان الوعي بأمور المؤسسة يرادف الادارة الحسنة والعلاقات الشخصية الحسنة . ويوصف الارهابي بالرعونة اذا أقدم على مخاطرة تقضى على شعبيته ، وتفقدته التعاطف . عندما يتخذ كهدف له أحد المصانع التي يشعر فيها العاملون بالارتياح والرضا في ظل اداة محبوبة ، وبلاستطاعة أن تكون الادارة المتترمة مثلا فعلا للهدف الذي يتعذر النبيل منه ، ومثلا لآخر المستحذات في عالم الأمن المادي .

وبالرغم من كل هذا ، فان الحاجة للعمل في المناطق الشديدة الخطورة ستكون مقبولة لدى المؤسسات كجانب من الثمن الذي عليهم أن يدفعوه مقابل إحتفاظهم بمناصبهم ، وفي هذه المناطق شديدة الخطورة تكون ميزة القدرة على اصدار القرار عند من يشغلون وظائف مسؤولة هي الفصيل في الحكم على نجاح المؤسسة . ان الشركات معرضة لمواجهة تهديدات الارهابيين . وما يهم هو أن تكون هذه المنظمة قد فكرت تفكيرا مسبقا في التهديد ، وأن تكون قد أعلنت العدة لمواجهة الأزمات ، وأن تكون قد وضعت المخططات والاستراتيجيات مسبقا ، وليس بعد أن تقع الواقعة .

(*) أنواع من المشروبات التي تعتمد على اللحم والنبيل ، وتطلق مجازا على كل ما يفتن باعتقابه . واختلاف مكوناته لدرجة تصيب بمره كنهه .

وبالمقدور اعداد مثل هذه المخططات لمواجهة الكوارث بحيث تناسب جميع ألوان التهديد ، التي قد تعرض المؤسسة للخطر في أى مكان من العالم . وتتطلب الكوارث الطبيعية والعواصف والفيضانات والأعاصير جميعا سبق التخطيط لإخلاء العاملين ، وقد يعنى الاخفاق في الاجراءات أو تعطل آلات المصنع والعجز عن التزويد بأحدى الخامات الأساسية توقف العمل بالمصنع ، وما يترتب على هذه النواحي من خسائر فادحة ، والاستغناء عن العاملين ، ويقع على رأس الاعتبارات بجميع صنوفها الحاجة لمواجهة عدم الاستقرار الحكومي واضطراب النظام الحاكم . فجميع هذه الأحداث يمكندورها أن تحدث تأثيرا كريها على المؤسسة داخليا وخارجيا ، وتمشيا مع مخطط هذا الكتاب ، فاننا سنركز على التهديدات الناجمة عن الارهاب ، والتي قد تتخذ شكل التدمير أو القاء القنابل .

والجهة المسئولة عن وضع مخطط للطوارئ في أية مؤسسة كبيرة تدعى « لجنة مواجهة الأزمات » أو C.M.C. (*) ، وتتصل بفروع ثانوية وراء البحار بوساطة صناع قرارات الأزمات ، وبوسعنا تسميتهم بفرقاء التفاوض المحلي (L.N.T.**) . ولكي تتحقق الفاعلية لهذه الجماعات ، فانها تحتاج الى أن تكون من المكونات الدائمة في تشكيل أية مؤسسة ، ويسير لها ذلك إقامة علاقة صحيحة وموجبة لمعالجة الإزمات التي قد تنشعب ، ويساعد التخطيط للطوارئ الذى تقوم به هذه اللجنة على النظر عن كتب الى مدى التهديدات التي تؤثر على صحة أعضاء المؤسسة ورفاهيتهم ، ومسلكهم في المستقبل . ويجب أن تتمتع C.M.C. الموجودة في رئاسة المؤسسة بالثقة التامة من قبل مجلس الادارة ، وأن تحصل على ترخيص باصدار القرارات ومواجهة المواقف العديدة غير المنظورة سلفا . ويساعد ذلك على توفير الوقت ، وعلى الاقتصاد في الجهد ، ويحول دون انحراف جهود الادارة عندما تواجه أية أزمة فعلية .

وأول خطوة في التخطيط لمواجهة الطوارئ هي تقدير مدى تهديد الارهابيين في هذه اللحظة . . ويكتسب هذا التقدير واقعيته من كونه مستندا الى مصادر متنوعة ميسورة من العاملين بالمؤسسة ، ومن استطاع استشارتهم . ويتخذ التهديد صورا متعددة دائمة التغير والتأثر بالأحوال المتقلبة والمعلومات المستحدثة المتاحة ، ومن يستجد من شخصيات . ويعتمد تقدير مدى التهديد على تصور الارهابي للمؤسسة باعتباره قد وضع نصب عينه معرفة أكبر قدر من المعلومات باستطاعته الحصول عليها عن المؤسسة .

Crisis Management Committee.

(★)

Local Negotiating Teams.

(★★)

وعليك أن تحرص على أن يكون ما لديك من معلومات مساويا لما هو متوافر لديه على أقل تقدير . وعندما تخطط جماعة ارهابية للتجريس على الاضراب، فانها تجرى استكشافا لمنشآت الموقع ومرافقه ، والعاملين فيه . فعليك أن تنظر الى هذه الأمور بمنظور من لديه وعى بالأمن ، وأن تتأكد من انتظام العمل بالمؤسسة فيما يتعلق باحتياطات الأمن ، وتعنى عملية « تصعيب الهدف » ، فى واقع الأمر أن تصبح المؤسسة أصعب فى الاعتداء عليها من باقى المؤسسات على أمل أن يضطر الارهابى الى البحث عن موقع آخر يكون فريسة ألين عريكة ، وبطبيعة الحال ، ان جميع الأهداف المحتملة تسمى ذلك . ومن هذا يتضح مدى سهولة تغلر السيطرة على عملية تصعيب الهدف target hardening ، اذا راعينا ما يجرى من تنافس بين العاملين ، وتذبذب الأسعار فى شكل حلزوني الى مستويات مضحكة . وأفضل وسيلة لدراسة هذه الناحية هى الدرامسة القائمة على الأسئلة الآتية ، والتي لا تعد بأى حال جامعة مانعة ، شريطة أن يجاب عليها باخلاص .

- ما هو الانطباع الذى يحتمل أن يحدث عند الارهابى عن اجراءاتك الأمنية ؟
- ما هو مقدار صعوبتك كهدف ؟
- ما هو مقدار احتمال تعرض الجوانب الحساسة فى مصنعك للخطر ؟
- هل هى حسنة الوقاية ؟
- ما هى وسائل العلاج التى بالمقدور اتخاذها على الفور لزيادة الأمان ؟
- كم ستتكلف ؟
- ما هى صورة الانهيار الذى ستحدثه الاجراءات الجديدة على سير العمل والكفاية ؟

وتدون مؤسسات كثيرة الخلمات التى ينهض بها المستشار المتخصص ، الذى بوسعه القيام بعملية مسح موضوعية لأمن أى مصنع من المصانع ، وتقديم توصيات حرة بعبلة عن التحيز ، وغير متأثرة بسياسة المؤسسة .

وبعد فحص الجوانب المادية من الأمن ، فإن الحاجة تدعو الى توسيع آفاق مخطط الطوارئ حتى يتحول الى استراتيجية شاملة تراعى فيها النقاط الآتية :

● ما هي التقديرات التي تصل الى علم الارهابي عما يقال عن ثروة المؤسسة وقوتها المالية ؟

● ما هي ردود الفعل المحلية تجاه مؤسستك ؟

● ما الذي يقال عنك في التلفزيون والصحافة ؟

● ما هي نظرة أبناء هذا البلد الى بلادك ؟

● ما هي طبيعة العلاقة بين بلديكما على المستوى القومي ؟

ولم يعد من الحقيقي القول بأن كل ما ينشر يفرض الدعاية أشياء حميدة . والمهم هو أن تعي ما يقوله الآخرون عنك . بطبيعة الحال ، اذا كانت المؤسسة مصرفا أو شركة نفطية ، فإن هذه الحالة قد تخلق مشكلة حقة ، اذ سيحتاج الارهابيون الى بذل جهد كبير لاقتناعهم انك لا تملك مال قارون وكنوزه . ويتمين أن يكون بقدور الردود على هذه المجموعة الثانية من الأسئلة المساعدة على تحديد مدى تهديد المؤسسة ، بعد مراعاة كل هناك رضاء عن هجوم الجماعة الارهابية عليها .

والمجموعة التالية من الأسئلة تخص التنظيمات الارهابية :

● ما نوع التنظيمات الارهابية التي تتعامل معها ؟

● هل هي على اتصال بالعالم السفلى للجرام ؟

● على أي نحو يعتمد التحالف بينهما ؟

● ما هي أهدافها وأساليبها ؟

● هل هي ترمي الى التشهير السياسي ؟

● أم تسعى للحصول على المال فحسب ؟

● ما هي نوعية الأهداف التي تساعد على تنفيذ ميثاقها ؟

● هل قامت مؤسستك بالتهويل من شأن حجم الجماعات ؟

● ما هو مدى شعبية الارهابيين ؟

● ما هو مقدار العون الذي تتلقاه « الائتلاجننتسيا » ، كالطلبة والمدرسين

والصحفيين والجامعات وأساتذتها ؟

● ومن الاعلام ؟

● ومن نقابات العمال ؟

• وزيدا كانت هناك أكثر من جماعة إرهابية واحدة ، وفي هذه الحالة ، فإن عليك أن تجيب على الأسئلة التكميلية الآتية :

• هل ينم مظهر المتمين لهذه الجماعات عن الابتعاد عن البساطة والاقتدار ؟

• هل هناك تعاون بين الجماعات الإرهابية ؟

• هل هناك تنافس بينهما ؟

• قد تتدخل الاختبارات التكتيكية في أساليب الإرهابيين ، وتساعد الاستعانة بالسجلات التاريخية وفحصها على الإجابة على أفضل وجه على الأسئلة الآتية :

• ما هي أساليب الهجوم التي استعملت غالبا ، ومن ثم نجحت في استعمالها ؟

• هل حدث هجوم بالقنابل ؟ وإذا جاءت الإجابة بالإيجاب ، فإنه سيكون من المفيد أن تعرف ما هو أكثر عن بعض الاعتبارات التكتيكية المتصلة بذلك كطريقة تفجير القنابل وحجمها ونوعها ، وأن تحاول أن ترى هل يمكن استخلاص نمط واحد اتبع في أحداث الهجوم ؟

• وماذا عن قتابل الأزعاج ؟

• وهل حدثت محاولات لتلويث المنتوجات ؟ وهل هذا التهديد في تزايد ، وبخاصة - كما سبق أن رأينا - من قبل - عند كلامنا عن الجيل الجديد من أتباع اتجاه « الإرهاب الرقيق » ؟

• الهجوم على العاملين ؟ والحاجة ماسة هنا الى المزيد من المعلومات .

• الاغتيال ؟

• مدى تعرض العمال المحليين للتهديد ؟

• الاختطاف وطلب فدية من المسؤولين ، ويتعين أن يمتد هذا السؤال بحيث يشمل على الآتي :

• ماذا تعرف عن مقدار الفدية التي دفعت ؟

• ما هي المدة التي قضاها المضحية كرهينة ؟

• مصير الضحايا ، يعني كم عدد من قتلوا ؟

• كم عدد من أطلق سراحهم ؟

ويتعين على مخطط الطوارئ أن ينظر بعد ذلك في مقدار العون والوقاية التي تتوقع المؤسسة - بإخلاص وواقعية - أن تنالها من الشرطة المحلية وقوات الأمن . اذ يرغب المهندسون المطالبون بالفدية معرفة هل ستكتفى المؤسسة بالاعتماد على جهودها الخاصة ، وينبغي ألا نخدع بالازياء العسكرية أو تنبهر بها، بعد أن أصبحت أمرا شائعا، بعد أن ارتدت القوات العامة والخاصة التي تناهض الإرهابيين ، وربما لا تزيد الاستعراضات المصحوبة بالموسيقى ودعايات الحكومة عن بعض تشكيلاتها المختارة كجماعة Green Heter ، رومبا أو S.A.S. ، والتي قد لا تختلف أية واحدة منها عن الأخرى ، عن دعايات جوفاء . فهي لا تزيد عن جماعات ضخمة لا تصلح لغير الحفلات التنكرية . ومن المؤسف أن الكثير من هذه القوات « الخاصة » في « البلدان النامية » قد اكتسبت صفة « الخاصة » بحكم ما تتقاضاه من « باكوات الأراب » (كما يقال في وكالة البليغ عندنا) وبفضل بريق أحدثتها ، وإن كانت في الحق لا تستحق منا أية التفاتة ثانية . وربما كان الاعتماد عليها في أى طارئ بعيدا عن الحكمة .

وفي بعض الحالات قد يكون المستشار الأمني ملما بالمأما حسنا بدوره بفضل سبق اشتغاله في القوات الخاصة .. وفي هذه الحالة ينبغي أن يكون قادرا على الاجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما هو نصيب القوات الخاصة من صفة « الخاصة » ؟
- ما هو مدى كفاية الفروع الأخرى وسلاح الخدمة ؟
- هل تتمتع الشرطة بالكفاية ؟ وهل هي حسنة التحريب ؟
- العلاقة بين الشرطة والقوات المسلحة علاقة تعاون أم تنافس أم احتكاك ؟
- وهل تخضع القوات الخاصة للدوافع السياسية ؟
- وهل تتمتع بالشعبية ؟
- هل تتصف بالفساد ؟
- ماذا تعرف عن الحكومة ونظامها القضائي ؟
- ما هو تأثير النظام القضائي والقانون الجنائي ودقتهما ؟
- هل القضاة والمحامون أحرار أم هم يمحشون عن لغة العيش ؟
- هل هم فاسدون ؟

جميع هذه الأسئلة لو أحسن بحثها والاجابة عليها ستتيح لمخطط الطوارئ التعرف على ماهية التهديد ، وأين يكمن مصدر القوة في هذا البلد . فإذا تعرضت المؤسسة للهجوم ستتوافر لديها البيانات عن مدى العون الذي يحتفل أن تتلقاه ، ومن أين . وبالمقدور تكليف I.N.T. ومستشار الأمن لتجميع المعلومات ، وإعداد C.M.C. برئاسة المؤسسة بالاجابات .

وستنحدث عن « فريق صانعي قرارات الأزمة » وتكوينه حديثا وفيما في الفصل التالي . ولكن قبل أن تنتقل الى هذا الفصل ، وقبل أن نبحث كيف يستطيع حل أية أزمة ، لابد من أن يراعى أن هؤلاء الأشخاص يعملون في جو من التوتر الانفعالي الكبير . لأنهم عند نشوب أية أزمة حقة ، سيصبحون مسئولين عن أرواح الآخرين . وفي مثل هذه الأحوال ، لا يكفي الوثوق في الادارة ومساعدتها ، لتحقيق النجاح . اذ ستكون G.M.C. والتنظيمات الثانوية التابعة لها محتاجة الى التسهيلات ذاتها لانجاز عملها ، كما ستحتاج الى مركز تحكم مجهز على خير وجه لتزويدها بالبعد الاقصى من الكفاية في صنع القرارات ، وأيضا الى مستويات معقولة من العون والمساندة الادارية ووسائل تأمين الاتصالات . وبعبارة أخرى ، ان ما نقصده هو « مركز تحكم في الازمات » يتمتع بالأمان ، بعيدا عن ضغوط المؤسسة وتدخلها .

وأخيرا . فإن الإفرقة تحتاج الى التدريب على الدور الذي ستقوم به ، وينبغي اختبار مخطط الطوارئ ومجموعة صنع القرار للتأكد من كفاية قدرتهم على الاضطلاع بأدوارهم وواجباتهم ، ونحن ننصح بالاستعانة بالعباب أو مباريات التمرين والخداع ، التي وان كانت تمرينات نظرية ، الا أنها تعد وسائل نافعة تساعد المشاركين فيها على اكتساب الخبرة . وإذا لزم الأمر يستطيع تقييم قدرتهم على صنع القرار اذا تعرضوا لهذا النوع من الضغوط .

وفي رأينا أن هناك ثلاثة سيناريوهات لتمرين التمرين والخداع لها اتصال مباشر باحتياجات التوعية بالمؤسسة وتخطيط الطوارئ . ولقد بنيت « مباراة الأزمة » Crisis Game على أحداث وثيقة الارتباط بما يدور في العالم ، وصمم التمرين حول أزمة مخترعة ، ولكنها مبنية على أحداث واقعية ، وتجري أحداثها في المستقبل القريب كزيادة القلاقل في بلد من البلدان تكون فيه المؤسسة هدفا للارهاب ، أو خطة اخلاء موظفين غرباء وعائلاتهم .

ويدور سيناريو « مباراة الاختطاف » حول مفاوضات الفدية المطلوب دفعها بعد اختطاف أحد مسئولى المؤسسة ، حيث يقوم المشاركون بدور

الأشخاص الوثيقي الصلة بالمشكلة التي سيجرى بشأنها اختيار خطة الطوارئ وتقييمها . ومن المستحسن أن تقوم المؤسسة بتدريب أبنائها على المهام ذات الأهمية الملحة والمقومات الخاصة بمفاوض الرهائن ، وقد تساعده مباداة الاختطاف على التعرف على أولئك الذين يتمتعون بالسمات الضرورية التي يجب أن تتوافر في أولئك الذين يختارون كمبعوثين للحصول على المزيد من التدريب والتجهيز .

ومباداة « سلب المنتوجات » موجهة لهذا الشكل الجديد نسبيا من الارهاب ، الذي ظهر حديثا ، اذ تتعرض المؤسسات المختصة بالأغذية ومستحضرات التجميل والأدوية الطبية للتهديد ، خاصة هذه الأيام ، فالى جانب الصناعات الكيميائية ومؤسسات الوقود النووي والوقود المستخرج من مخلفات حيوانية ونباتية، فانهم تحولوا جميعا الى أهداف للمتطرفين الذين ينتمون الى القاعدة العريضة للمحتجين باسم الحفاظ على البيئة والحركيين اليمينيين من المدافعين عن حقوق الحيوانات . وربما جاء التهديد بالسلب من عصابة إجرامية ترغب في ابتزاز إحدى شركات الأغذية أو بعض محلات السوبر ماركت . وربما تبع اختيار السيناريو طريقة مواجهة التهديد ، كما تكشف لخطة الطوارئ التي أدت الى مضاعفة الاجراءات الأمنية والردود على التهديد .

والمبادرات المنشطة للفكر من هذا القبيل لها قيمة كبيرة للمؤسسات وليس من بينها ما يحتاج الى مهارات متخصصة من المشتركين ، ويرى المؤلفان من واقع خبرتهما أن هذه المبادرات تثير مجادلات تساعد على تنشيط القدرات التوعوية عند المشاركين ، وأيضا على التعريف بصنع القرار ، ومن الحق أيضا ، أن بعض المشاركين يرون الضغوط من هذا النوع من صنع القرار مجهدة ، ويمتقدون أنهم عاجزون عن مواجهة التوتر والجهد المترتبين عليه . ان هذا ليس تصورا لقيمتها للمؤسسة . نعم ان بمقدور بعض المسئولين مواجهة ضغوط العمل ومسايرة خطواته ، ولكن عندما تكون الحياة في خطر فان المسئولية ستبدو لهم أنها فوق طاقة البشر .

١٨ - حل الأزمات

وليم بلونديل هو نائب الرئيس المسئول فى إحدى المؤسسات المتعددة الجنسيات بالولايات المتحدة ، ومقرها أطلانتا ، ولها قاعدة فى جورجيا . ولقد حصل على شهادة فى الجيولوجيا ، وعمره ثمانى وثلاثين سنة ، ومن النجوم الساطعة فى المؤسسة . وعرف عنه أنه قد استطاع التحليق عاليا منذ نعومة أظافره ، عندما شق طريقه الى الوظائف الادارية العليا ، بعد أن حظي بالرعاية التى أهلته لأرفع مناصب الادارة . ولقد أمضى الشهور الثلاثة الأخيرة فى شيل بناء على منحة مقلصة من أحد المناجم التى اكتشفت النحاس حديثا ، ومن المنتظر أن يعود للولايات المتحدة بعد أسبوعين . وقد لحقت به زوجته فى سانتياجو ، وتركها أطفالها فى رعاية والديها فى مدينة « الباسو » ، وصباح أمس اختطف وليم بلونديل ، بعد أن أرغمت السيارة الليموزين (شقروليه) التى تقله ويقودها سائق خاص ، على الانحراف عن الطريق ، ودفع بلونديل الى ترك السيارة والانتقال الى سيارة أخرى ، وذكر السائق فى شهادته للشرطة أن ثلاث سيارات وحوالى ثمانية رجال (منهم ثلاثة يرتدون أقنعة) قد اشتركوا فى الحادث .

وفى أزمات كحادث الاختطاف وطلب فدية من المؤسسة ، كثيرا ما تلحق الخسارة بأكثر من واحد من الأشخاص ، فالضغوط والتوترات التى تحدث للادارة العليا تفوق قدرة حتى أكثر المسئولين خبرة ، وتتسبب فى حدوث انهيارات عقلية وجسمانية . وتبدأ المشكلات على الفور ، وبخاصة للمؤسسات التى تفتقر الى الخبرة . فحتى أولئك الذين يتمتعون ببعد النظر الذى يدفعهم الى تعيين لجنة مدربة لمواجهة الأزمات سيكتشفون

أن ردود فعلهم الأولية بطيئة ومتردة الى أبعد الحدود ، لأن ما لا يخطر على البال قد حدث ، ومن ثم تجيء ردود أفعالهم مصحوبة بحالة ذهول من هول الصدمة . بيد أن هذه المرحلة المبدئية هي التي لها أهمية حيوية في حالة الرهائن . لأن أي رد متمهل قد يكون له أثر عكسي على فرص بقاء الضحية على قيد الحياة . ان لم يمتد هذا الأثر بحيث يساعد على إطالة ديمومة محتنته ، ورفق الثمن المحدد للفدية .

ولدى المؤسسات شركات أمن **top flight** « من أعلى المستويات » يلجأون إليها للاستشارة . وهناك عدد وفير ممتاز من مثل هذه الشركات بمقدورها تحمل أشد الأعباء ، وبخاصة عندما تخص هذه الأعباء مؤسسة كالمؤسسة التي يعمل بها بيل بلونديل ، والتي تواجه مثل هذه الأزمة لأول مرة ، ورغم هذا ، فإن كل ما يوسع المتخصصين في الأمن أن يفعلوه هو اسداء النصيح ، فليس بمقدورهم اتخاذ القرارات النهائية ، التي ستظل مسئولية الإدارة العليا . وهكذا شهدنا موقفا خطيرا من بدايته : مؤسسة متردة متقلبة متورطة في مواجهة أزمة ضد منظمة ارهابية تتميز بمهارتها ودعائها . وفوق كل شيء فإنها متمرسه في « لعبة » الرهائن . ولقد « انتقى » بلونديل بناء على عملية استكشاف ومعاينة قامت بها إحدى الخلايا . وانتشلت إحدى جماعات الاختطاف وأودع في مخبأ سرى تحت حراسة فريق من الحراس ، وفي الوقت نفسه ، قامت خلية التفاوض ، والتي تضم الزعيم - كما يظن - بمراجعة ما يجب أن تفعله وتقله . بينما يقف في الانتظار في الأجنحة بعض رجال يوصفون بأنهم « خلية جمع الفدية » . ولقد اشترك في عملية الاختطاف ستة من الارهابيين المهرة ، من أولئك الذين وهبوا أنفسهم لهذا العمل . وبعد أن انتهى المجلس من تعيين الـ **C.M.C.** ، قام أعضاؤه بتذكر ما تعلموه ، وبدأوا يعملون بكفاءة . وفي هذه اللحظة ، كان وليام بلونديل يمضي أول أسبوع من أمسيات الرعب .

والهمة الأولى لـ **C.M.C.** في أطلانتا هي تعزيز قوة المؤسسة خلال هذه الأزمة ، ولكي يتحقق لها أعظم قدر من الفاعلية رئي أن يظل فريق **C.M.C.** صغيرا بالقدر الضروري الذي يسمح له بانجاز مهمته . فليست هناك حاجة الى قدر كبير من الخيال لتقدير أن التباين في القدرات بين المؤسسة والارهابيين سيعرضها لمجازفة شديدة الوطأة ، وترى بعض مدارس الفكر عندما تتأمل التوترات التي لابد أن تحدث ضرورة أن يتألف فريق **C.M.C.** من شباب صغير السن ، يستبعد تعرضهم للانحياز من شدة الاجهاد .

ولنبدا بالتحدث عن تكوين فريق C.M.C. ، ولابد أن يكون رئيسه هو المسئول الرئيسى عن المؤسسة ، وأن يلزمه مساعده كطله . ولما كان الاثنان ، كما بينت الأحداث ، هدفين رئيسيين ، لذا يتعين أن يدركا بوضوح كيفية أداء فريق C.M.C. لمهمته ، وأن يكونا من المتمرسين المختبرين فى دورهما والتزاماتهما ، ويعد اختطاف « بلونديل » مسألة مؤسفة ومأساوية . غير أن الأزمة لا يجب أن يسمح لها بأحداث شلل فى المؤسسة أو ادارتها العليا . ولكى تتحقق هذه الغاية ، فإن الرئيس ومساعده لا يحضران اجتماعات C.M.C. بصفة دائمة . ولا يطلب منهما الحضور الا فى اللحظات الحرجة عندما تتطلب الأمور اصدار قرارات . ومع هذا فلا بد من بقائهما على اتصال بمرکز الازمات ، ولربما دعت الحاجة الى قيامهما بتنسيق جدول أعمالهما ومقابلاتهما وإعادة ترتيبه .

وستنطلق على العضو الرئيسى أو العمود الفقارى للفريق اسم « منسق الأزمة » وقد يرى بعض أن الأنسب هو قيام مدير الأمن بدور المنسق . ولكن هناك أسبابا اضطرارية مماثلة تثبت لماذا يتعين الابتعاد عن هذا الرأى ، فللمدير التزامات أخرى تشغل وقته ، خاصة بالأزمة ، وغير ذلك من الشئون . وبالإضافة الى ذلك ، فإن عمله يتطلب مفادته للرئاسة . ولعل اختيار أحد المسئولين القانونيين الرئيسيين هو أفضل اختيار ، وسيكون المنسق بمثابة سكرتير مسئول للأزمة ، حتى يتمكن من اجراء الاتصالات مع فريق التفاوض المخل فى سانتياجو ، وتحضير جدول أعمال C.M.C. وإخطار الرئيس بما يجرى ، وتسجيل القرارات التى يتوجب اتخاذها ، ويحتاج فريق C.M.C. الى خبير قانونى ، اذ قد تكشف المسئولية عن المؤسسة أنها ميدان ملغم ، عندما تعرض صحة العاملين وأموالهم للخطر ، وهناك مضاعفات قانونية تحتاج معالجتها الى قدر من الأناة والحكمة .

والمستشار المالى ضرورى لاجراء ترتيبات دفع الفدية . فمن المتوقع أن يبالغ المختطفون ، فيما يطالبون من مال ، ويستغرق عملية المساومة وقتا طويلا وأخذنا ورضا . ويتعين مراعاة الحرص والكتمان عند دفع هذا المبلغ ، حرصا على سمعة المؤسسة ، وهذه ناحية فائقة الأهمية . ومن الأعضاء الدائمين فى فريق C.M.C. ، متخصص فى مسائل الأفراد والشئون الانسانية ، لكى يكون مسئولاً عن المسائل الأسرية ، وما يتبها من مشكلات خاصة بالعاملين . والمسز « كاترين بلونديل » مقيمة قوية الشكيلة شديدة المراس . وهى الآن مشردة فى بلد أجنبى . فالأطفال يقيمون فى مدينة « الباسو » تحت رعاية والديها . وواللها حديث التقاعد ، وكان من جنرالات القوات الجوية ، وله العديد من الأصدقاء بواشنطن .

وحتى الآن ، لم تصل أنباء الاختطاف الى الصحف وأجهزة الاعلام ، وعندما تصل هذه الأخبار ، يجب أن توكل نواحي العلاقات العامة لشخصية مقتدرة ، وكما رأينا ، فإن الصحف مغرمة بأحداث الاختطاف ، وتتطلب هذه الناحية سيطرة لبقة من البداية ، حتى لو كان الدافع لذلك الحرص على مساندة الصحافة للمؤسسة ، ويطلب مدير الأمن في فريق C.M.C. بتنسيق احتياجات الأمن في المؤسسة في شتى الأنحاء . ولا يعترف الارهاب بأى حدود بين الدول . ويجرد شيوع خبر الاختطاف ، هناك احتمال خطير بحدوث عمليات اختطاف أخرى ، اما من قبيل التقليد ، أو لتضخيم قدرة الجماعة الارهابية الأولى على المساومة . وأخيرا ، وإن كان هذا العامل ليس أقل العوامل أهمية ، فإن خبر التفاوض يجب أن يشترك بصفة جوهرية في فريق C.M.C. وتتركز مهمته على اسداء النصص للشرطة والفنيين . وفي الوقت نفسه ، سيوفد مفاوض آخر الى سانتياجو للعمل الى جانب L.N.T. .

وعندما يمارس الفريق الأساسى ل C.M.C. عمله ، فإنه سيحتاج الى مساندة ادارية ولوجستية يجب أن تشتمل على ومائل تأمينية مستقلة للاطمئنان على امكان الاتصال بسانتياجو . وبحكم اقامة فريق C.M.C. في بناء يتمتع بالكفاية الذاتية بحكم عمله كمقر لرئاسة المؤسسة ، فإنه سيتمكن من العمل وتناول وجباته والاستراحة بغير تدخل في شئون المؤسسة ، وبغير تدخل من المؤسسة في شئونه ، وهذا هو الأهم ، ويحتاج الفريق الى مجموعة صغيرة منتقاة من الاداريين أصحاب الصحافة للعمل كسكرتيرين وملاحظين للاطمئنان الى تكامل عملهم . ولا داعى لزيادة التأكيد بأن الانتباه لمثل هذه المقائق ضمن مخطط الطوارئ سيساعد على زيادة كفاية « صنع القرار » ، بعد التحرر من الأعباء غير الضرورية والمواقف التي تعوق الفريق عن أداء مهمته .

وقد يحتاج فريق C.M.C. الى مشورة تفصيلية وفنية لتعريفه بالأحوال في سانتياجو ، والموقف الأمنى الشامل للارهاب في شيلي . وكان من الواجب أن تكون هذه الحاجة قد أدركت من بواكير عملية التخطيط للطوارئ ، وأن تكون أسماء المتخصصين المطلوبين قد عرفت . وبالمقدور أن يكونوا من كبار المسئولين المتقاعدين حديثا ، الذين خبصوا في شيلي ، أو من أصحاب الالام بشئون التخطيط للطوارئ ، أو الذين قاموا بجولة كاملة في المنطقة ، أو أحد المتخصصين الجامعيين . وليس مثل هؤلاء الخبراء في الأحوال العادية من الأعضاء الكاملين في قوة الفريق ، وإن وجب أن يكونوا على مقربة منه ، حتى يستطيع استدعاؤهم والاسترشاد بأرائهم ..

وربما تكون L.N.T. قد تأهبت للتحرك على هذا الوقت ، وتمكس L.N.T. بـقياس مصغر عدداً من المهام التي تضطلع بها رئاسة المؤسسة . وهكذا سيرأس L.N.T. رئيس معاونات ما وراء البحار ، الى جانب مساعده ، وسيكون هناك منسق واحد للمامين ، وسيجري المتخصص الأمنى اتصالات بالجهات القانونية ، ويوجه انتباهها الى حماية العاملين الأجانب في الموقع ، والشركة المعاونة في سانتياجو من المشروعات المشتركة التي يراعى في رأسمالها وادواتها أن تحصل شئيل على النصيب الأكبر ، وللجهات الشيلية المسئولة دور مشارك ، وان كانت هناك أسباب وجيهة تدعو الى علم السماح لمبادئها باقحام نفسها . ولو صبح ذلك ، فانه يتعين أن يشترك في L.N.T. عضو اضافى يعمل كضابط اتصال، يساعد على حل الأزمات التي يثيرها الجسجاعون الفارغون ، مع الحرص على الاستعانة - عن كئب - بالمحليين .

ويتولى المفاوض في L.N.T. الجوانب التي تتطلب التبصر واللباقة فلقد احتجز بلونديل في مكان مجهول ، وانتقلت المبادرة كلية الى المختطفين . فهم الذين سيبدأون الاتصال ، اما عن طريق مكالة تليفونية قصيرة ، أو ربما بنشر اعلان في الجرائد . ولا ينتظر أن تطول هذه المكالة ، وان كان المفاوض مضطرا الى البقاء بجوار التليفون طيلة الساعات الأربع والعشرين ، وفي مثل هذه المواقف ، وفي الحالات التي ينتمى فيها هذا المفاوض الى هيئة متخصصة في الاستشارات ، فان هذه الهيئة ستجري خلسة نوبتجة للمفاوضين ، فيكلف كل مفاوض بالعمل في دورة تستمر ثلاثين يوما ، يحل مكانه آخر بعد انتهاء دورته .

فما هي غايات المؤسسة ؟ واذا أتبعنا السابقة التي وضعتها حكومة الولايات المتحدة ، سيكون من الواجب اتباع السياسة التي أعلنتها على الملأ بعدم التنازل امام مطالب الفدية . ولقد اتخذ المسئولون هذا القرار دون مبالاة بما يدور في الواقع . فهل يؤثر حادث اختطاف د ولیم بلونديل ، ويحث على تغيير هذه السياسة . بعد أن تعرضت حياته للخطر ؟ لعله من دلائل بعد النظر ، ومن الأسيلم أن ترفض المؤسسة دفع أى مال يطلب منها ، ما دامت لا تخشى من أى حملة تشهير ، وأن تبدي استعدادها لو اقتضى الأمر الى التضحية بـ بلونديل . فيمجرد ارتضاه المؤسسة الدفع ، فانها ستتعرض لخطر تحول مسئوليتها الى أهدافا لاعتداءات أخرى ، فاین هو الحد الذي يمكن التوقف عنده اذن ؟

وليس دور الكتاب إصدار الأحكام الأخلاقية ، كما أنه ليس من المعقول إقامة قواعد صلبة قاطعة قد تدعو الظروف - بلا تردد - الى خرقها ، وتقديم تنازلات . وبعد هذا الاستطراد نقول ان المسئول الرئيسى قد ابلغ C.M.C.

بالتفاوض على دفع فدية أقل أملا أن يساعد كسب الوقت على إتاحة الفرصة
للمثور على بلونديل ، وبذلك تتحقق عملية الإنقاذ ، أو يقبض على المختطفين
عندما يحضرون لاستلام الفدية •

ولدى بعض المؤسسات صكوك تأمين لمواجهة مثل هذه الأحداث
الطارئة ، كالاختطاف والفدية ، وفي مثل هذه الحالات تخرج العملية برمتها
من أن الرئيس المسئول قد أمر بإجراء دراسة فورية لمعرفة إمكان اتباع
من أن الرئيس المسئول قد أمر بإجراء دراسة فورية لمعرفة إمكان اتباع
هذه الوسيلة !) • ومن هنا ستحتاج C.M.C. إلى تحديد أقصى مبلغ ،
يمكنها أن تنصح بدفعه ، والحد الأقصى المعروف هو ستون مليون دولار
في أمريكا اللاتينية أيضا •

وفي الوقت نفسه ثمة عدد من الأسئلة الأخرى ، التي تقتضى الضرورة
قيام C.M.C. بتوجيهها ، وأيضا التوصيات (التي سترفع إلى الرئيس
لاصدار قرار بشأنها ، وتدور هذه الأسئلة والتوصيات غالبا حول مقدار
الخطر الذي ستعرض له المؤسسة من جراء هذه الأزمة • وما هي الآثار
الترتبة على اختطاف « بلونديل » على المظهر العام للمؤسسة وسمعتها
ورأس مالها ؟ وما هو أثر الحادث على مستويات العاملين ، وبخاصة
الأعضاء الأجانب ؟ ولومات « بلونديل » ، فإن الموهوبين سيفقدون البلاد،
وستصاب المؤسسة بخسائر ؟ • وما هو نصيب I.N.T. من المقردة
والهارة ؟ وما مدى الوثوق في قدرات العاملين في I.N.T. وما هو مقدار
العون الذي يمكن تقديمه باطمئنان لمتابعة عملية إطلاق سراح بلونديل •
ولعله من الأفضل إجراء اتصال تليفوني فورا بالمفاوض في سانتياجو
لتحويل الاعتماد من الاحتياطي المالي للمؤسسة على أن يخضع المبلغ من البند
المخصص للإعلانات •

وما الذي يتبع حيال كاترين بلونديل ؟ وليست هناك قواعد قاطعة
تراعى في مثل هذه الحالات ، وإن كان الأفضل - فيما يحتمل - أعادتها
جوا إلى بيتها على أول طائرة ميسورة ، والزوجة (والأسرة) معرضة
لخطر مباشر ، إذا حدثت عملية اختطاف تكميلية تقوم بها الجماعة الإرهابية
لتنضيم قدرتها على المساومة ، أو يقوم بها آخرون من باب « التقليد »
وإذا استطاعت الطائرة النفاثة للمؤسسة نقل المفاوض إلى سانتياجو ،
فانه سيحتاج إلى فسحة من الوقت لمقابلتها ، ويكون بمقدورها بعد ذلك
الرجوع على نفس الطائرة ، وهناك خط لاحق هو احتمال سهولة تدخل
الأسرة ، والتي ترمى في المقام الأول إلى إطلاق سراح « ننوس عينها » ،
أو قد تسعى للقيام بعملية ضغط عن طريق أجهزة الاعلام أو المؤسسة •

وبذلك ستواجه C.M.C. « ما هو أكثر مما يكفيها » ، ولن تكون بحاجة الى زوجة عاطفية أو مهووسة تضيق متاعب جديدة الى متاعبها . وهناك العديد من الأحداث التي أدت فيها مثل هذه التفجرات ، التي لا تحدث في وقتها المناسب - الى زيادة الأوجاع ، وربما كان لها دور في مصرع الضحية . فلا أحد ممن يتبادرون الى خاطرنا سيساعد على حل المشكلة .

وستنقل كاترين بلونديل الى بيتها جوا ، وتعود الى أطفالها الذين سيؤمن ملاذهم ، وستستأجر بلونديل في كيفية استقبالها لزوجها عند عودته ، وستسأل بوجه خاص عن كيف تساعد في البرء من البلى التي لحقت به في محنته . وهذا مدخل ايجابي وحساس يتيح للأسرة التفكير في وضع مخطط للمستقبل . ويتعين أن يكون لدى المؤسسة مستشارون متخصصون كملء النفس مثلا ، بمقدورهم تقديم العون بأن يكونوا قريبين من الأسرة الى أن يتم حل الأزمة دون القيام باتصالات بدافع الفضول .

ويتوجب إرفاق مثل هذه القرارات بمخطط الطوارئ ، وأن تكون من بين التعليمات المقتضية التي يتسلمها العاملون قبل قيامهم برحلة عمل خارج البلاد . وسيكون وليم بلونديل أقدر على مواجهة محنته اذا عرف أن زوجته قد طازرت جوا الى بيتها على الفور ، وأن هناك نفرا من المؤسسة قد كلفوا بالعمل لانقاذ أسرته .

هل يجوز اخطار الاعلام والصحافة قبل استماعهم هم أنفسهم الى اخبار الحادث ؟ ومرة أخرى ، ان الكثير يتوقف على الظروف . ففي أوروبا الغربية والولايات المتحدة ، حدثت جملة حالات وثقت فيها السلطات الرسمية بالصحافة وناشدتها التعاون معها وتحقق ذلك . وعندما تكون حياة شخص ما في خطر فليس هناك ما يحول دون الوثوق في الصحافة المسئولة . ولكن في حالة وليم بلونديل ، فأننا لا ننسى أن أمريكا اللاتينية بلد مشهور بالأفانين والصوص . فشيلي ديكتاتورية وخشية ، وإن كانت ادارتها بعيدة عن الكفاءة ومعروفة بالغلظة ، وتتمتع الرقابة الصحفية فيها - على نحو أو آخر - بسلطان كبير ، ومن ثم فإن التعاون رغم ما يشوبه من أخطار ربما يكون متوقفا .

وبمجرد تسرب حكاية بلونديل ، أصبح من الحيوى الاطمئنان الى وضوح جميع البلاغات والتصريحات الرسمية التي تعطى للمخبرين الصحفيين ، مع التأكد من دقتها . وينبغي أن يدرك هذه الناحية المتحدث باسم المؤسسة التي يختار لهذه المهمة . ومن ثم فمن واجبه ألا يذكر شيئا عما تشتم منه روح المشاكسة ، أو يسمح بأي شيء يضعف فرص النجاح .

وبينما توضع الخطوط الإرشادية التي رسمتها C.M.C. موضع التنفيذ سيقوم المفاوض بالتوجه الى « سانتياجو » للاتصال بالارهابيين ، وقد يضطر للانتظار طويلا ، اذ تنزع بعض الجياعات الارهابية التي تضم عتالة من المحتكين في هذه العملية الخسيسة الى اهمال القيام بالاتصالات شهرا أو يزيد ، وعندما يحث اللقاء ، سيفقد دور المفاوض اهم الأدوار ، لأنه سيكون أقرب الى المستول مسئولية كاملة . وقد تتخذ الضغوط - بكل سهولة - بعدا مضجرا حقا . فالضغوط السيكلوجية ما أكثرها ، ولا يصح استبعاد احتمال تعرض حياة « بلونديل » للخطر ، والمفاوض شخص يملك مميزات خاصة ، وفي حالة بلونديل ، فانه سيزود بمعلومات حسنة عن أحوال سانتياجو ، لأنه أثناء عملية التفاوض هو والمختطفين ، سيقوم بالبحث أيضا عن بينات تساعد على الكشف عن مواضع اختبائهم ، فعليه أن يعرف جغرافيا البلد وشعبها ، وأن يتقن لغتها ، ومن الشروط الانسانية، أن يكون المفاوض شخصية لامعة ذكية وبقطة ، لديها القدرة على اكتشافه أي منفذ ، وأي فرصة ، ولو كانت هينة ، يستطاع استغلالها لصالحه وتساعد على الافراج عن بلونديل في أقرب فرصة .

وليست هناك أية قواعد فاصلة وقاطعة ، اذ يحتاج كل حادث احتجاز رهائن الى الحكم عليه تبعا لظروفه ، وإن كانت هنالك عادة ثلاث مراحل تمر بها المفاوضات ، ففي المرحلة الأولى ، سيكشف مفاوض الارهابيين عن شيء من العدا والفتور ، ولو أنه سيلتزم الهدوء والايجابية ، وسيحرص على علم الهياج . والمكالمات التليفونية في هذه المرحلة قصيرة حادة ، وتتجه اتجاهها مباشرا نوعا الى الموضوع ، ونادرا ما تدوم أكثر من دقيقة واحدة : (« اننا نريد كلنا دولار - لا تتصل بنا الا ومعك المبلغ كاملا - » لا تضيع وقتنا - « مع السلامة يا أخ ») .

وفي المرحلة الثانية ، سيكون الطرفان قد اتفقا على ما يصح اعتباره نقلة طويلة المدى ، ويسمى المفاوض لاقامة حوار مع الارهابي ، وتيسر له شخصيته الجذابة الودودة . اقامة علاقة طيبة ، وباشعار الطرف الآخر بالاستهواء نحوه حتى في مثل هذه الأحوال المجهدة المقرفة . فالمفاوض شخص لا يكل ولا يمل . فهو يحارب معركة تكتيكية ، وعليه أن يتوقع ازدياد اضطراب الارهابي ، وأنه كلما طالت المدة التي تستغرقها الحادثة ازدادت فرص الاكتشاف . وفي حادث الاختطاف ، تكون مهمة المفاوض هي المطالبة بتخفيض المبلغ المطلوب كهدية - بمقدار مليون جنيه على سبيل المثال - أي الى « حد يمكن قبوله » . ويتحقق ذلك اذا خفص الطرفان من المقدار الذي كانا يتوقعانه ، ولو توافرت الخبرة للعصابة ، والكثيرون منهم كذلك ، سيكون الطرف الممثل للخاطفين على بينة كاملة بالحركات التكتيكية

المتاحة للمفاوض ، عندما يذكر لهم أنهم قد أساءوا تقدير درجة ثراء الأسرة أو المؤسسة ، وإذا بالغت العصاةة في مطلبها ، وأسرت خطاها ، فإنها ستضطر إلى المخاطرة بانقاص ما تطالب به إلى نصف المبلغ المطلوب ، أو ربما ثلثه . وإذا خفض المفاوض المبلغ كثيرا ، وتسرع في الاعلان عن عطائه ، فإنه سيعرض المختطف لخطر الضرب أو الإصابة .

وخلال هذه المرحلة الطويلة ، يطالب المفاوض المختطفين « باثبات لوجود الضحية على قيد الحياة » . وسيكون المفاوض أثناء أحاديثه وكاترين بلونديل قد عرف بعض أشياء لا يعرفها أحد غيرها وغير وليم كذكري محببة لهما ، ونعمة موسيقية مرتبطة بحياتهما ، وربما اسم دلح مستحب ، وبالقدور تقديم هذه المعلومات للمختطف كسؤال لا يعرف إجابته أحد غير بلونديل . ومن الوسائل الأخرى التي يمكن أن تتبع: طلب صورة فوتوغرافية لبلونديل وهو يقرأ الجريدة ، عليها مائشيتات يمكن التعرف على تاريخ صدورها . وتكمن المشكلة المترتبة على هذا المطلب في كون الصورة الفوتوغرافية كدليل مسألة لا تخلو من شيء من الخطورة ، فثمة حالات قتل فيها الضحية في مرحلة أبكر وصور وهو جالس وفي حالة تجمع ، ثم صور بعد ذلك بانتظام باستعمال كاميرا « بولارويد » وكأنه يقرأ الجرائد اليومية . كاثبات لوجوده على قيد الحياة . وربما بدا أن الأسئلة هي أفضل وسيلة لانتزاع برهان يثبت أن الضحية ما زال حيا ، ولكن من المستحسن في هذه الحالة عدم المطالبة بتواريخ للاثبات ، لأن الضحية يكون في حالة توتر شديد ، وربما لا يتذكر مثل هذه التواريخ . وفي بعض حالات ، يتطلب الإرهابيون شيئا من الانساع لأرغامهم . وقد يتحول بلونديل إلى قلعة من قطع الشطرنج في اللعبة السياسية . وربما ترسل صور فوتوغرافية أو شرائط فيديو للصحافة يدفعها إلى النظر إلى بلونديل « كرمز للاستبداد الرأسمالي » . ويتخذ هذا التصور عنرا أو ذريعة لاطلاق سراحه ، وكاثبات قاسي للنظم الشيلى .

ويحتاج المفاوض إلى تعاليم دقيقة للغاية في كل مرحلة من مراحل العملية . وعلى الرغم من تمتعه بالمسؤولية كاملة ، إلا أنه لا يملك السلطة الكافية لصنع القرار أو اتخاذ ، فليس بمقدمه التسليم بما يطلبه المختطفون . وفي مختلف الأحوال ، سيتخذ رده عليهم صيغة قريبة مما يأتى : « اننى أفهم ما تقولون . ولكن عليكم أن تقدموا موقفى . فإنا لا أملك الحق في الموافقة على مطالبكم ، فدعوني أبحث عما يؤسنى . أن أفعله ، وسأتحدث معكم في ذلك في المرة التالية عندما نتقابل . » .

وفي نهاية الأمر ، وقد يحدث ذلك أحيانا بعد شهر ، تدخل المفاوضات مرحلتها الثالثة والأخيرة . وإذا سار كل شيء وفقا للخطة

الموضوعة ، سيكون المفاوضات قد ازداد اقترابا من التحكم في المفاوضات ،
فيما يتعلق بمقدار الفدية وطريقة دفعها . ولا يستبعد ان تكون الشرطة
اعتمادا على شبكة استخباراتها ومصادرها قد استطاعت تكوين صورة
دقيقة وواضحة نوعا اولئك الذين تقف ضدهم . والسؤال الخاص بـ دور
الشرطة وقرض القانون من الأسئلة المعقدة ، ففي حالة بلونديل ، فقد
اشتركت الشرطة من البداية . اذ كانت عملية الاختطاف معروفة للكافة .
وفي حالات أخرى ، عندما توجد خطة فعالة للطوارئ ، استطاع معرفة
الكثير عن مدى الاتكاء على الشرطة وكفايتها ، فحتى في حالة بلونديل ،
لم تكن هناك حاجة الى اشراك الشرطة اشرافا كاملا ، لو كان هناك ارتياب
في قدرتها ، وبلاستطاعة دعوة ممثلها لحضور الجلسات الخاصة التي
تعقد في مقر I.N.T. ، ويستحق الذكر ان الشرطة رغم تطلعها الى تأمين
الافراج عن وليم بلونديل ، الا أنها كانت تتبنى أغراضا أخرى ، ليس
أقلها شأنا القضاء على الارهابيين . وما أسهل تدخل المؤثرات الثقافية التي
ترجع الى الفيرة والتنافس بين الشخصيات . ولا ننسى أن التنافس والتشابك
بين مهمة الشرطة ومهمة الجيش قد يساعد على تعريض العملية للخطر .

ويحتاج جميع الفدية الى بعض الوقت . فلقد طالب الارهابيون بمبلغ
خمسة ملايين من الدولارات ، تدفع ورقا من الفئات الصغيرة ، وبالرغم من
ضخامة عدد الأوراق النقدية المطلوبة ، فإنه لا مناص من تسجيلها ، ومن ثم
يكون التعاون بين الشرطة والبنك أمرا ضروريا . ان فدية بهذا المقدار
مستكون أمرا جسيما . واذا جمعت في « باكوات » من فئة الدولارات
الشر ، فإنها ستزن قرابة نصف الطن . ويحتاج تجهيز المبلغ الى بعض
الوقت . ويتعين تأمين وصوله حتى يتفق على طريقة استلامه ، وربما تطلب
الموقف الامتئانة بمتطوعين لتسليم الفدية . ويجب أن يكون عندهم
اثني .

وبقي التيقن من حل تعمد الفدية أمرا مشروعا في نظر القانون .
السؤال ؟ ففي بعض البلدان من المحظور دفع الفدية ، وهذا يعني وجوب
اجراء الدفع في بلد ثالث ، أو يستعان بالشرطة بأمل أن ينظر الى دفع
الفدية - من جانب - كوسيلة لاختاد حماس الارهابيين ، وبلاستطاعة
محاولة الدفع عن طريق خيلة يراعى الحرس في تنفيذها ، وان كان مثل
هذا الاجراء محفوفا بالمخاطر ، لأن جميع المشاركين ابتداء من الشركة موضع
مراقبة الشرطة ، وتتخذ الفدية عادة شكل مبلغ من المال يتم دفعه . غير
أنه لا يلزم أن تتخذ الفدية هذه الصورة وحدها ، فعندما تكون الغاية الاولى
من الاختطاف سياسية ، فان الموقف قد يكون أشد تعقيدا من ذلك .
فهناك مطالب ارحابية خاصة قد تتضمن الافراج عن رفقائهم السجيناء .

ويخلق هذا المطلب بصورة تلقائية مشكلات للحكومات ، وبناء على ذلك .
ستضطر C.M.C. في اطلانتا الى الاتصال بواشنطن وسانتياجو ، وكذلك
بالارهابيين من خلال I.N.T. الممثل لهم ، ويرغب المختطفون السياسيون
القيام بدعاية لاثارة المخاوف ، ولايات عجز الحكومة ، وكسب أنصار
لنقضيتهم . وفي إيطاليا ، طالب الارهابيون بفدية مؤداها تخفيض الاجارات
المستحقة على قراء نابل . وفي بعض الأحيان ، يكون تحقيق المطالب
السياسية انتصارا كافيا ، ويصبح الرهائن مجرد زوائد لتعزيز مطالب
الارهابيين . ولقد ذبح السياسي الايطالي ألدو مورو بوحشية ، عندما لم
تبق له فائدة تقييد الارهابيين .

ويساعد تدخل الحكومة على تسوية الأزمة ، وما لم تتوفر للمؤسسة
الجرأة والخيال والتصميم ، فانها ستخسر في مواجهتها للمؤامرات
والدسائس الدبلوماسية الدولية . وعندما تصبح المسألة برمتها علنية فانها
ستثير مشكلات مترتبة على دعايات أجهزة الاعلام الصاخبة ، ويطلع كل
من هب ودب على مكتونات صدور الآخرين ، ويتحول وليم بلونديل الى
رهينة في لعبة السلطة . وفي مثل هذه الحالة يتحتم أن لا يفيب عن فطنة
المؤسسة غايتها الأصلية . فهي تود أن يعود وليم بلونديل الى داره في
أقصر وقت مستطاع ، مع دفع أقل مقدار من الفدية ، وأن يبقى متمتعاً
بقدر كاف من الصحة الذهنية والجسدية التي تساعد على استئناف عمله
بأعظم قدر يعود بالنفع ، وربما احتاجت المؤسسة لتحقيق هذه الغاية الى
تمنية قواها والاستفادة بتأثيرها على الادارة الأمريكية ، ولا بأس من الاستعانة
في هذا الشأن بحمو بلونديل ! فهل عاد وليم بلونديل الى داره ، أى الى
كاترين وأسرته في « الباسو » ؟ تبين الاحصاءات أن فرص تحقيق هذه
الغاية وعدم تحقيقها في أفضل الأحوال متساوية ، فاذا أمكنه أن يستأنف
عمله ، وأن يحقق إمكاناته ، فانه سيثبت أنه الانسان القادر بمسلكه ومرونته
على التغلب على محنة عاتية .

١٩ - الدبلوماسيون والارهابيون

[كل ما نصبو اليه هو أن يتوافر لنا الحظ ولو مرة واحدة ، أما ما أنتم بحاجة اليه فهو أن تنعموا بالحظ دوماً]
الجيش الجمهورى الايرلندى PIRA أكتوبر ١٩٨٤ •

فى السنوات الأخيرة ، انفرد الدبلوماسيون بهجمات الارهابيين لهم • ويرجع ذلك بوجه خاص الى شخصياتهم ، والى ما يشغلون من مناصب • والأدوار التى يؤدونها • وفى السنوات التى أعقبت ١٩٦٧ بعد حرب يونيو التى غيرت ميزان القوى تغيراً جذرياً فى الشرق الأوسط ، أصبح الارهاب مصدر تهديد أعظم • فمنذ ذلك الحين ، تضاعف أحداث الاعتداء على الدبلوماسيين خمسة أضعاف ، وعانى مئتين مائة واثنى عشرة بلداً الى حد كبير •

وفى أبريل ١٩٨٣ ، هوجمت سفارة الولايات المتحدة فى بيروت من قبل جماعة الجهاد الاسلامي باستعمال سيارة انتحارية مفخخة • وسجلت هذه الحادثة رقماً قياسياً آخر فى تصاعد هذه الموجة • ولقد نشرت حكومة الولايات المتحدة فى تقريرها الاحصائى عن أحداث الارهابيين التى انصبت على الدبلوماسيين والسفارات احصاء آخر يتساوى فى رصانة لهجته • فلقد اغتيل عشرون سفيراً يتبعون أربع عشرة دولة ، واختطف دبلوماسيون من ثلاث وأربعين دولة • وليس هناك ما يدعش فى معرفة أنه منذ قيام الحشود بالاعتداء على السفارة الأمريكية واحتجازهم للرهائن ، قد ازدادت

على نحو مأسوي أحداث احتلال السفارات من قبل الجماعات الارهابية والأحزاب السياسية ، فلقد تم احتلال سفارات خمس وأربعين دولة ، وبلغ مجموع الهجمات خمس وسبعين هجمة ، وتمثل هذه الأرقام ارتفاعا يبلغ ٥٠٪ منذ حادث السفارة الأمريكية بتهران ، وفي تقرير آخر ، ذكر مكتب مكافحة الارهاب في دراسته « للأحداث الارهابية الموجهة للدبلوماسيين » ، أن هذه الاعتداءات التي بلغت سنة ١٩٧٥ ٣٠٪ من جملة الأحداث الارهابية ، قد قفزت الى ٥٤٪ بعد ذلك بعشر سنوات .

واليوم يعد الدبلوماسي أحب الأهداف المفضلة للارهابيين . وليس من العسير تبين سر ذلك ، فالهدف الأولي للارهابي هو اذاعة أخباره على نطاق واسع من باب الدعاية ، ويساعد الاعتداء ضد طائفة الدبلوماسيين على اشباع هذه الحاجة اشباعا كاملا ، والاعتداء على الدبلوماسيين انتهاك صارخ لاصول الحصانة الدبلوماسية ، وتقاليدها ، ويثير اهتمام المجتمعات التي ينتمون اليها ، ويحفز لاثارة أزمة مباشرة بين الحكومات . وتعتمد الحصانة الدبلوماسية على الأعراف والعادات التي تحولت الى أسس متفق عليها ، وتعتمد أيضا على القانون الدولي . وقد ناقشنا بمضامنا بالفعل . وقائمة اللوائح التي تنظم سلوكيات التعامل بين الدول باللغة التأثير :

★ اتفاقية فينا عن العلاقات الدبلوماسية .

★ اتفاقية فينا عن العلاقات القنصلية .

★ الاتفاقية الخاصة بالامتيازات والحصانة في الأمم المتحدة .

★ الاتفاقية الخاصة بتحريم ارتكاب أية جرائم ضد الأشخاص الذين يهتمون بالحماية الدولية ، بما في ذلك الممثلون الدبلوماسيين ، وتحريم أية عقوبات توقع ضدهم .

فمتى بدأ كل هذا ؟ ، بطبيعة الحال ، ان احتجاز الرهائن عادة ترجع الى العصور الفارسية ، وبلاستطاعة تتبع أصولها منذ أقدم العصور عندما كان زعماء القبائل يقبضون على أطفال إحدى القبائل الخاضعة لهم ، لضمان حسن سلوك أبناء هذه القبيلة . ويكاد يتشابه منح الحصانة لممثل الدول الأخرى في عراقتهم وما نصت عليه التقاليد الحربية المقدسة التي كانت متبعة في معارك الماضي بخصوص سلامة السلوك .

ومن ناحية أصل الحصانة الدبلوماسية بالمعنى الذي نعرفه الآن ، فباستطاعة المرء أن يصادفه في التاريخ الانجليزي اiban حكم الملكة آن (١٦٦٥ - ١٧١٤) ، ففي هذا العهد ، نرى أول حادثة مدونة ، تم فيها

اعفاء الدبلوماسيين من الخضوع للقانون المدني ، ومنها تعرف لماذا لا يدفع دبلوماسيو هذه الأيام أية غرامة نظير الاسراع ، ولماذا لا يفرمون اذا أوقفوا سياراتهم في أماكن محظور الوقوف فيها . ولقد أنزل الأفاقون الذين استأجرهم دائئو المندوب فوق العادة ليقصر روسيا هذا المندوب في جملة مناسبات من عربته ، وألقوا به في سجن « نيو جيت » لعدم دفعه الديون المستحقة عليه ، وفي ثالث مرة أسى فيها لسعادته على هذا النحو ، سن التاج البريطاني قانونا عرض على البرلمان (اذ كانت حسن النية الروسية أمرا يهم المصالح البريطانية وتجارة الأخشاب ، بعد أن تعرضت إنجلترا لبعض المشكلات ، في علاقتها مع السويد) ، ونص هذا القانون على أن كل من يحدث مناسبا عن طريق الكتابة أو الفعل ضد أى سفير أو معوض أو أحد من خلمه الخاص « يعد معتديا على قانون الأمة ومخلا بالسلام العام ، ويعاقب تبعا لذلك » .

وربما كانت الحصانة الدبلوماسية ضد القانون الجنائي أقدم عهدا ، فابان الحكم الطويل للملكة البروتستانتية اليزابت الأولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣) تآمر سفيرا صاحبى الجلالة الملكين الكاثوليكين لفرنسا واسبانيا لاسقاط الملكة وقتلها ، وأقدم خلفاؤهما على القيام بهزئة مماثلة خلال عهد الكومونولت لأوليفر كرومويل بعد ذلك بنصف قرن ، واكتشف الجهاز السرى الانجليزى آنئذ المؤامرات ، واقتضح أمر السفيرين . وعلى الرغم من القبض عليهما متلبسين بجريمة الخيانة ، الا أنه اكتفى بإعادتهما الى بلديهما . ولم يشترك في حسن الحظ شركاؤهم الانجليز في التآمر . اذ قطعت رؤوسهم ، وشيعوا الى مثوانهم الأخير وسط صيحات السخرية والاستهزاء التي قطعت الصمت الرهيب المطبق على برج لندن .

واستمرت ممارسة الحصانة الدبلوماسية عهدا طويلا للشاية . واستطاعت الصمود في وجه التغيرات الكبيرة - وإن لم تكن ثورية - في النظام الدولى . ولابد أن يستحق الثناء العام أى عرف أو تقليد اذا استطاع أن يستمر في البقاء وسط هذه التغيرات . وترجع قيمته الى مبدأ المعاملة بالمثل ، فالدولة تمنح الحصانة لمثل البلد الآخر ، وتعرض للمعاملة من أية أوضاع غير مناسبة أو مستحبة تنجم عن ذلك في نظير أن يلقى ممثلوها في الخارج نفس المعاملة والحريه .

والدبلوماسيون فئة مميزة ، لأنهم لا يخضعون لقوانين البلد الذى يعملون فيه ، وذلك لأنهم ممثلون لبلادهم ، وإن كانوا غير مسؤولين عن أفعالها ، وما بدا مثيرا للهلح في حادث السفارة بطهران ، وأدى الى احتمال زعزعة السلام والاستقرار الدوليين هو أن الدبلوماسيين الأمريكين

قد جرموا على سياسات المسئولة عنها هي الولايات المتحدة ، وكان استلوب القبض عليهم واحتجازهم من الأفعال التي رفعت الارهاب الى مستويات أعلى . فقد أقيمت في العلاقات بين الدول . وفي هذه الأيام يندى الارهابيون احتراما هينا للحصانة الدبلوماسية . وإذا لم يعد الدبلوماسيون يلقون احتراما بحكم مناصبهم ، فانهم سيضطرون للبحث عن وسائل أخرى لحمايتهم .

وفي لندن تقع هذه المهمة على كاهل « المجموعة الملكية لحماية الدبلوماسيين » (*) وتتبع شرطة المدينة ، وتتلقى المساعدة اذا لزم الأمر من قوات الأمن ، ومن الوحدة المنتقاة لمكافحة الارهاب « لواء الخدمات الجوية الخاصة » . ومهمتها من المهام الرهيبة ، التي تكاد تكون مستحيلة . ففي الوقت الحالي ، يوجد أكثر من خمسة آلاف دبلوماسي ، فإذا أضفنا إليهم عائلاتهم ، فاننا سنكون ازاء عشرين ألف شخص يتطلبون الحماية . وعلى الشرطة أيضا حراسة أكثر من أربعمائة وستين مبنى تنتمي للسلك الدبلوماسي . وفي نيويورك مقر الأمم المتحدة ، وفي واشنطن التي تعد العاصمة الدبلوماسية للعالم ، ربما كانت أعداد الأشخاص والأبنية التي تتطلب الحماية أكثر من ذلك . فإذا تركنا الاحصاءات جانبا ، سنرى أن الدبلوماسيين وسفاراتهم يخلقون لقوات الأمن عددا من المشكلات الفريدة ، التي لا تصادف في عالم التجارة والمال .

وتشغل السفارات عادة الأبنية العريقة ، وأكثرها جاهزا في العاصمة ، وبخاصة في العالم الغربي . والأبنية عتيقة ، وكثيرا ما تلقى رعاية خاصة ، بالنظر الى قيمتها المعمارية ، وتحميها القوانين التي تحرم اجراء تعديل فيها لمواجهة الاحتياجات الوقائية والدفاعية ، وبالمقدور زيادة اجراءات الأمن اذا لم يتعارض ذلك والمظهر الخارجي للمبنى ، وصيانه ، والحفاظ على ما بين البناء والأبنية المحيطة به من هارمونية . وثمة مناسبات قليلة تسنح فيها ، لفرصة للبناء من جديد ، كما حدث في حالة سفارة الولايات المتحدة في ميدان جروسفينور في لندن ، بمظهرها القبيح بمظهر القلاع ، أو عندما تصمم الحكومة على اختيار مواقع جديدة أخرى لسفارتها ، كما حدث لبريطانيا التي نقلت سفارتها في المملكة السعودية من جدة الى الرياض .

وتحاول السفارات إحاطة زوارها الذين يملئون بالآلاف ، بمظاهر الود والترحاب وأشعارهم بالتححرر من كل قيد . كما أنها تواتق للنهوض

ببلادها ، وتعمل على تشجيع السياحة إليها ، والتعامل المالى معها . وتعارض هذه الاحتياجات ومطالب الأمن العليا التى قد تتمثل فى بعض المظاهر والقيود « الاستبدادية » مثل الكاميرات والأبواب الموصدة وتصاريح الدخول والحراسة المسلحة ، ولدى البلدان العربية والإسلامية تقاليد تدفعها الى الحرص على كرم الضيافة ، « والباب المفتوح » ، وتسبب هذه التقاليد فى تعرض المختصين بالأمن لنوبات موجعة من الصداق . ولا بد أن يعتمد الدبلوماسيون على نوعية خاصة من القوات المحلية لحمايتهم ، تتوافر لها الشجاعة والكفاءة ، وفى لندن ، تتمتع هذه القوات بسمعة طيبة ، ولكن فى مواضع أخرى من العالم ، تتنوع المصايير تنوعا كبيرا تبعاً لمستوى التهديد . وفى السنوات الأخيرة ، وقعت أغلب الأحداث الإرهابية فى أوروبا الغربية . ولا تعد هذه الحالة انعكاساً - بالضرورة - لعدم توافر المستوى المناسب من الإجراءات الخاصة بالرد على هذه الأحداث ، ولكنه بدلا من ذلك يعكس انعكاسا لمجموعة من العوامل الفريدة ، التى جعلت أوروبا هدفا جذابا للنشاط الإرهابى . وليس أقل هذه الأسباب شأنا اقترابها جغرافيا من الشرق الأوسط ، وقد اتخذت هجمات الإرهابيين ضد الدبلوماسيين عدة أشكال كالاختطاف واحتجاز الرهائن ، وإلقاء القنابل هو الوسيلة المفضلة لجميع الأسباب انسابق ذكرها ، وتقدر فى الوقت الحالى ، بحوالى نصف الأحداث المسجلة ، أو التى أبلغ عنها .

وفى الفصل السابق ، بحثنا « حل الأزمة » عندما تتخذ صورة اختطاف لأحد المسئولين بالمؤسسات . وفى حالة الدبلوماسيين ، تكون العملية أشد تعقيدا ، لوجود مشكلات سياسية شديدة الحساسية والخطورة . ونادرا ما يحتجز الدبلوماسيون كرهائن سعيا وراء الحصول على مكافأة مالية وحسب . ولو حدث ذلك سيحتسب هذا النوع ضمن النوع الصريح فى غايته ، وعندما يختطف السفير أو الدبلوماسيون فى الخارج ، تكون للحكومات التى يتبعونها سياسة صريحة بعدم التفاوض والإرهابيين ، ويطمح التنازل بالتبعية . وتبعاً لذلك فقد تضاعفت أعداد أحداث اختطاف الدبلوماسيين أو **Diplonapping** ، كما يسميها الأمريكان ، بالمضى التقليدى ، ومن ثم يمكن أن توصف أحداث مثل حادث اختطاف جوفرى جاكسون بأنها استثناء فى السنوات الأخيرة .

والدبلوماسيون يكونون هدفا أيضا ، فى بعض حالات اختطاف الطائرات . والطائرة المختطفة تكون عادة من طائرات الخطوط الجوية التابعة للدولة ، ويكون الحادث دوليا فى طبيعته ، بينما تكون للإرهابى مطلب سياسية يسعى للحصول عليها فى مقابل إطلاق سراح رهائنه -

انها مسألة معقدة ، كما شهد بذلك حادث اختطاف الطائرة ايرفرانس
يونيڤ ٧٣٧ ، التي اختطفها جماعة الجهاد الاسلامي . وكان من بين مطالبها
الافراج عن أقرانهم الأجناء في هذا التنظيم المتشدد ، الذين كانوا أما
من المحكوم عليهم بالاعدام ، أو من الذين يمضون فترات سجن طويلة في
الكويت لسبق اختطافهم لطائرة أخرى ، وتعزف الدول عن الموافقة على
اطلاق سراح السجناء الارهابيين خشية انتشارهم بها . مثلما تعزف عن
السماح لهم باللجوء اليها . وهذا الشكل من التشهير الارهابي يمثل
تهديدا حقيقيا للغاية . وقد تزايد استعماله كسلاح محتمل في أيدي
الجماعات المتعصبة التي لا ترحم . ويرجع التهديد الى عجز كثير من الدول
عن مواجهة مثل هذه الأحداث سواء اتخذت صورة اختطاف الطائرة أو
احتلال مبنى السفارة ، فهي لا تملك الموارد أو انوسائل التي تيسر لها
النجاح في مثل هذه المواقف الصعبة ، أي عن طريق الخبرة في التفاوض أو
باستعمال قوات مدربة على الرد المسلح على الارهاب . وكثيرا ما يضل
المختطفون سواء السبيل ، ويشهد بذلك حادث اختطاف طائرة شركة مصر
للطيران في مالطة ، وأقرب من ذلك عهدا ، حادث اختطاف الطائرة
« البان ام » في كراتشي .

ولدى الحكومات واجب يدفعها لحماية أرواح المقيمين الغرباء في
بلادهم وأملاتهم . ويصح هذا الاعتبار بوجه خاص في حالة الدبلوماسيين .
ويتصف الولايات المتحدة بالذات بالخشونة ، خصوصا عندما يتعلق الأمر
بجالات الاختطاف . فمن المسلم به في تاريخها بعد الأحداث التي تحدثت
عنها الصحافة كثيرا (كحادث اختطاف ابن الطيار الأمريكي الشهير
لندبرج) ، النظر الى اختطاف الدبلوماسيين كجريمة أو اعتداء على الدولة
بهم واشتغل أكثر من أهميته للسلطات المحلية أو من تمسهم هذه الأحداث
مساسا مباشرا . فمن بين الأهداف الرئيسية لهجمات الارهابيين ضد
الدبلوماسيين اثبات ضعف الحكومة المضيفة ، وعجزها ، أو اخجامها عن
الوفاء بالتزاماتها ومسئولياتها . وإذا توخينا الدقة سنقول ان الارهابيين
ينتقون الدبلوماسيين ، كأهداف مفضلة لمكانتهم الخاصة . فلا عجب إذن ،
أن تحدث مثل هذه الأحداث ، بكل ما يصحبها من ضجيج ، أزمة كبرى
لأية حكومة . وفي بعض الحالات قد تنطوى الحكومة على نفسها ، وتلجأ الى
مخططات الحصار (وهو أسلوب يناسب عقليتها) . ويشيع هذا الأسلوب
بوجه خاص في البلدان النامية ، وفي مثل هذه الحالة ، تتخذ القرارات
بمعرفة رأس الدولة وقلائل من المستشارين المقربين . ويحتمل أن تكون
الشخصيات الرئيسية في هذا المقام شخصية وزير الداخلية ووزير الدفاع ،
بالإضافة الى رؤساء القوات المسلحة . وعلى الرغم من أن هذا الأمر في

صميم الواجبات الدبلوماسية ، لأن العلاقات الخارجية قد تتأثر به ، فإن العادة تم تجر على إشراك وزير الخارجية ، ضمن زمرة صناع القرار . فكثر ما يكون وزراء الخارجية من الشخصيات المحترمة ، الملمة بما يجري في العالم الدبلوماسي ، ولكنهم نادرا ما يكونون من مراكز القوة في دولهم ، ومن ثم ففي أزمات من هذا القبيل ، فانهم ينزويون جانبا ، وفي أغلب الظن أن من بين أسباب هذا الموقف أنه في قضايا وعرة مثل قضية احتجاز الرهائن تكون هيئة البولة واستمرار بقائها في الصدارة ولها القدح الملقى فوق العلاقات الخارجية .

كذلك من الأسير لمن يميلون الى تصور امكان نهوضهم بمثل هذه المهمة ، أن يقدروا ما تؤديه الحكومة ، بالرجوع الى النتائج التي تحققتا . والى الأسلوب الذي تتبعه في معالجته مثل هذه المواقف . آنئذ سيدركون لماذا تقرر بعض الحكومات الخلاص من الارهابيين ودفع الأزمة باخفاء معالجتها وتمتيم الاعلام ، وبذلك تحافظ على تسليتها للأوضاع .

وعلى الرغم من البيانات العامة التي تناقض ذلك ، فان الحكومات ترى نفسها مرغمة على التفاوض والارهابيين ، وبخاصة في أحداث الرهائن . وفي أي سياسة معلنة ، فانها ترفض التنازل أو الاتصال بهم ، وترفض - بالطبع - التفاوض معهم ، لأن هذا الاجراء قد يفسر على أنه من علامات الضعف التي ترفع مكانة الارهابي الى مكانة مساوية للحكومة ، ومن هنا فانها تلجأ الى البحث عن وسائل أخرى لحل المشكلة ، ويستعان بالوسطاء للقيام بعمليات معقدة من الحوار ، وربما أدى ذلك الى الاستعانة بحكومة أخرى ، بل وبالارهابيين أنفسهم ، ولحل هذا يفسر لماذا رحبت بريطانيا وفرنسا ، وأيضا أولئك الذين اتضح أنهم مسئولون عن حسم مثل هذه المشكلات في حكومة ريجان بترك المفاوضات لاطلاق سراح زعاياها (وبعضهم كان يتمتع بالحصانة الدبلوماسية) الذين احتجزتهم جماعة الجهاد الاسلامي بين يدي تيري ويت . وقد تفاوض هذا المبعوث هو والارهابيين بصفة مباشرة ، كما تباحت وممثلتي الحكومتين السورية والبرانية . ونجح هذا التكتيك لبعض الوقت ، ولكن عندما حاول ويت اجراء المزيد من المفاوضات ، وبعد أن تكشفت أول ملامح من قصصه إيران حيث انتهى الأمر باحتجازه هو بالذات كرهينة !

وفي حالة حادث احتجاز رهائن يمس الدبلوماسيين في الخارج ، فان معظم الحكومات قد تعي وحداتها المسئولة عن الأزمات لمراقبة الحالة ، وتتشابه هذه الوحدات هي والوحدات المماثلة في المؤسسات في تكوينها وتنظيمها . وهكذا يصح اعتبار رئيس فريق C.M.C. منظرًا لوزير الخارجية أو نائبه ، الذي قد يرأس فريقا صغيرا من الأفراد المختارين

بعبارة ، ومعنى تتوافر لهم القدرة على مواجهة الأزمة . ومعظم الخطر هنا هو ما يحدث اذا تسخلت البيروقراطية ، فما أسهل أن تتحول مثل هذه التنظيمات الى عقبة كاداء ، ذات تأثير عكسي على الأزمة ، ولربما تسببت فى شغل الوزارة برمتها وتعطيلها عن الاضطلاع بباقي مهامها ، وعلى السفارة فى البلد الذى وقع فيه الحادث أن تختار فريقا يمثلها I.N.T. لمواجهة الموقف فى محل حدوثه .

ولقد تعرفت مؤسسة RAND/Corporation's Think Tank المختصة بمكافحة الارهاب على خمسة أنماط رئيسية للأنشطة الارهابية التى تقوم بأحداث يتعرض لها الدبلوماسيون ، وقد بينها مدير المؤسسة بريان جنكنز على الوجه الآتى (١) :

- أحداث مرتبطة بحرب العصابات أو النشاط الارهابى السائد .
- أحداث يثيرها المهاجرون المنصريون أو العرقيون ، أو جماعات المنفيين ضد قومية بالذات أو نظام بالذات .
- اعتداءات الارهابيين فى شتى الأنحاء فى الخارج كجانب من حملة أكبر ضد حكومة بالذات .
- أحداث تثيرها الجماعات الوطنية لحماية أفعال حكومة أجنبية .
- استعمال الحكومة لتكتيكات ارهابية أو جماعات ارهابية كبديل للحرب ضد علو أجنبى .

وهذا الجزء الأخير من قائمة بريان جنكنز ينقلنا الى ذلك العالم القاتم الذى يلتقى فيه الدبلوماسيون هم والارهابيون . ولقد بحثنا مسألة الدبلوماسية عندما يكون « ضحية » ، ولكن كثيرا ما يصح القول بأن الكثير من أحداث الارهاب ما كانت لتحدث لولا مساعدة الدبلوماسيين . وكانت العراق من أكبر مصادر الازعاج الى أن انضمت فى حرب الخليج . واكتشفت فجأة حاجتها الى أصلاء فى العالم الغربى . وفى إبريل ١٩٨٤ ، تصرف بعض العاملين فى المكتب الشعبى اللبى بلندن بطريقة أقرب الى تصرفات المشايخين أو العريدين فى الشوارع منها الى تصرفات الممثلين المفوضين ، عندما فتحوا النيران على مظاهرة سلمية ، وسقطت الشاويشة الانجليزية ايون فلتشر صريمة . وفى أكتوبر ١٩٨٦ ، ضبطت السفارة السورية متلبسة ، واتضح أن السفير وبعض كبار رجال السفارة

Terrorism and Personal Protection. — Brian M. Jenkins (١)

لندن (١٩٨٥ Batterworth)

متورطون ، وذكرت أسماؤهم في المحكمة البريطانية باعتبارهم قد ساعدوا في محاولة لنسف طائرة نفاثة جامبو ، وقد أنكروا ، وهم ينتحبون ، وزعموا أن الحادث من تدبير الموساد (المخابرات الاسرائيلية) . ولكن هذا الادعاء لم يقبل التصديق . ويمقدورنا أن نزع أنه ليس بالامكان تقديم دليل أكثر اتزاناً للحكومات التي تبحث عن دليل حاسم يثبت الدور المزدوج الذي تلعبه سوريا من الأبحاث التي قام بها جهاز المخابرات البريطاني .

ولواجهة هذه المخالفات الصارخة ، التي تجاوزت الحد للبروتوكول الدبلوماسي والامتيازات الدبلوماسية لم تر بريطانيا وجود بديل آخر غير قطع العلاقات مع سوريا . وياً للخزي والعار ! . فعندما تطلعت لندن الى شركائها الأوروبيين طالبة مؤازرتهم ، والقيام بعمل مشترك . اقتضح تخليهم جميعاً عن بريطانيا ، وذكروا أن قطع العلاقات مسألة لم تختلر ببالهم قط ، وعندما يتعامل اليونانيون والارهاب فانهم يسلكون مسلكاً شاذاً . أما الدور الفرنسي فمن الصعب اماطة اللثام عنه ، اذا راعينا غلالة القنابل التي أنجرت في باريس ، ولعل سوريا تمثل مذهب الامر الواقع *de facto* في الشرق الأوسط ، وتمتد مفتاحاً للتورط الفرنسي في لبنان . غير أن تهدة الارهاب لن تكون هي الاجابة على الإطلاق . على أن هناك اهتماماً متزايداً ، - عبرت عنه عدة دول - بالوضع القانوني للبعثات الخارجية المقيمة بأرضها . فالسفارات والبعثات ودور الإقامة أماكن لها حرمتها ، وليس بمقدور الشرطة دخول هذه الأبنية حتى اذا اعتقلت أن جريمة قد وقعت فيها ، أو اشتبهت في وجود إرهابيين مختبئين فيها . ومن غير المسموح به فتح الحقائق الدبلوماسية أو تفتيشها . وما من شك أن مثل هذه الأشياء ضرورية لتأمين الاتصال بين البعثات وحكوماتها ، ولكن الحقائق الدبلوماسية قد استعملت لتهرب الأسلحة النارية والمفرقات ، بل والأشخاص ! .

وما لبثت أن أصبحت اسامة استعمال الامتيازات الدبلوماسية هي القاعدة وليست الاستثناء ، وظهرت حاجة ملحة تدعو الى وجوب إعادة النظر في الاتفاقيات التي يبرر ذلك . وليس من المتوقع انجاز هذه المراجعة وإعادة النظر في وقت قصير ، وسوف تكون الاجراءات طويلة ومعقدة ، ما دامت الأماكن الوحيدة التي يمكن أن تعقد فيها الاجتماعات التي ستبحث فيها هذه المسائل هي الأمم المتحدة ، ومستتبع الخطاب التي ستلقى من فوق هذه المنصات بعباراتها الطنانة فرصاً ذهبية لأصدقاء أو أنصار الإرهابيين للتسويق والماطلة ، وستضاهل من جراء ذلك فرص امكانات الإصلاح ، وفي الوقت نفسه ، سيتعرض النظام العام للبعث والاساءة بأبشع الوسائل من قبل الدول التي تساند الإرهاب .

بطبيعة الحال ، إذا صح القول بأن الدبلوماسيين يحتوون الى السنوات الجديدة التي تمتعوا فيها بالحصانة ، فإن هذا القول لا يصح إطلاقاً عن سادتهم رؤساء الدول ، فقلقه غدا التهديد بالاعتقال بالسلاح أو الفيلة مسألة بينة بلا مرأه ، ويشهد المقتطف التالي من جريدة التايمس (١٩٨٤) بمدى فاعلية الارهاب .

ماتوا وهم يتمتعون بالسلطة قائمة بأسماء من اغتيلوا من زعماء العالم (٢)

- أغسطس ١٩٤٩ حسي الزعيم رئيس سوريا - أطلق الجيش الرصاص عليه .
- يوليو ١٩٥١ اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن في القدس .
- يوليو ١٩٥٨ مصرع الملك فيصل ملك العراق في انقلاب عسكري .
- سبتمبر ١٩٦١ اغتيال رافيل تروهيو ديكتاتور جمهورية الدومينيكان .
- نوفمبر ١٩٦٣ اغتيال الرئيس كيندي في دالاس - تكساس في الولايات المتحدة .
- يناير ١٩٦٥ مصرع رئيس وزراء إيران حسن المنصور .
- يناير ١٩٦٦ انقلاب مات فيه أبو بكر باليوا رئيس الوزراء الاتحادي بنيجيريا .
- سبتمبر ١٩٦٦ طعن رئيس وزراء جنوب أفريقيا هنريك فيرغورد حتى الموت .
- مارس ١٩٧٠ وفاة الرئيس نجارتا طومبالاي متأثراً بجراحه إثر أصابته في حادث انقلاب لحكومته في نضاد .
- أغسطس ١٩٧٥ وفاة الشيخ مجيب الرحمن رئيس بنجلاديش إثر أصابته في منزله بعد انقلاب للقوات المسلحة .
- فبراير ١٩٧٦ أصابة قاتلة للجنرال مورتالا محمد رئيس الدولة بنيجيريا في انقلاب فاشل .

- ١٩٧٨ أبريل مصرع الرئيس محمد داوود رئيس أفغانستان في انقلاب .
- ١٩٧٨ يونيو مصرع رئيس جمهورية اليمن أحمد حسين الغاشمي بعد استلامه رسالة مفتوحة .
- ١٩٧٩ أكتوبر اغتيال الرئيس يارك شونج هي رئيس كوريا الجنوبية بعد إصابته برصاص .
- ١٩٨٠ أبريل مصرع الرئيس تولبرت رئيس ليبيريا بعد إطلاق الرصاص عليه في انقلاب عسكري .
- ١٩٨١ مايو مصرع ضياء الرحمن رئيس بنجلاديش بعباء نارى أطلقته جماعة من المتمردين من ضباط الجيش .
- ١٩٨١ أغسطس مصرع الرئيس الايراني محمد علي رجائي ورئيس الوزراء محمد جواد باهنار اثر انفجار قنبلة في طهران .
- ١٩٨١ أكتوبر اغتيال القوات المسلحة للرئيس أنور السادات رئيس مصر .
- ١٩٨٢ سبتمبر مصرع الرئيس بشير الجميل رئيس لبنان في انفجار قنبلة .
- ١٩٨٤ أكتوبر مصرع السفيلة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند بعد أن اغتالها ضباط من حرسها الخاص في مقر إقامتها .
- ١٩٨٤ أكتوبر حاول الجيش الجمهورى الايرلندى قتل رئيسة الوزراء البريطانية ، وفشلت المحاولة .
- (وكانت كلمات هذه المنظمة الحماضية هي التي اتخذناها شعارا لهذا الفصل) .
- ١٩٨٥ فبراير إطلاق الرصاص على أولوف بالي رئيس وزراء السويد من قبل مجهول في أحد شوارع استكهلم .

خامسا : حماية الفرد

٢٠ - تصعيب الهدف

حتى قرابة عشر سنوات مضت ، كان مصطلح « تصعيب الهدف » ، يستعمل للدلالة على الاجراءات التي تتخذ للحيلولة دون وقوع الأسلحة والمتفجرات بين يدي الارهابيين ، وأيضا للدلالة على الاجراءات التي تتبع للحيلولة دون اصابة الارهابي بالهدف ؛ ولقد امتد مفهوم هذا المصطلح الآن ، وأصبح أكثر دلالة في استعماله على ما يخص الاختصاص ، بعد أن أصبح الأفراد أنفسهم أهدافا أولية ، ولم يعد الجولاميون وحدهم هم الأهداف ، وتكاد عملية « تصعيب الهدف » ، إن تكون عملية وقائية ، وإن تكون - استدللا - معنية بالحوائل التي تصعب الاعتداء على الهدف ؛ وليست الحوائل جميعا حوائل مادية ، وفي هذا الفصل سنركز الكلام على أكثر الحوائل اتصالا بالفرد ، وبالاستطاعة حرمان المعتدي من وسائله باتباع البداهة وقواعده ، وليس الحرمان من الوسائل حرمانا تاما بالأمور المستطاع ، غير أن المصطلح مصطلح حسن ، يعتمد عليه ، لأنه يعبر تعبيرا واضحا عن النية في حرمان الارهابي من فرصة الضرب بسهولة ، ويجر هذا « الحرمان من الوسائل » ، فهو ذيله اتباع اجراءات مقبولة ووسائل الأمن الأساسية وميسراته ، وسنقتصر في هذا الفصل على الكلام عن الفرد ، وإن كان العديد من القواعد التي سنجمعها ، يمكن الاستفادة بها في نطاق الكيانات الأكبر كالمؤسسات . وليس هذا الجزء مختصا بالنواحي التقنية ، إذا راعينا أن رغبات الأفراد تتركز على العيش والعمل في جو آمن ، كما أن تطبيق مجموعة من الاجراءات البسيطة قد يحقق ما هو أهم لصالح الفرد ورفاهيته أكثر من أي عدد من السبل البعيدة عن البساطة .

وأسس أمن الفرد هي : ١ - الوعي ٢ - الملاحظة ٣ - التخطيط ٤ - رد الفعل . وهذه الأسس في ذاتها بيئة لا تحتاج إلى نقاش ، وإذا طبقت

تطبيقا صحيحا فى النطاقات المبينة ، فانها مستعنى أن الفرد قد قطع شوطا بعيدا لكي يصبح « هلقا صعبا »

وبوسع المسئول المدرب تدريبا حسنا أن يواجه الاعتداءات الاجرامية الصغيرة بصصك أسنانه أو شيء شبيهه بذلك ، ولكنه عندما يواجه فعلا اوعايبا مهبزا ، أو عملية اختطاف فلا يحتمل اذا اتخذ موقفا سلبيا أن يحصل على أى شيء سوى زيادة خطورة ايذاء نفسه ، ولو قبل هذا الراى على علاقته ، سيكون من المقول أن تجرى محاولة لتخفيف وطأة مثل هذه الأحداث العنيفة باتباع الأمنس ببعض مبادئ واجراءات عامة . فعليك

أن تتعم الباءات الأربعة .

Profile	١ - التمثل العام
Planning	٢ - التخطيط
Prediction	٣ - التنبؤ
Practice	٤ - الممارسة

التمثل العام : لا تحاول أن تعلن - بلا ضرورة - عن ثرائك وثرءك بؤسستك . فكما ذكر من قبل فى هذا الكتاب ، فان الاختطافات تجرى الآن فى بلاد مثل بيرو وكولومبيا^٥ والباعة الوحيد لمثل هذه العمليات هناك هو الانبهار باللبس والجواهر والحقائب الفاخرة . التزم الحدو عندما تجلس فى بار أحد الفنادق ، عندما تتحدث فى النواحى المالية ، أو نوع العمل الذى تقوم به المؤسسة . فاليوم لا تهتم سحالى المجتمعات الزايقية باصطياد الاناث الماذبات . انهم يبحثون عن أهداف لغاية مختلفة غالبا . عندما تسافر وتعيش خارج بلادك عليك بتمويه غايتك الأصلية باختراع حلوته بسيطة تقبل التصديق .

التخطيط : سنتحدث بإفاسة عن الجوانب والمناسبات المختلفة فيما بعد ، وإذا تحدثنا بوجه عام قلنا أن عليك أن تعد خططا أساسية لمواجهة جميع الأحداث الطارئة . ولابد أن تتوافر بين يدك طرق الهروب ، وطريقة الاتصال بالقنصلية وخضعات الطوارئ ، حتى ترجع إليها فى أى مكان تلقى نفسك فيه .

التنبؤية : الروتين قاتل ! وبلااستطاعة ادخال تنوع على الحالات الروتينية اعتمادا على قدر بسيط من الخيال . وما يثير الدهشة ان كثيرين من ضحايا الاختطاف تذكروا كيف ساعدتهم البصرة والنظرة البعيدة الى ما سيأتى ، تذكر علامات التحذير التى باستطاعتها تغيير الموقف رأسا على عقب ، حذارى من الوقوع فى أية أجولة ! نوع التوقيتات والطرق

التي تسلكها حتى لا تتحول الى نمط منتظم يمكن حل رموزه ، ويسهل تنبؤ الآخرين بتحركاتك . وإذا كنت هدفا مرموقا ، فقد لا يضمن خصومك على مرحلة استكشاف خطواتك بجهود تستمر شهورا !

الملاحظة : وهذا عنصر أساسي يجب من يستعين بمروستين في أداء وظيفته سواء بقر العمل أو بالمنزل ، أو من يستعمل سائقا خاصا . وأغلب الموظفين يتجاوزون هم وما يطلب منهم عن طيب خاطر . والواقع أن هذا يساعد على زيادة تأمين حياتهم ، وكلما منحت الفرصة لاتباع خطة طوارئ فلا تتردد واتباعها ، لأنها وسيلة ممتازة لتأمين حياتك .

وقبل أن نخوض في التفاصيل هناك بعض نطاقات لها صفة العموم ، يتعين عدم اغفالها عند الحديث عن مقومات الأمن . ان المبادئ الحربية التي تسير الى مراعاة العمق في خطة الدفاع تصبح بالقدر نفسه بالنسبة للمستول في داره أو مقر عمله . فعليك بتقليد المتقربين والمنطوين على أنفسهم ، وفي الوقت نفسه تأكد من إمكان هروبك من طرق آمنة لو أصبح ذلك ضروريا . لا تدع خطة دفاعك تركز الى خط دفاعي واحد ، يتألف من أجهزة تنبيه وموظفي الاستقبال والحراس والملابس المدعمة . فمن الملجأ الذي تلوذ به - والأفضل قبل أن تأوى اليه - يجب أن تتوافر لك القدرة على استدعاء الشرطة أو أية نجدة أخرى . فإذا أمكنك الاطمئنان الى هذه النواحي ، فأحرص على استعمال التليفون اللاسلكي ، وبخاصة عندما تكون راكبا السيارة .

وبغض النظر عن مدى زهوك بما لديك من احتياطات أمنية ، فلا داعي لأن تتحدث عنها مع آخرين . فليس هناك ما يدعو لمعرفتهم بها . والسرد الذي يشترك فيه آخرون انتهت هويته كسر ، بعد أن اشترك في كتمان أكثر من واحد ! ، ومن الأفكار النيرة أن تسجل جميع أرقام تليفونات الطوارئ في دفتر وتضعه في مطروف في مكان آمن بالمنزل ، أو تخمله معك . عليك أن تثبت في هذا الدفتر رقم تليفون • وحدات نقل الدم • و « الخدمات الطبية » ... الخ • لجميع العاملين معك ولأفراد أسرته ، أي جميع من يعينك أمرهم . وبمجرد أن تصبح على الخططة التي تنوي اتباعها لتأمين شخصك ، حاول أن تختبرها لمعرفة مدى صلاحيتها من الناحية العملية ، فإذا أثبتت فاعليتها فيجب أن تثق بها ، ولن يحول ذلك دون اعادة النظر فيها بصفة منتظمة . وتتحقق من أثر ذلك ثلاثة اغراض : أولا - تذكرتك وتذكرة العاملين معك بالانبياب التي تحتك لوضع هذه الخطة . ثانيا - ستكتشف القطاعات التي بانث فيها آثار التراخي البشري ، ثالثا - ستستنج لك الفرصة لبحث الخطة على ضوء المتغيرات في الأوضاع وازدياد درجة التهديد .

ويبحث الفصلان الواحد والعشرون والثاني والعشرون عن كتب مشكلات الأمن بالبيت والمكتب ، أما هنا فسنعنى بالنطاقات التى ثبت احصائيا أنها مناسبات ازداد فيها تعرض الهدف للاغتيال أو الخطف ، ومن الحقائق الثابتة أن أعلى نسبة احتمال هذه الأحداث تكون عندما يكون « الهدف » راكبا فى سيارته ، أو فى لحظة ركوبه السيارة ، أو نزوله منها. وهذا أمر معقول للغاية ، فنعلمنا يكون الهدف منهمكا فى اجراء أى فعل من الأفعال الروتينية ، فان مراقبة حركاته تكون أسهل ، وتسجيل هذه الحركات يكون أسهل ، مما يسر إطلاق النار عليه .

وعادة فى مثل هذه اللحظات ، يتخذ الهدف أفضل أوضاعه ، ويسهل التنبؤ بحركاته التالية ، ويكون فى الحالة التى يؤثرها القناصة . ومن اليسير نسبيا تعرض السائق الغافل للوقوع فى كمين ، مادام بالاستطاعة التنبؤ بالطريق الذى سيسلكه . ولقد نجح ديجول فى حل هذه المشكلة بأن استعان بوحدة أمنية من الرجال قوامها بضع مئات ، وبما لا يقل عن « البديل » الوحيد . وعلينا أن نذكر أنه نجا مما لا يقل عن ثلاثين محاولة اغتيال . ومن المنطقي أن ينصب اهتمامك الأول على السيارة ، وسمينزع بعض القراء الى التفكير فى تصفيح سيارتهم ، وهناك بعض آخر لن يخطر ذلك ببالهم قط ، وسواء أكانت السيارة من السيارات المصنفة أصلا ، أو أجريت لها عملية تصفيح ، فثمة عاملان جديران بالنظر ، فهناك أحداث تقع على الطريق ، وأخرى تقع بعيدا عن الطريق . والنوع الأخير هو الأسهل فى تناوله ، ومن ثم سنبدأ الكلام به .

وأول قاعدة يجب أن تراعى هى أنه عندما لا تكون السيارة فى الخدمة ، فيجب أن تودع فى مكان مقفل وآمن كجراج خاص أو جراج المؤسسة ، أو الجراجات العامة ، وما أشبه . وتوفر هذه الاجراءات بالطبع قدرا من الحماية . وعليك أن تتأمل مقدار المرونة التى تتوافر الآن لمن يلقي القنبلة من أبناء العصر الحديث ، فعلمية وضع قنبلة من النوع المغطس *Ismpet* أسفل السيارة لا تستغرق أكثر من ثوان قليلة ، وتنفجر هذه القنابل بمجرد التذنب أو الارتماش ، وبصد أن يعتمد مفجر القنبلة عن مكان انفجارها .

وعلى المدى البعيد اذا تركت السيارة بعيدا عن ملاحظة مستخدمها لوقت طويل ، خصوصا اذا كان من المتوقع تجربتها فى موعد يمكن التنبؤ به - وهذه ناحية يمكن التيقن منها اعتمادا على فريق مراقبة - كما يحدث فى حالات رحلات رجال الأعمال المنتظمة التى تتطلب ترك السيارة فى المطار لفترة أيام . فى هذه الحالة يكون الطريق مهيأ لقيام مفجر القنبلة - وكثيرا ما يتحقق له ذلك - باختبار مهارته ومدى تقدم

تقنيته • وتتركز النقطة الأساسية هنا في القدرة على التنبؤ بطول فترة تجرّيج السيارة التي ستستغل في التصويب على الهدف ، ولا يحتاج مهرة المجرّين الى ما هو أكثر من نصف ساعة أو يزيد لتركيب أشد القنابل تعقيدا ، وبالقدور تركيب أشبه القنابل فتكا في دقائق معدودة ، وبالإستطاعة صنع أجهزة تبدو كأنها قطع من آلات مختلفة تخدع من يماينها ميامنة عابرة ، فإذا غمست في الشحم أو علق بها أتربة أو قاذورات الطريق ، فإنها ستبدو وكأنها من المهملات الملقاة في هذا المكان من سنوات .

وتضم السيارة بعض مكونات بالمتكور استعمالها لعملية بدء الانفجار ، فلديك مثلا الدائرة الكهربائية التي تشغل السيارة والتي تولد طاقة تصل الى الكثير من الأجزاء الهامة والحساسة ، وهناك الحرارة التي تصل الى مواضع معينة وبالإمكان حساب مقدارها ، والأمر بالمثل فيما يتعلق بضغط الغاز الذي يمكن حسابه أيضا • وكذلك الحال في المواضع الكثيرة التي تعمل بالضغط أو التذبذب ، وبالإستطاعة حشر المفجر في المقاعد ودواسة الأرضية • وما أيسر التكهّن بحركات السائق كطريقته في اضاءة الأنوار أو تحريك مؤشرات العدادات ، أو الانعطاف بالسيارة بحدة • وهناك مطلبات في الطريق ستعترض طريقه • وجميع هذه الحالات والكثير غيرها يمكن الاستفادة منها في بدء تفجير السيارة •

والسوق مليء الآن بالأجهزة التي تيسر عملية الأمان • فهناك أجهزة صغيرة يمكن وضعها بالجيب ، اذا تم توصيلها بالأجهزة الرئيسية للسيارة ، فإنها ستعطينا انذارات صوتية أو ضوئية للتنبيه الى حدوث خلل ما ، ولا يصح وصف هذه الأجهزة بالكفاية مائة في المائة ، فلربما أعطتينا بعض التحذيرات الزائفة ، ولكنها على أية حال نافعة في حالات الوقفات العابرة أمام المسارح أو المطاعم ، وبالإستطاعة الاستفادة بهذه الأجهزة ، وان كان هذا لا يحول دون قيام أى شخص مهدد في نهاية اليوم بإجراء فحص دقيق لجميع أجهزة سيارته •

والحاجة ماسة أيضا الى « تورش » من نوع جيد ، وليس هناك ما يدعو الى استغلال الأحجام الكبيرة منه ، والمرأة مفيدة ، وإذا كنت تعرف سيارتك معرفة جيدة (وهذه المعرفة من الضرورات الأولى) ستكون أية امرأة (تستطيع حملها بمحفظتك) كتلك التي تحملها السيدات في حقائبهن كافية • وأول خطوة بدئية للغاية • فعليك أن تفتش السيارة تفتيشا خارجيا • افحص العجلات وجميع الوصلات والمواسير والأقاريز والشكمان واليايات التي تمتص الاهتزازات ، تأكد من عدم وجود أى خلل ، ولا تتضايق اذا اتسخ يداك أو ملابسك • وعندما تفتح أول باب لفتحه جيذا ، واطمئن الى انفتاحه من التكة الأولى ، وأنه يفتح انفتاحا كاملا في

التكة الثانية • دقق النظر وافحص بركة زائفة وباستعمال شيء شبيه بالبطاقة الورقية الصغيرة الموضح التي يخفى أن يكون هناك أي شيء عالق بها • ومسألة بدء الفحص من أي باب غير باب السائق بينة ولا تحتاج إلى المزيد من الإيضاح ، فعليك أن تتم هذه العمليات الخاصة بالفحص الأولى قبل أن تدخل السيارة ، قم بالتفتيش على التبريد وجيوب الأبواب وأدراج « التابلوه » والدواسات • افتح باقي الأبواب على نفس النحو ، وفتش من جديد ، ولا تركن إلى أنك قد سبق أن عاينت السيارة ، ارفع غطاء الموتور وافحص الأجزاء الميكانيكية فحصاً دقيقاً ، ولاحظ عدم وجود أي جزء مختل ، واطمن إلى حسن تركيب الأسلاك الكهربائية • قم بنفس الاجراء عند فحصك للشسطة الخلفية ولا تنسى المجلة الاحتياطية وصندوق العدد •

وأخيراً عليك أن تفحص بعناية مضاعفة مقعد السائق والتابلوه وحاجز الشمس وطفائيات السجائر • واحرص على أتياع نفس الخطوات عند فحصك لأي جزء من أجزاء السيارة التي لها غطاء أو باب ، فإذا عثرت على أي شيء غير عادي ، استعن بالخبراء • ولا تحاول فك أي جهاز بنفسك • أما إذا كلف أحد الأشخاص نفسه عنا تركيب أي جهاز لا يقدر على تركيبه غير الفنيون ، فإن عليه أن يتوقع حدوث عطل من أثر إساءة التركيب • ومهمة تصفيح السيارات مهمة شديدة التعقيد حافلة بالتفاصيل • ويكفي هنا القول بضرورة الاعتماد في هذا الشأن على الشركات ذات الشهرة الكبرى وحدها ، ونذكر مرة أخرى بما سبق أن قلناه عن مراعاة المسدات الحربية الخاص بمراعاة « العمق » في خطط الدفاع ، إذ لا تزيد السيارة المصفحة بجميع مزايها عن مجرد بجانب صغير من الجوانب الكثيرة لعملية التأمين الشاملة •

ثمة تعديلات يمكن أن تجري لسيارة المستول ، وبالمقدور أن يتم ذلك بأقل تكلفة • وستساعد هذه التعديلات على تأمين شاغل السيارة إلى حد كبير ، وللسرعة وخفة تحريك السيارة دور كبير في تكتيكات التفادي ، ومن ثم فعليك أن تبدأ بتوفير هاتين الميزتين • استعمل الإطارات Run Flat (أي التي تتيح للسيارة الانطلاق حتى إذا فرغت من الهواء أو ثقبت) لأنها ضرورية • واحرص أيضاً على تركيب خزان وقود محكم الغلق في شيارتك ، وأن يكون مصنوعاً من الصلب الجيد ، وأن يحتوي الخزان على شبكة تمنع حدوث الانفجار • فعليك أن تثبت أنزمة في جميع المقاعد للحيلولة دون اصطدام السائق أو باقي الركاب بأية أجزاء صلبة أو زجاجية عند اهتزاز السيارة لأي سبب ، وثبت جهازاً لتفصيل الأبواب كهربائياً من الداخل • وتساعد الكشافات القوية halogen spot lights

في المقدمة والخلف بارتفاع السائق على انارة الطريق وتخليص السيارة من المواقف التي تعترضها ليلا ، ولربما فرضت حالات معينة على قائد السيارة القيادة بطريقة الاقتحام ، ومن ثم فلابد من تركيب وصلات اضافية لتقوية حاجز الاصطدام الثقيلين ، ويجب ضبط المرأة من الداخل واحكام قفل الشنطة الخلفية لتأمينها وكذلك غطاء خزان الوقود وقنوسه الموتور ، وتحقق جميع هذه الاحتياطات وقاية حسنة ، وان يجب عدم الارتكان اليها وحدها ، وكثيرا ما تساعد أجهزة الانذار العالية الصوت على تنبيه الشرطة عندما تقتضى الحاجة استدعائها لمساعدتك ، وحتى اذا اطلقت هذه الأجهزة « السرينات » بفقر حاجة تستدعي ذلك ، فانها قد تثبط همة من يتعقبونك . وأخيرا فعليك أن تتذكر ألف باء الاتصالات ، فعليك أن تتركب بسيارتك تليفونا لاسلكيا .

وقبل مناقشة الأحداث التي يتوقع أن تعترض طريقك ، وقد تتسبب في تعرضك للأخطار ، من المهم أن تذكر ثلاثة أشياء . فقبل أن تعتبر سيارتك أحد الأركان المكملة لخطتك الأمنية ، فان عليك أن تطمئن الى صلاحية سيارتك للاستعمال في بعض الأحوال كسلاح هجومي أو سلاح دفاعي ، ولو اتفقنا على هذا الرأي ، فانك ستؤيد القول بأن التدريب على استعمال هذا السلاح سيضعك أنت أو سائقك الخاص في موقف أفضل . وتيسر الشركات التجارية المتخصصة هذه الصلاحيات . وأخيرا ، فان الصيانة - شأن كل سلاح - أمر حيوي ، ولكنها قد تكون مصدر خطر ، ومن ثم فيجب أن تختار « جراجك » بعناية . سجل اسما مختلفا عندما تطلب منك البيانات (وادفع المطلوب منك فورا) وانتزع الأجهزة التي ركبتها في السيارة ، بغرض الأمان ، قبل ارسالها لأداء الخدمات لها . وعليك أن تفتشها بعناية فائقة عند رجوعها .

ولنتقل الآن الى الكلام عن أخطار القيادة الفعلية . ويحيى على رأس القائمة وجوب الحرص عند اختيار الطريق وخط السير . ويجب أن تكون جميع الطرق التي تنوى السير فيها مجهزة بإشارات دالة على مواقع الخطر ، وأن تثبتها على الخريطة . وعليك أن تثبت عليها أيضا مواقع نقط الرادار التي تضعها شرطة المرور . جاول أن تختار الطرق التي تحتوى على أقل عدد من المطبات الطبيعية ، وإذا أمكنك ، حاول التعرف على دارين أو ثلاثة دور من الدور الآمنة في الطريق كنقاط الشرطة أو الدور الحكومية بحيث يكون بمقدورك الاحتماء بها إذا اتجهت اليها بسيارتك ، التي تستطيع أنوارها الكشف القوية ، وينبعث منها صوت آلة الانذار (السريته) ، اذا اقتضت الضرورة ، اختر اسما كوديا لكل موقع ينتظر أن تمر عليه في كل طريق ستسلكه ، وعرفه للبيت وجقر عملك ، عندما تكون متجهيا

بالسيارة من أحد المواقع الى الموقع الآخر ، ويجب أن يحسن الاستفادة من هذه الطريقة . فمثلا اذا تأخرت في الاتصال والابلاغ عن مكانك أو تأخرت في الوصول ، فعلى المسئولين أن يبادروا بتنفيذ خطة الطوارئ . ويجب الحفاظ على الخرائط بأكبر قدر من الحرص ، أى تعامل نفس معاملة الوثائق السرية .

عندما تقود سيارتك فى منطقة مهددة تهديدا شديدا ، فإن القاعدة الذهبية تقضى بأن تعتبر كل مستعمل آخر للطريق ادهابيا أو مجرما سينقض عليك فى أية لحظة . وبعبارة أبسط ، فإنك ستغالى فى النهوض بالكثير من مهام القيام العادية للسيارة . ويجب الاعتماد بأكبر قدر على المرايا ، وإذا كان السائق الخاص متوليا قيادة السيارة ، فعليك التأكد من أنك تحمل مرآتك الخاصة ، احرص على السير فى الحارات السريعة للطريق أو الحارات الوسطى ، بقدر الاستطاعة ، وعليك أن تسير ضمن طابور من السيارات عندما تذهب للعمل مع زملائك . وأترك بين سيارتك والسيارات الأخرى مسافة كافية تسمح بالمناورة ، بصرف النظر عن السرعة . اذا فقدت الثقة فى أى موقف يعترضك ، فعليك أن « تزوغ » منه بالدوران على شكل حرف U ، ولا بأس من تسوية مشكلات الحوادث وخرق القوانين مع الشرطة فيما بعد ، اذا ماورتك الشكوك فى قيام آخرين بتحقيقك ، فعليك أن تتوقع إما قيامهم بعملية استكشافية ، أو أنهم ينوون توجيه اصابة اليك . ويحتاج توجيه الاصابة عادة الى أربعة ركاب وسيارتين على ما يحتمل ، فلا تترك أى شيء للمصادفة ، بل حاول أن تتعرف على أكبر قدر من أوصاف من يتعقبونك . قم بالقليل من المناورة للتأكد من أن ما حدث كان أمرا بعيدا عن الخطورة ، وارسل رسالة باللاسلكى بالتفاصيل من باب الاحتياط ، فاذا بدا أن الخطر وشيك الوقوع فقم بالتحرك الى أحد المواضع الآمنة على نحو ما ذكرنا آنفا .

وقد أثبتت الاحصاءات أن أكثر المواقع صلاحية كمين للاغتيال أو الاختطاف هو بيت الضخمية ، وتساعد بعض معدات الأمان الزهيدة الثمن نوعا ، واتباع بعض القواعد البسيطة على تصويب مهمة المجرمين ، وبخاصة اذا كانت السيارة مصفحة ، فالبوابات والأبواب المجهزة بأجهزة لاسلكية للتحكم عن طريق الاشعار عن بعد ضرورية . ومن المثير للسخرية هذه الأيام أن بعض الشخصيات الهامة تخرج من السيارة أو توقف سيارتها أمام باب منزلها ، وعندما تستعمل السيارة احرص على تشغيل الكشافات الألفية والرأسية فى مئات الأمطار الأخيرة التى تسبق وصولك الى المحط النهائي ، حتى تطمئن الى خلو الطريق من كل ما يثير الشبهات ، ويتعين فتح البوابات بأجهزة الاشعار عن بعد ، وأن يكون هذا الاجراء مقترنا بقم

المنطقة بالألوان ، ادخل الجراج بسيارتك ، وأبق بها « وللموتور » شغال ،
الى أن تقفل البوابات والأبواب التي دخلت منها ، ولا داعي للتأكيد بعدم
ضرورة خروجك من الجراج مرة أخرى لدخول البيت .

وهناك جملة مواقع كلاسيكية أخرى للكائن ، كان تقام الكمائن
في المواقع الطبيعية ، التي يراعى أن تكون في المناطق غير الأهلية بالسكن ،
والتي تطالبك نقطة المرور أو القطاعات بامهال سيارتك عندها أو توقيفها ،
وبالاستطاعة التقليل من هذا الخطر ، اذا اختير الطريق بعناية ، أو أجريت
عدة تحريقات منتظمة لخط السير ، على أن هناك بعض مواقف تجارية
شائعة يستطيع اجمالها باقتضاب ، فأولا هناك وسيلة سدم السيارات
المحاذية للطريق ، وعادة توضع هذه السيارات في منتصف الطريق لاعتراض
السيارة المتجهة الى البوابات ، ولكن قبل أن تتخذ هذا الوضع فانها تقف
على زاوية من الطريق . . وللتغلب على هذا الاعتراض ينصح بالقيام بحركة
التفاف bootlegger تعتمد على فن استعمال فرملة اليد ، والضغط
بثقل السيارة ينفذ من ناحية لآخرى ، حتى يحدث تغير سريع في الاتجاه ،
وبدلا من ذلك يصح الاكتفاء بإجراء حركة عكسية يعقبها شق الطريق من
الطرف الأخف ازدحاما بالسيارات ، مع استعمال الأنوار الكشافات وأجهزة
التنبيه (السرينات) الى أن تصل الى ملاذ آمن .

ومن الأساليب التقليدية للكائن اقامة عواقق تتخذ شكل اشغال
طريق . واذا شعرت بأي ارتياح في أي محاولة لتغيير المسار الطبيعي
للطريق ، فابتعد عنه على الفور . ومن الأفضل أن تكون ملما بما يحدث
عادة عند اصلاح الطريق وبما هي الاشارات الخاصة بتغيير الطرق المتبعة
في البلد الأجنبي ، وأدرس كيفية وضع هذه اللافتات والسدادات ، لأن
أي وضع غير صحيح لها يجب أن يثير الشكوك . ومن الإخطار الأخرى
التي قد تتعرض لها نقاط التفتيش الزائفة للشرطة أو القوات المسلحة ،
وبخاصة لأن بعض البلدان تسمح لمن يشغلون هذه النقاط بارتداء الملابس
المدنية ، ولكن على الرغم من أنك قد تؤمر بالتوقف ، فإن عليك أن لا تغادر
السيارة ، وأن تحرص على اغلاق السيارة ، وأن تبقى في حالة ترقب
واستعداد ، مع عدم ابطال تشغيل موتور السيارة . واذا شعرت بالارتياح
والاشتباه ، سارع بإبلاغ أقرب نقطة للشرطة . والحوادث غالبا ما تكون
زائفة . وعليك أن تلتزم بما تقررت عليه ، فالزم سيارتك المقفلة ،
ولا توقف دوران الموتور الى أن تشعر بالأمان وإنهاء التهديد ، وراعى
عدم التوقف قط ، واسرع الى نقطة الشرطة أو الى السفارة .

ويعتمد الكثير من عمليات تمييز « تصعب الهدف » على تجميع
المعلومات التفصيلية ، ويتعين على رؤساء المؤسسات تخصيص بعض

العاملين بها لهمة الحصول على ملفات مستوفاة ومزودة بأخر المعلومات عن جميع البلدان التي يوفدون مسئوليتهم اليها . وقد تتناول هذه الملفات في بساطتها هي والنشرات السياحية ، كان تتضمن أسماء مناطق خاصة ، ينصح بعزم زيارتها ، وأسماء الفنادق التي تضم في تشكيلها أجهزة للأمن ، وقصصات مناسبة من الجرائد اليومية ، ولا بد أن يكون على رأس هذه المعلومات تقديم مدى التهديد من المصادر الرسمية والشركات التجارية الشهيرة . وهذه بيانات عظيمة الأهمية للمسؤولين .

وهنا نقاط بسيطة قليلة تستحق التفات المسافرين اليها . فأول احتياط يجب أن لا يغيب عن فطنتك ان كنت مسافرا الى بلد شديد الخطورة ، أن تكون زيارتك في مواعيد غير منتظمة ، وأن تحرص أن لا تطول أكثر من المدة التي تحتاجها مهمتك . لا تعلن عن رحلتك ، بل والتزم الحرص فيما ينشر عن الرحلة داخل الشركة . لا تستعمل اسمك عند الحجز بالفندق ، ولا تكشف عنه الا في آخر لحظة ممكنة ، يعني عندما يكون جواز سفرك في مكتب الاستقبال . وفي المناطق الشديدة الخطورة من المستصوب التعامل بعنادك الشهيرة . ويجب أن لا يكون المظهر العام للفندق هو الذي اجتذبك إليه ، وتبعاً لنفس المنطق لا تستعمل اسم شركتك عند التعامل وشركة الطيران أو عند الحجز في الفنادق . واحرص دائما على أن يكون معك عند وصولك الى محطة الوصول ما يكفي من العملة المحلية لنقلك من المطار الى الفندق ، لأن هذه الوسيلة أسلم من الاعلان عن وصولك ، وإطالبة بوجود مستقبلين لك ، لأن هذه الطريقة كثيرا ما تؤدي الى اصدار بلاغات عامة واتى تكليف غلمان من خدم الفندق بحمل لوحات كبيرة تعرف الكافة بوجودك ! . ولا بد أن تقتصد في الظهور ولا تسافر مرتديا ملابس ثمينة أو باهرة تخطف الأبصار ، البس ما يناسب عادات البلد التي تقتصد ، ومناخه ، حتى لو عثى ذلك شعورك بقله الارتياح لساعات قليلة في محطة المفادرة . أما الحقائق الثمينة والمحاظ الموشاة بالذهب فانها تكشف عن شخصك حتى اذا لم تقصد ذلك . وعليك أن تتوجه كالأخرين الى مخزن الحقائق . وعندما تغادر البلد تحقق من أن طائرتك ستغادر المطار في موعدها ، ومن هنا يجب أن تعمل على الوصول مبكرا الى المطار والذهاب قسما الى مكتب المفادرة . وبعبارة أخرى انتظر في المنطقة التي تقل فيها احتمالات الخطورة .

داخل كل عاصمة كبرى في العالم ، ثمة مناطق ليس من الحكمة التجوال فيها وحيدا ، ورغم ما في ذلك أحيانا من اغراء بفضل وجود جملة مفريات فليك أن تقاوم هذا الميل . احرص دائما على أن يقوم أحد العاملين

بالفندق باستبداء تاكسي يكون منتظرا في الخارج • أما التاكسي الذي يتصادف وجوده فانه سيكون من دلائل الحظ المفرى ، تجنب وضع نقودك في السترة الداخلية أو في جيوب الصدر أو جيوب ظهر السروال • فالنصابون متخصصون في إنتشال هذه الجيوب • وما أبرعهم في هذا المضمار ! عليك بحمل بطاقات Cash and credit في الجيوب الداخلية للسروال ، لأن حمايتها هناك ستكون أفضل ، وتذكر أن الخوف على النقود ليس هو الشيء الذي يهيك ، ولكنه خشية التعرف عليك الذي قد يربط بينك وبين الشركة التي تعمل بها ، أو قد يكشف عن مدى ثرائك • وأنت شديد التعرض للخطر في الفندق ، ومن ثم فحاول أن تكثر من النظر الى الأرض • والكافريات أسرع في تلبية الطلبات من المطاعم ، كما أن المجهولين يزورونها أكثر من زيارتهم للمطاعم • احرص على التعامل وصناديق الودائع الآمنة ، وحاول أن تدفع العاملين بالفندق الى ملاحظة المناسبات التي يسأل فيها آخرون عنك بالاسم • وعندما تستعمل التليفون للتحدث الى المؤسسة اصطنع الكلام بطريقة مستترة ، أو استعمل لغة مجازية عند سرد تفاصيل مهمتك •

فما الذي يجري لو حدث الأسوأ ، ما الذي ستفعله اذا اختطفك ؟ ولقد تحدثنا عن رد فعل المؤسسة ، وعملية التصرف في الأزمات والتخطيط للطوارئ في فصول سابقة ، ولكن ماذا عن خطف الفرد ؟ كما هو الحال في معظم المواقف فلا يستبعد أن يكون الضحية قد ظن « بأن هذا لن يحدث قط » ، ومن هذا القول نستخلص أول فعل سيحدث له اذا وقع في الأسر ، انه الشعور بالكلال والصدمة الشديدة • لقد ولت الحرية وانتضى عهدها ، واذا كان المستول قد أعد العدة لاحتمال تعرضه لمثل هذا الحادث ، فانه سيخصص فترات منتظمة من الوقت للتفكير فيما ستفعله المؤسسة ، ويحاول تقدير موقفها ، والاجراءات التي ستتخذها ، ويساعد ذلك على التخفيف من وطأة الصدمة الأولية • ولكنه لن ينجح في ازالة آثارها ازالة تامة ، فالاختطاف جريمة وحشية ، لأنه يحمل في طياته الاغتصاب الشعوري لكل من الضحية واتباعه على السواء لدرجة تفوق التصور بالمقارنة بالجرائم الأخرى ، فالمت الذي يترتب على جريمة سيكون أهون في نظر الأتباع ، وبخاصة اذا جاء بقتة •

وأول اعتبار يجب أن يراعى بعد اكتشاف استحالة تجنب الوقوع في كمين هو أن يدرك المختطف أن محاولة الهروب ستكون شديدة الخطورة ، على ما يحتمل .اذ سيكون المختطفون في حالة تحفز للعنوان أو Psyched up ولن يكونوا جديرين باسم الارهابيين اذا لم يكونوا على استعداد للقتل • وسيعامل الضحية في البداية بخسوة • أثناء الاسراع بالخروج ، ولكن

عليه أن لا يفضب أو يشعر شعورا علمانيا ، فالجزء الوحيد لذلك هو الانهيار عليه بالضرب . وما أغناك عن ذلك يا عزيزي المختطف في هذه المرحلة ، والأفضل هو أن تخامرك الظنون بأنه . ستدفع الفدية ويكتب لك البقاء . ومن ثم فإن على المختطف أن يقبل هذا التصور ، وأن يدرك أن هذا الأمر سيستغرق زمنا طويلا ، فلا تحاول إذا اختطفت أن تعقد صفقة لنفسك في هذه النقطة ، أو غيرها من النقاط ، لأن النتيجة الوحيدة التي ستترتب على ذلك هي أحداث بليلة عند « فريق الأزمة » وعند المفاوض الذي سيحاول السعي لاطلاق سراحك .

تصور بذهنك كل ما يمكن أن يجرى ويساعد في أية عملية قانونية تحدث فيما بعد ، ولكن عليك أن تفعل ذلك بطريقة مستترة . وإذا شعر المجرمون أنك ستكون قادرا على التعرف عليهم فيما بعد ، فإن فرص استمرارك على قيد الحياة ستكون وإحية ، ومع هذا فإن هذا التركيز سيساعد على إزالة بعض التأثير المخدر للصدمة الذي ستشعر به . وعندما تمر بمثل هذا التأثير فإن قواك العقلية ستكون في أحط درجاتها ، وسرعان ما ستكتشف ذلك أية عصابة ذات خبرة ، أن هذا هو الوقت الذي يجب أن تتوقع فيه التهديدات والمعاملة الخسنة ، عندما تبدأ العصابة استجوابها لك ، ومحاولتها التفرغ على مقدار ما لديك من ثروة ، وما لدى شركتك . لمساعدتهم على تقدير المبلغ المطلوب كقدية . ولاحظ أنهم متنبهون لأية ملاحظة ستبديها لأنها قد تكون ذات عون لهم في مفاوضاتهم .

عليك أن تبدأ عملية « تقييم معيارك » ، وأن تضع حدا لا تتخطاه ، وإذا قررت ذلك ، تمسك بسلاحك . فأنت سلعة ثمينة للعصابة ما دمت حيا ترزق ، ولن تقامر هذه العصابة بزيادة تعذيبك البدني ، لأنها لا ترغب في استئجار أطباء ، ويجب أن ينصب تركيزك على الجانب « العقلاني » من الناحية العملية ، فلعل هذه الطريقة تساعد على اكتسابك لاحترام العصابة ، بيد أن ما هو أكثر وأعظم قيمة . هو أن هذا التصرف العقلاني سيكون وسيلة تساعدك على التمسك باحترامك لذاتك . وإلى جانب هذه الحاجة إلى احترام الذات ، فإن عليك الإصرار بأكبر قدر تستطيعه من الحراسة على الحصول على الوسائل التي تساعدك على الاحتفاظ بنظامك جسمك وملبسك ، وأن تقاوم بأي ثمن اغراء الالتجاء إلى العنف الجسماني أو العنف في استخدام الألفاظ ، وفي الحق فإن عليك أن تتبع أسلوبا مغايرا لذلك ، أي تحتفظ بحلو شمائلك وأدبك وكرامتك أما الذي يدفعني إلى الموت في سبيل مبدأ خيالي ، إذا كان الشهود الوحيدون لهذه الميتة حقنة من الجرمين والسفاهين ؟

وقد يختلف ماواك من جحر الى غرفة مقبولة ، فاقبل ذلك ، ولكن تذكر الحاجة « لروتين » النظافة ، وحاول أن تضع لنفسك نظاما يوميا للاغتسال والتمارين الرياضية والتفكير المركز ، ولا تجادل في مسألة جودة الطعام ، مهما كان قسيئا في مذاقه . فانت بحاجة اليه ، ولربما استمر بقاؤك طويلا بدونه ، تشبه بالابل ، واختزنه ، فإذا اعتمدت على شيء من الانضباط وساعدك بعض الحظ فقد تخرج من هذه المحنة سليما معافى ، وأفضل ذهننا وبدنا ، لا تكف عن تأمل المستقبل . وكرس ما لديك من طاقة ذهنية في وضع مخطط على أساس منتظم . احتفظ في ذاكرتك بيومياتك ، مع عدم تناسي الساعات والتواريخ ، وحاول كل يوم أن تتذكر ما حدث مما نبشته على أرض ماواك . فإذا لم يناسب ذلك ، فحاول اذن أن تلعب الشطرنج أو تمارس أية هواية أخرى تساعدك على التركيز . وبغض النظر عما ستفعل فلا تركز الى الخمول . ومن أفضل التمارين التي تنصح بها أن تستعرض ما ينتظر أن يفعله « فريق ادارة الأزمة » في المؤسسة . وسيساعد ذلك على ادراك سر بطة هذه العملية ، وما تحفل به من وصاوس . وإذا كانت لديك أية مشكلة طيبة فلا تتردد اذن عن تنبيه العصابة اليها . ولربما احتجت حقا الى التطبيب في بعض المراحل . وإذا ثبت أن لديك مرضا حقا ، فقد يساعد ذلك على التسرع باطلاق سراحك .

قصارى القول ، حافظ على كرامتك فوق كل شيء آخر ، واقبل احتمال آلام الأسر الطويل ، وحافظ على صحتك العقلية والبدنية . وهكذا يتضح أن عملية « تصويب الهدف » بمثابة عملية متبصرة تجمع بين الارتكان على المساعدات التقنية وحدة الدراية الشخصية والفهم الذي يمتد من عملية التعلم الى ما هو أبعد من ذلك ، لو حدثت أية حادثة ، وبالقدر طرح المساعدات التقنية جانبا . أما الدراية الشخصية وإرادة البقاء ، فلا غنى عنهما على الإطلاق .

٢١ - حماية المسئولين

تناولنا في الفصل العشرين أكثر جوانب حماية المسئولين . غير أننا نطرق هنا نواح من تخطيط المؤسسة تتعلق بحالة تعرض المسئول للخطر ، وأثرها على تكوين مختلف مراحل الأمن ، وأثرها على استخدام الحرس الشخصي ، وبعض مظاهر الاتصال بين الشرطة وقوات الأمن ، وبحث سياسة الاختطاف والمفدية كوسيلة وقائية .

عندما تختار رئاسة المؤسسة بعض مسئولين ، وتكليفهم بالتجوال في شتى الأنحاء ، وتكون قد وضعتهم واقع الأمر في « وش المدفع » ، فإن واجبها ينحصر عليها اتخاذ الإجراءات التي تساعد على الحفاظ على الأمن ، وعلى المسئول أيضا أن يدرك ما الذي سيخضع له ، وكيف ستؤدي الرئاسة دورها ، تمثليا لمنع مسئوليتها في حالة اختطاف رئاسها .

ولن نذكر هنا غير التزايد المستمر عن المساعيبدات التقنية للأمن ، وبصورة تعميمية بقدر الامكان . ومرد ذلك هو أن التدريب والتعليم والتوعية المستمرة من العناصر التي تحتل الجانِب الأكبر في أي نظام أمني . وبالإضافة الى ذلك ، فإن وفرة المعدات الموجودة في السوق اليوم قد تحتاج لعرضها الى ما يكاد يشبه العمل الاستكلاويي .

ولقد أوضح الفصل الثامن عشر الأخطار التي تتعرض لها الإدارة تفصيلا ، غير أننا هنا سنتجه بانظارا الى تلك التطلعات ذات الأهمية المباشرة للمسئول في عمله . وفي أغلب الأحيان ، فإن المسئولين يمثلون عنصرا عظيم القيمة من رأس مال المؤسسة . غير أن أهميتهم كثيرا ما ينظر اليه كمسألة مسلم بها بمجرد دخولهم من الباب الأمامي في الصباح ، ورفعهم لقيعاتهم أو انحنائهم برؤوسهم لتابعهم المخصص بالأمن . ان هذا

المناف بالذات هو الذى أدى الى ارتفاع معدل الجرائم . وهذا هو ما حدث فى الولايات المتحدة حيث كثيرا ما تسمع عبارة « اتفضل قدامى ! » عندما يباغت المسئول فى مكتبه بالمجرم ، الذى يصحبه بكل بساطة وهو يهلهه بمسدس الى السيارة التى تنتظره . وهناك وسائل سهلة عديدة تساعد على تخفيف هذا الخطر بدرجة كبيرة . وقد ذكر فى الفصل العشرين المبدأ الحربى « بمرعاة العمق فى الدفاع » . وتقع راسات المؤسسات عادة فى مواقع حسنة تساعد على تطبيق هذه القاعدة .

ويغض النظر عن طراز البناء ، فانه الحد الخارجى للبناء الذى تقيم فيه المؤسسة يجب أن ينظر اليه على أنه المحيط الخارجى للدفاع ، ويتعين البدء بتحديد مدخل واحد أو مدخلين ، ان أمكن ، للدخول الخارجى . وبالمقدور اجراء تفتيش زوار المبنى وحقايبهم تفتيشا دقيقا فى هذا المدخل ، ولابد من تفتيش الأوراق الرسمية ، فقد يساعد ذلك على التعرف على من يتوقع قيامهم بالاعتداء . وإذا أحسن اختيار المسئولين عن الأمن المعينين فى هذه البوابة سيكون لهم أول أثر فى أحباط نوايا المعتدين الاجرامية . وبالأستطاعة وضع أجهزة اكتشاف المصادق واستشمام المفرقات فى هذه المرحلة فى مكان آمن ، على أن تعمل بالاشعار عن بعد ، حتى يتسنى القبض على المشتبه فيهم قبل اقترابهم على ارتكاب فعلتهم النكراء ، وينصح باستخدام ترابيس تعمل من ناحية واحدة لقفول الأبواب . من النوع الذى نسميه « آكرة الحما » .

وتخصص لدخول عربات التجار بوابة واحدة ، مزودة بالحاجز المناسب وقوة من الجنود للتدخل اذا دعا الأمر ، ويجب التأكد من شخصية جميع ركاب هذه العربات . ومن الجبل العتيقة التحايل للدخول عن طريق سيارة احدى الشخصيات الهامة ، والتى يكتفى عادة بالتلويح لها باليد دون تفتيش ، ولكن هل بمقدور الحارس التيقن من عدم وجود رشاش مخبئ بين ضلوع واحد من هؤلاء الركاب ، وعلى أهبة الاستعداد للانطلاق ؟ وفى هذه النقطة ، يجري تفتيش جميع التجار وحامل الرسائل والطرود ، ويمطون تصاريح وتتيقن للمرور ترد بعد انتهاء مهمتهم ، ثم يتوجهون فى حراسة أحد المسئولين الى المكان المحدد الموعد . ويطبق هذا النظام على الزوار الخارجين . وفى حالة اتباع أنظمة مختلفة لفرز مختلف المستويات ، يستطيع استخدام بطاقة مغناطيسية يمكن تثبيتها فى الصدر لدخول المناطق الحساسة . ويتعين اتباع نظام صارم يمنع به فى حالة فقدان أية بطاقة من هذه البطاقات . وإذا كانت الراسات مخططة بحيث يجمع المسئولون عن الادارة فى مبنى واحد ، وكانهم مبرشونون فى كبسولة واحدة ، فلابد من الانتباه فى مثل هذه الحالات الى توجيه أعظم قدر من

الانتباه الى ما تحدثه المفجرات لو أصابت هذا البلد الهائل من الأهداف
المحصورة في بقعة صغيرة !

وعندما تكون الرقائبات التنفيذية صغيرة فمن المقدور ضمها في
مكتب واحد ، وبذلك يجتنب انكماش في دفاعات الصقي ، وكأننا ضمنا
جميع اختصاصات الرقابة في كيسة واحدة . والدوائر التلفزيونية
المغلقة C.C.T.V. المزودة بازوار وأبواب تعمل عن طريق الاشعاع عن
بعد ، فيها الكفاية كخط دفاعي أول ، ولكن يتميز أن يكون في مساندتها
جهاز انذار يساعد على استدعاء أية نجدة قريبة . ولو ضاعبت الظروف
حاول تدبير طريق للهروب ينتهي الى باب آخر . وعملية تجريح السيارة
من المشكلات المقلقة ، وربما كان بالاستطاعة التطفل على أية شركة من
الشركات القريبة التي لديها أماكن لايواء السيارات مؤمنة ، أو ايواؤها
في مكان به حارس يسهر على حراسة السيارة . غير أن الأفضل هو
الاعتماد على مأوى للسيارة يمكن أن يفلق .

والوقاية ضد الاعتداءات التي توجه من مكان بعيد باستعمال
الرشاشات والقنابل اليدوية ونيران البنادق والمقدوفات المضادة للمدرعات
من المسائل التي تلقى نفورا عاما ، ولكنها ضرورية من أسف في بعض
البلدان . حاول من باب الوقاية الأولية ، أن تكون مكاتب المسئولين في
مكان يرتفع بمقدار ثلاثة طوابق عن الأرض ، حتى تنحرف المقذوفات عن
أغراضها . ولربما كان التفكير في استعمال زجاج مصفح للنوافذ أمرا
مكلفا . بيد أنه بالإمكان لصق قصاصات من الأشرطة الورقية أو
البلاستيكية على زجاج النوافذ . وهي وسيلة أرخص وتحقق فائدتين :
أنها تحول دون انفجار الشظايا (كشظايا الزجاج التي تتناثر في جميع
الاتجاهات بسرعة فائقة) بالإضافة الى أنها تضعف الرؤيا من الخارج بقدر
كبير ، فتؤدي الى ارباك القناصة . وللمشيك السلوكية التي تثبت في
النوافذ فائدتها قطعا . ولا بد من علم تشجيع الآخرين على وضع تحف
أو أواني قابلة للكسر كالخزف مثلا حتى لا تنهشم بمجرد حدوث انفجار
خارجي . ومن ثم تجنب الصور الكبيرة الموضوعة في أطر زجاجية والفترينات
... الخ . وقد تنجم مشكلات غريبة من جراء قيام الجماهير بتجريح
سياراتها بجوار المكتب ، اذا كان قريبا من الطريق . ولا يخفى ما يخلط
من اضطراب اذا انفجرت سيارة مقفلة . والحل هو تعيين حارسين يقظين
يداوران المراقبة من حين لآخر . ويجب أن لا يتوانا عن الاتصال بالشرطة
أو قوات الأمن لطلب العون في حالة اكتشاف سيارة مشبوهة .

ومن بين التهديدات المتزايدة ، والتي الى جانب ما تحصله من تهديد
قد تؤدي الى الاجهاد وشغل الوقت اذا لم تتخذ اجراءات وقائية مناسبة ،

الرسائل المفخخة التي تصل عن طريق البريد العادي ، والحق ان قدرا كبيرا من الدمار قد لحق ببعض الشركات المروفة جيدا من تأثير تهديد هذه التكتيكات البغيضة . انها بغیضة لصعوبة اكتشافها ، والتفرقة بينها وبين الرسائل « الحميدة » ، ولأنها تحت اصابات فظيعة للعنء والامعاء ، وليس هناك فى الواقع بدیل لأجهزة الاشعة السينية أو أحد الأجهزة المختلفة المعقدة لتفتيش البريد . وإذا وضعت فى هذه الأجهزة واستخدمت استخداما صحيحا ، يطبع ختم دال على اقتضاح سلامة هذه الطرود أو الرسائل المشبوهة ، وإذا افترض المسئول أو الشركة الى مثل هذه التسهيلات ، فمن الواجب الاعتماد على الوعي والاستخبارات للتنبيه الى هذا الخطر . فأولا يجب مقاومة اغراء الفضول الأسمى الذى يدفع بعضنا الى تقليب الرسائل والطرود . وقد تحتوى بعض الطرود على كتابات كثيرة تثير الفضول ، كما هو الحال فى البلاستيكات plastiques ، التى تناسب تماما الاستعمال فى مثل هذه الوسائل ، لأنها تسيل بعد فترة من الزمن وتترك آثارا على شكل بقع زيتية وأحيانا مخلفات فى شكل مسحوق عندما تقبلور ، وإذا فاجت منها رائحة المارزيبان marzipan . كان هذا دليلا على احتوائها على بعض المفجرات الشائعة للنهاية . فالزمن الحذر ! أما اذا كانت القنبلة قد أحسن صنعها ، ووضعت فيها المفرقات بمعرفة أحد المحترفين فانها لن تحتوى آتقذ على أكثر من علامات قليلة تمكن من اكتشافها بالحواس البشرية !

ابتعد عن اغراء شق أو فتح أطراف المظروف أو الطرد للاطلاع على ما بداخله . فربما صممت القنبلة بحيث تنفجر اذا فعلت ذلك . فكثيرا ما يكون الثقب الصغير الذى أحبطته فى المظروف كأنه رفع لمسار الأمان ، وإذا شامت المظروف أن لا يفتتح الطرد بغد إمسالك به قسارح . ينقله الى مكان آمن ، انتظارا لمقدم الخبرة . ولا تضع الطرد فى الماء لأى سبب (كما حدث فى كثير من الأحيان) فيقينا سيترتب على ذلك تشغيل أية دائرة تصل كهربائيا ، ولربما ساعد على زيادة توعيتك اذا عرفت الكثير من الأشياء . فقلقد حدثت تفجيرات قنابل عديدة حديثا باتباع هذه الوسيلة ، اثر تهديدات خاصة ، وعن طريق البريد المسلم باليد وغير المتوقف ، والمظاريف المستمكة متمكلا غير عادي (زيادة عن ستة مليترات) والثنى ثم يكن أحد ينتظر وصولها ، ولم يكن عليها عنوان : فى ظهر المظروف يدل على شخصية مرسلها ، وعليك بكل بساطة أن لا تستبعد مثل هذه الأشياء بحكم طبيعة عملك وموقعك .

وببدأ الأمان من المكتب سواء أكان بالبيت أو فى محل العمل الرسمي . وفى خلاصة تعليمات الأمان قلد لا يبدو التليفون من بين مصادر

«التهديد ، غير أن عدد الأخطاء التي حدثت عن طريق هذه الوسيلة الاتصالية لا يكاد يصدقها عقل ، ويساعد اتباع القواعد البسيطة على تجنب الكثير من الهفوات . وعليك البدء ب لصق ورقة على التليفون لتذكرتك وتذكركه العاملين معك ، بحيث تراها بطريقة تلقائية عندما تشرع في إجراء أية مكالمة أو ترد على مكالمة أخرى . احرص على التحكم في محادثاتك التليفونية ، وبخاصة المكالمات التي تستقبلها . وحذاري من التطوع بذكر معلومات عن المواقع والتحركات والشخصيات ، وعندما توجه مثل هذه الأسئلة الى العاملين معك ، لابد أن تحال اليك ، ومن بين حيل الارهابيين عادة الأسئلة «التوكيدية » على سبيل المثال : « لقد أعطاني المكتب أو المنزل هذا الرقم ، وقال ان فلانا سيكون هناك . هل هذا صحيح ؟ » . ومن الضروري ، تدريب العاملين على الحرص عند الرد على مثل هذه الأسئلة وهذه الحيل بأجابات مهذبة خالية من المعلومات . وإذا سئلت سؤالاً فقم بدورك بتوجيه سؤال مضاد ، حتى تتحقق من اسم من يطلبك ورقم تليفونه ، فمثلا :

— هالو — هل هذا رقم جون دو ؟

— صباح الخير يا سيدى ، هل أعرف من يحدثنى ؟

فلا داعى لاعطاء أية معلومات ، والردود المهذبة تشعر طالب المكالمة بالاحباط مما يدفعه الى التظاهر بالفيظ والضييق . وبمقدور العاملين الالتجاء الى العذر « المصرى الشهير » بأنهم مجرد موظفين (عبيد المأمور) . ووفقا لنفس الامارة ، لا تذكر اسمك أو اسم الشركة عند الرد على أية مكالمة تليفونية ، واكتفى بذكر رقم تليفونك ، وتجنب مثل هذا الرد : « . . التليفون عاطل مؤقتا . . » واكتفى بسؤال طالب المكالمة عن تفاصيل ما يريد الإبلاغ عنه .

و « والحرس الخاص » bodyguard من بين المهام التي يساهم فهمها كثيرا في ميدان الأمن ، وهذا الميدان حافل بأصحاب الأجسام العريضة والعضلات من أمثال « ماشيست » ، الذين ربما أثبتوا براعتهم في معارك المقاهى والحوارى ، ولكنهم عديمو الفائدة في عالم الحياة العملية . ويضم فن الحراسة الخاصة معرفة بالفنون القتالية ، ولكنها تجيء كإجراء أخير . أما فى البداية والصدارة فيتمتعن بالتصدي للاعتداء بطريقة دبلوماسية وعقلانية ، قبل أن يتحول الموقف الى حالة تتطلب المهارات القتالية ، التي تعد قانونية الأهمية ، ولا قيمة للحرس الشخصى اذا عمل بمفرده فى حالات الاعتداءات المخططة على خير وجه ، ومن ثم تجيء ضرورة وجود الأقترقة التي تعتمد على اتصالات جيدة ، والمستندة الى مخططات محكمة . وقد يحتمل أن يكون تحقيق هذه الغاية بعيد المنال حاليا من قبل المسئول من رجال

الأعمال ، ولربما ينصح في كثير من الأحيان بالاكْتفاء باستئجار حرس مفرد لسهولة تدبير ذلك . ان هذه مسألة جوهرية ، وعندما تنوى التعامل مع شركة خاصة أو وكالة خاصة يجب أن تكون قادرا على اعطاء صورة كاملة لما تريد والعمل الذي تقوم به ، وأسلوب حياتك الشخصي ، حتى يستطيع تقديم قائمة صغيرة تختار من بينها الأنسب . وكلما تيسر وسمح الوقت ، عليك أن تصر على الاختيار بنفسك . وستكون أنت والحارس قريبين للغاية خلال ساعات العمل ، ومن الضروري أن تشعر باستهواه نحوه من البداية .

ويتعين أن يكون حارسك الشخصي شخصا بارعا للغاية ، قادرا على تعريفك بطريقة ذكية ووافية بمسألة أمنك ، ولا بد أن يكون على دراية كاملة بالبلد الذي تسافر اليه ، وأن يكون قادرا على تحذيرك مسبقا بالانحاز المحتملة في المطارات الرئيسية ، وأن تتوفر له فكرة أساسية عن التهديدات التي تواجهها . ويجب أن يكون ملما بالمهارات القتالية ، سواء استعمل السلاح أو لم يستعمله ، بالاضافة الى معرفة حسنة بالاسعافات الأولية ، ويجب أن يلم أفضل المام بتفتيش الأبنية والسيارات وغرف الفنادق ، الى جانب اعادة قيادة السيارة في حالات الدفاع والهجوم . عليك أن تتحقق من جواز سفره ورخصة القيادة الدولية ، وشهادات التجهين ضد الأمراض التي تطلبها الدولة التي في نيتك السفر اليها بصحبته ، واذا كنت تنوى مصاحبته لك في واجبات اجتماعية أو مصلحة هامة ، فلا تنس أن تخطر بذلك ، وأن تتأكد أنه لديه التسهيلات للحصول على الملائس الضرورية (كسترة السهرة أو بدلة غامقة - على سبيل المثال) - تحقق من درايته بمتطلبات الانيكيت ، السائلة في البلد الذي ستسافر اليه ، فاذا رضيت عن لياقته للاضطلاع بالمهمة ، فاقبله كخبير ، واعمل بتصحيحته . بطبيعة الحال ، ليس بمقدورك أن تضع على كاهله المسئولية كاملة ، فاشترك معه في هذه المسئولية ، وناقشه بصراحة في المشكلات التي تعترضك ، ولا تحاول أن تكشفه أو تقضضه . فان له خبرة في ميدانه مماثلة لخبرتك في ميدانك . وبوجه عام ، بمقدور الحراس الشخصيين الممتازين أن يحصلوا اختيار اصحاب العمل بسهولة تفوق قدرة المسئولين على اختيار حراسهم .

تجنب اعتبار الحرس مجرد رمز مظهرى يدل على مكانتك . ان جانباً من قدرته على حمايتك يعتمد على علم ظهوره بهذا المظهر ، ومن ثم فان عليك أن تقدمه للآخرين كصديق أو زميل ، وبوسع أى شخص له استعداد طيب بعد تلقينه القليل أن يثبت وجوده في أى حديث دائر دون أن يكشف مهمته الحقيقية . واذا رأيته يقرع أمرا اليك كان يقول لك مثلا :

« انزل ! » فنفذ مطلبه ، فلققه قبل هذا الرجل مسئولية حماية جسمك بتعرض جسمه دون أن يصيح : « الذئب ! الذئب ! » ، وإذا توطلت الصداقة بينكما ، فلا تلتج له بأين تود أن تراه في المستقبل . وإذا كنت من أصحاب الوظائف المرموقة ، فانه سيبدل قصارى جهده لكى يستمر دائما فى خطعتك .

وضباط الاتصال الذين يتعاونون والشرطة وقوات الأمن من الجوابب. الخداعة فى بعض البلدان . وعندما تتعامل مع مجتمع مستقر ومنظم - ولكنك تعرف أنك معرض لخطر شخصى - فقد جرت العادة على أن أفضل ما يمكن أن يجرى هو اجراء الاتصالات بطريقة مباشرة بأقرب نقطة شرطة . فاصعل على أن توضح لها المصدر الذى يهددك ، وأذكر على وجه التقريب ما الذى يتوقع أن تقوم به . ولن تقدم لك الشرطة الحماية المطلوبة . ولكنك ستكون قد قطعت شوطا بعيدا تجاه الاطمئنان الى أنه فى حالة حدوث شيء جديد يشغل بالك ، فانك ستلقى اذا ما صاغية على الفور . وإذا تكبدت هذه المشقة فى بداية المشوار ، فان عليك أن تكررهما فى نهاية المطاف خصوصا اذا كنت ستعاود زيارة هذا البلد ، أو سيقوم أحد زملائك بذلك ، ويقابل أى فعل خير تقوم به الشرطة بالامتنان . ولكن عليك أن تتأكد أن هذا العمل قد قدم لجهة نظامية أصيلة ، ولم ينظر اليه من قبيل الخطأ على أنه رشوة ! . وعند زيارة البلدان الأقل استقرارا ، فانك ستنتصح - كما يخطر - بالاعتماد على نفسك فى كل شيء . وبدلا من أن تركز الى ذلك قم بتنبية سفارتك أو موظفى القنصلية بقدموك . وأخطرهم بالتهديد الذى تتعرض له ، ثم ركز على عملية تصحيح اختيار شخصك كهدف .

وكما ذكر مرارا، فان مساعدات الأمن ضرورية فى حالات «الاختطافوالقندية» . Kidnapping & Ransom (*) . وينصح كثيرون بذلك ، وان كان هذا الاجراء موضع ازدراء آخرين ، وربما كان الأفضل هو وضع النقاط على الحروف ، واشراك المؤسسة ومسئوليه المتجولين فى هذه العملية . وأمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية ، وأيضاً إيطاليا وكورسيكا وسردينيا من البلدان التى تقع ضمن المناطق الخطرة ، حيث يعد الاختطاف السياسى والاجرامى على السواء صناعة رابحة . والمبالغ التى تدفع كقندية فى تصاعد فى هذه البلدان . ولا تنسى المبالغ التى يدفعها التمساء بحماقة عندما يتصرفون بغير استماع لنصائح أصحاب الخبرة ، نعم أنها ياهظة بدا فيه الكفاية بحيث لا يستبعد أن تؤثر تأثيرا سينا على رأس مال المؤسسة .

يؤدّد تؤدّي الى افلاس الأعمال الصغيرة ، وخراب بيوت بعض العائلات والأفراد . ويدفعنا امكان التعرض لخسارة مالية الى القبول بلا قيد أو شرط للتأمين ضد الإصابة والحرق واللصوصية ، ٠٠٠ الخ ، فما الذي يحول دون قيامنا بالتأمين ضد خطر معروف آخر ، ربما كان فاتحة مصاعب مالية أشد ؟ فأين هو الشيء الذي يتنافى والأخلاق في هذا التصرف ؟ ان أصل الاختلاف يرجع الى أن التأمين في حالة « الاختطاف والغدية » ، لن يحدث أى أثر ، لو احتفظ به كسر ، وقد أدى هذا الشرط الخاص بالحفاظ على السرية الى كتمان أمره ، وانتهى به الأمر الى وصفه باللاشرعية . في بعض البلدان خوفا من تدخل قوانين الضرائب ، وترتب على هذه اللاشرعية أن أصبح أمر هذه الناحية بين أيدي سماسرة قلائل . ومن هنا تحولت هذه الناحية الى ناحية متخصصة وحساسة للغاية من عالم التأمينات .

وكثيرا ما تواجه هذه الحقائق العميل المحتمل . اذ تتخذ العروض الباهظة التكاليف التي تقدم له شعار ميذا اقبلها أو اتركها . take it or leave it . ولا وجود لسمسار يقبل التأمينات الكبيرة ضد الحريق أو الشجنات الكبيرة بهذه الطريقة . وليس هناك ما يدعو الى النظر الى K & R على أنها استثناء من القاعدة . فما الذي يفصله اذن العميل المنتمي الى مؤسسة اذا أراد التأمين ضد التهديد بالاختطاف ؟ ولجملة سنوات ، كانت شركة التأمين لويدي في لندن تقبل التعرض لهذا الخطر . وكان هذا يتحقق عادة عن طريق صك تأميني تعويض يدفع بموجبه العميل المبلغ الذي سيطلب كقدية على أقساط من حسابه الخاص . على أن يسترد ما دفع بعد قيام شركة لويدي بالتقدير بعد فحص ما جرى في حادث الاختطاف كاحتياط ضد احتمال الغش (أو التواطؤ ، كما حدث بالفعل !) . وفي هذه الحالة يتعامل العميل هو وأحد السماسرة ، وليس مع أحد الموقعين على صك التأمين ، الذي من حقه الحصول على الأتعاب في حالات الاختطاف بوصفه مستشارا متخصصا قد زود العميل بالنصائح في جوانب الاجراءات الوقائية التي يتعين أن تتخذ ضد التهديد بالاختطاف لو شاء حفظه المنكود أن يقع ضحية . وترمي العملية الاستشارية في تأمينات K & R في المقام الأول الى الاقلال من احتمال الخسارة بتدريب العملاء وتعليمهم . فليس بمقدور أى مبلغ من المال يدفع للمضحية أن يكون تعويضا بالغنى الصحيح للكلمة ، اذا حلت به هذه الحنة ، وبذلك تكون هناك مصلحة مشتركة بين العميل والموقع على صك التأمين .

ويظهر الموقف الملبد بالغيوم عندما يمين الوقت لاجراء العملية التي تسلم فيها القدية الى الارهابيين . وتختص هذه العملية أساسا بتحديد

ما الذى يضمن دفعه لاطلاق سراح الضحية ، وكثيرا ما يجزى السؤال
الآتى : « هل هناك تعارض فى المصلحة بين وكلاء الموقع على صك التأمين
والضحية المؤمن عليه ؟ » ، ومبلغ التأمين الذى يحقق الاجابة بالايجاب
غفل هذا السؤال لابد أن يكون مرتفعا فى قائمة حساب العميل المحتمل ،
وقائى الاعتبارات هو مقدار معرفة السمسار الذى سيكلف بعملية التفاوض
بمناطق بالذات فى العالم ، وعلى الرغم من أن أحداث الاختطاف ، وما يعقبها
من حيل تتشابه فى مختلف مناطق التهديد ، إلا أنه يصح القول بأنها
لا تماثل تماثلا كاملا ، ومن هنا يكون التخصص فى منطقة جغرافية محددة
ميزة واضحة . ويستحق أولئك الذين يساعدون فى عملية التخطيط
والاستشارة فى الأرض التى حدث فيها الاختطاف أتعابا اضافية لا يمكن
انكارها ، فلما كانوا يعملون لصالح السمسار وحده ، فمن هنا سيكون
من السهل اتباع مبدأ « الزبون أولا وله الصدارة » دون تعرضهم لسحب
المشكلات والانهزامات بأنهم يعملون لصالح الموقع على صك التأمين . وإذا
فحصنا مناطق التهديد فى مختلف أنحاء العالم ، سيتيسر التعرف على
أفضل التجار والسمسرة المتخصصين فى حرفة K & B ولنرجع الى أحد
الأمثلة - وإن لم يكن أفضل نموذج فى هذا الشأن - من إحدى المناطق
شديدة التعرض لاختطاف الاختطاف ، ولدينا شركة تسمى K.R.I. وتتخذ
ميامي قاعدة لها ، ولقد تخصصت هذه الشركة فى أدوار الوساطة بين
الزبائن وشركة لويدي فى لندن فى كل ما يتعلق بعمليات المنطقة الجغرافية
الخاصة بجنوب أمريكا (مع التركيز على بلدان أمريكا اللاتينية) .
واستطاعت الشركة باتباعها المتبصر لمبدأ « الرافعة » بالجملة أن تحقق
وفرا كبيرا فى الأسعار لصالح عملائها ، وتعتمد عملياتها برمتها على دعم
من الخدمات الاستشارية الموجودة فى البلد الذى جرى فيه الاختطاف
بالاضافة الى التدريب الوقائى للمؤمن عليه ، وابداء النصح بطريقة
التفاوض والمختطفين لو احتاج الأمر لذلك .

وباختصار فإن التأمين على الاختطاف ، وما يجره فى ذيله من كسب
يعد عاملا يجب أن يصل له كل حساب الى جانب الحرص على التدريب .
واتباع الاجراءات الوقائية التى ترمى الى تأمين المسئولين ، والتى قد تمد
ركنا هاما فى مظلة السلامة الشاملة .

٢٢ - الأسر والأتباع

من بين جوانب الأمن التي تشغل بال المسئول - سواء كان في مكتبه وسط المدينة ، أو في مكان قصي من العالم - سلامة عائلته ، وتحرم رئاسات المؤسسات على مراعاة هذا العامل ، كما تراعى ما تحدثه مثل هذه المشغوليات من تأثير على كفاية المسئولين ، فعلى أقل تقدير ، أنها ستدفعها الى التعاطف على مثل هذه الاهتمامات ، وستتخذ بعض الاجراءات الخاصة بالتخفيف من آثار هذه المشكلة . وفي المحصلة الأخيرة للبحث والتحليل سيبين أن تأمين الأسرة هو مسئولية الشخص نفسه .

هنا ثمة اعتبارات أكثر من مجرد تصعيب اتخاذ المسئول هدفاً للارهاب . اذ سيصبح رفع مستوى الحياة ربما أكثر أهمية ، ناهيك بالاحتياجات التعليمية والداخلية ، التي يضمن توفيرها بأحاساس مرهف . وليس من شك أنه اذا تعرض أحد المسئولين للخطر من قبل أولئك الذين قد يقتلونه أو يختطفونه من أجل الضغط عليه ، أو لابتزاز فدية تدفع فوراً ، فإن عائلة المسئول أيضاً ستصبح أكثر في خطر . ولعل اختطاف الزوجات والأطفال - لو حدث أى منها - ستكون وسيلة أشد فاعلية للسلب والنهب ، تفوق في هذا الشأن اختطاف أحد رجال الأعمال . فهي أكثر عاطفية . وقد يكون الأتكى من ذلك التهديد باغتصاب النساء ، وغير ذلك من المزعجات ، عندما تكون الضحية امرأة أو طفلاً .

فما الذى يوسع رجل الأعمال أنه يفعل لتعزير أمان أتباعه ، عندما يكون هو نفسه غائباً عن بيته . ومرة أخرى نقول ان إجراءات « تصعيب الهدف » مسألة تدريب ، وتعتمد الى حد كبير على قواعد وتقنيات مفسرة بعناية ، على أن هناك بعض مشكلات ستترتب على اعتقادك بأن أول شيء

تخشى حدوده هو تعرض أسرتك لضغوط غير لائقة وزيادة ازعاجها ، بحيث تصبح أحوال معيشتها لا تطاق . فقد يترتب على ذلك التوقف عن الانتاج ، ومن هنا فإن أول درس يجب أن نعيه هو ادارة عملية تعليم الزوجة والأسرة بحكمة وجدية ، بغير اعطائهم أية ذريعة للذعر . وأفضل من يتولى هذه المهمة ويحسن حساباتها هو من يعرف الأسرة أفضل معرفة . انه الزوج .

ولقد زدنا الفصل العشرون والحادى والعشرون بالكثير من اقواعد والتعاليم التى يمكن تطبيقها على الأسرة ، مثلما أمكن تطبيقها على المسئول نفسه ، يعنى التبصر والحرص عند استعمال التليفون ، وتجنب الروتينيات المنتظمة (ان أمكن) والبوابات ، والاعتماد على المفهومية والبداهة . على أن هناك جوانب أخرى من الحياة فى حاجة الى تناولها فى ذاتها . وتخص الاتباع ، وإذا اتضح أن بعض الملاحظات الآتية منفرة ، فعلى القارئ أن يتذكر أن هذا الموضوع يخص مسائل الاعتداء وما أكثرها . وأن هذه الملاحظات وليدة التجربة .

ونقطة البدء ، كما هو الحال دائما ، هى البيت . وتجيء على رأس القائمة حقيقة وجوب فهم الأسرة فهما تاما الأسباب الكامنة وراء الاجراءات الأمنية ، وضرورة وثوقها منها ، وأنه ليس بالثقة السيء الاعتماد على الحكايات والطرف فى التدريب المبذول للعائلة ، وبخاصة عند التعامل والأطفال . ثانيا - من الضروري أن يعرف كل أفراد الأسرة والصفالة أين يطلب العون تليفونيا ، أو اعتمادا على التليفون اللاسلكى فى أى لحظة من النهار أو الليل . ومن الأمور الواضحة ، وإن كانت رغم ذلك كثيرا ما تتجاهل ، أنه بغض النظر عن شخصية من يتصل به لطلب العون ، فمن الواجب تعريفه تعريفا كاملا بماهى التهديد ، وعلى الرغم من أن هذا التصور قد يبدو بدويا - وأنه كذلك حقا - إلا أنه قد ثبت من الحقائق أنه لا يلزم أن تكون الشرطة أو رئاسة المؤسسة هما أول من يتلقى الانذار ، وعلى الأنض إذا كانت الأسرة تعيش فى منطقة نائية عن المدينة .

وتمشيا مع المبدأ الحريمى ، الذى كثيرا ما تردد فى هذا الكتاب عن ضرورة مراعاة العمق فى الدفاع ، فلا بد أن تبحث أولا مسألة حماية البيت . وثمة حد فاصل حسن يفصل بين ما هو مقبول ومؤثر من اجراءات الأمن والاجراءات التى تقيد الطريق الطبيعى للحياة ، وتجعلها صعبة الاحتمال ، ويمتدور المسئول وعائلته وحدهما تحديده أين يوضع هذا الحد الفاصل ، ولكن جذارى من الميل المائل ليهول المصابين بالبارانويا ، الذى يجنح

الى العقلية السانجارية (*) . فقد يؤدي هذا الميل في ذاته الى قهر النفس بحكم ما يتضمنه من اعتماد كلى على تصور يؤدي الى الاخساس الزائف بالامان ، وتبذل الحواس ، وفقدان الوعي بالتعبية ، فليتك أن تتبع العقل وتندع الحياة تسير قريبا من الحياة الطبيعية بقدر المستطاع ، على أن تلزم بالحيلة التى تكتسبها من ادراكك السليم للأسباب والتساؤلات حول البر فى وجود هذه القواعد البسيطة :

والتحيار البيت الذى تقيم فيه أمر هام ، غير أنه من المسائل التى لها وزنها أن هناك أوضاعا تفرض عليك ، وربما تكون هذه الأوضاع خارج سيطرة المسئولين كالتاحية المالية والمكان الجغرافى وطبيعة الخدمة المنزلية فى بلد بالذات ، وبوجه عام بالاستطاعة تصنيف البيوت من حيث صلاحيتها الى مستويات تبعاً لهذا الترتيب التنازلى .

شقق الأديار الثانية ، وما يعلوها من شقق فى العمارات ، مع وجود جراج داخلى ووسائل وقائية ، اعتمادا على مفاتيح خاصة ، ووجود حراس للاتصالات والامن (مع افتراض توفر المخارج الصالحة للاستعمال عند الهروب مثل المخارج التى تستعمل عند نشوب الحريق) .

البيت الواقع فى ارض مستقلة خاصة به ويوفر حرية اقامة نظام دفاعى يتم على مراحل . وتكون الناحية المالية ميسرة .

هناك بيوت أخرى تتدرج فى مدى ملائمتها ، شريطة امكان تدبير اماكن داخلية تصلح كملاجئ للامان عند الطوارئ .

ان البيت الذى يقع فوق ارض مستقلة خاصة به هو أنسب مكان لتوفير الامان ، والمظهر الخارجى للبيت له أهميته لسببين

أولا - البيت الذى يتخذ مظهر المقر المحمى حماية حسنة يبعو كمكان حصين قادر على صد أى عدوان ، ولكنه قد يلفت الأنظار الى من يشغله . فربما أثار تطلعات حب الفضول عند المجرم وقد يدفعه للقيام بعملية معاينة ضد « هدف » لم يخطر بباله حتى الآن .

ثانيا - العقلية « السانجارية » التى نوهنا عنها يمكن تشجيعها على الإقامة فى مثل هذه الاماكن باعتبارها اماكن محصورة للغاية . ومن

(*) Sangar Mentality « سانجار » عند الهنود نوع من التصبنات الهشية للزينة التى لا تحقق أية حماية .

المؤثرات على مثل هذا النوع من البيوت ، حجم العقار والمسافة التي تفصل بين المحيط الخارجي والمسكن .

والمثل الأعلى لتحسين البيت هو إقامة سور ارتفاعه من مترين ونصف المتر الى ثلاثة أمتار من البناء المتين يعلوه حاجز Sabre tipe يرصع فيه السلك الشائك بشرائع معدنية حادة مبطة أشبه بشمغات الحلاقة ، والذي يفضل على الحاجز المكون من أسلاك شائكة) على أن يزود بأجهزة إنذار ، عليك أن تبدأ هذه البداية « كمثل أعلى » ، عليك أن تتلج في تكوين الحاجز بحيث يتناسب واحتياجات الأفراد وقوانين الدولة . ومقدار تدخل الرؤيا التي يمتدور الفرد تحملها ، والمبدأ الذي يسترشد به عند إقامة البوابات هو أن تتوافر لها نفس المكانة التي تجعلها وسيلة دفاعية ذات كفاية كالمحيط نفسه . وعلى رأس الوسائل الوقائية ، بالإضافة الى البوابة التي تفتح وتغلق بجهاز الاشعاع عن بعد ، وجود جهاز C.C.T.V من أفضل نوع ، ومعدات اضاءة لالقاء الضوء على مختلف الارتفاعات ، وبخاصة المستويات الدائنية ، وأجهزة تصوير ، وجهاز entry phone للتعرف على الزوار عن بعد .

وتساعد اضاءة محيط البناء على تعويق المعتدين ، ولكنها كثيرا ما تتعرض لاساءة الاستعمال . وإذا وجد جهاز الانذار فانه سينزودك بانذار مبكر ، ومن ثم فمن المعقول أن توجد اضاءة تثير المنطقة الواقعة بين نقطة الانذار والخط الثاني للدفاع . ولما كان هناك احتمال أن يكون الخط الثاني للدفاع هو الجدار الخارجي للمسكن ، ولا يرغب شاغلو البيت أن يغشى بصرهم من مواجهة الأنوار الساطعة ، فليس هناك ما يحول دون جعل هذه الأنوار تشع الى الخارج ، وتغطي الأرض المجاورة ، والتي يجب أن تخلو من أى أشياء يستطاع الاستتار فيها من قبل أى مهاجم عند اقتربه ، وبلغة العسكريين ستكون هذه التغطية الضوئية أشبه بمنطقة نيران . وإذا اتجهت النية الى الاستعانة بكلاب ، فيجب مراعاة أن الحيوان المدرب وحده هو الذي يحقق فائدة ، وهناك الكثير من « حيل الحرفة » في حيلة ترسانة المجرمين . فيمقلوهم تحويل حتى أفضل الحيوانات الى عناصر معوقة لهذا التصور ، ويكرر المؤلفان التحذير من الاحساس الزائف بالأمان الذي يوحى به وجود الحيوانات .

وفيما يتعلق بآبواب الخط الثاني للدفاع أو الخط المباشر (الجدار الخارجي للبيت) عليك أن تسترشد بالبداية وأن تسأل نفسك السؤال الآتي : هل أنا مضطر لفتح هذا الباب لمعرفة من القادم ؟ وربما بدت هذه النقطة بينة ، وإن كانت كثيرا ما تغفل في الأنظمة الدفاعية ، ولولا

ذلك لوصفت هذه الأنظمة بالامتياز ، وفتحات اختلاس النظر (ولعله يقصد للزاعل بلبعة المسكرين) والأنوار الكاشقة والسقاطات والترابيس التي تنفتح من ناحية واحدة (الناحية البعيدة عن المقتحمين) والتركيبات التي تحث أصواتا مزعجة ، من المقومات الضرورية لتأمين الأبواب ، وإذا أرغبت مكبر الصوت فى المداخل أو أى جهاز مركب على الباب على الوقوف فى مكان معرض لكى ترد على الطارق ، فعليك أن تعمل على تركيب حاجز يحميك من الرصاص والاصابة من نيران الرشاشات ، قلل عدد الأبواب الكثيرة الاستعمال الى أقصى حد أدنى . وتذكر احتمال الحاجة المستمرة الى طريق للهروب كجانب من الخطة الشاملة للأمان .

والنوافذ فى أى دور من الأدوار ، وإيا كان موضعها مصدر خطورة . . . عليك بإزالة جميع الوسائل الطبيعية وغير الطبيعية التي تساعد على التسلق الى نوافذ الطابق العلوى . وإذا ساورتك أى شكوك ، فما عليك الا أن تجرى نفس الاجراءات التي أجريتها فى فتحات الطابق السفلى . فقم بتركيب قضبان حديدية للنوافذ اذا أردت جعلها مأمونة الجانب ، عاين المكان معاينة دقيقة ، ولا بأس من تركيب ستائر من الأقمشة الحديثة التي تستعمل كستائر ، وتسمح برؤياك لما يدور بالخارج ، ولا تسمح لمن بالخارج أن يراك ، وقد سبق شرحها فى الفصل السابق ، وكلما ازداد احتمال عدم متانة الجدار الخارجى ، ازداد بالتبعية ما يجب أن يوجه من انتباه لتقوية الملجأ الداخلى ، وتنطبق القواعد الداخلية الآتية بنفس القدر على الشقق والمساكن المستقلة ، كليهما :

وبالإستطاعة اختيار الملجأ الداخلى فى أية غرفة مناسبة فى البيت ، بحيث تساعد على مواجهة الموقف ، على أن تجهز تجهيزا خاصا تراعى فيه حالة الضغط الجوى .

● يراعى سرعة وصول جميع أفراد الأسرة إليها فى جميع الأوقات ليلا ونهارا .

● توافر اتصالات خارجية بينها وبين نقط المعاونة المباشرة ، ويستحسن استعمال تليفون لاسلكى .

● يحتفظ بدفتر تدون فيه فصائل الدم وأرقام تليفونات الطوارئ وأرقام كود اللاسلكى ، كما أشير فى الفصل السابق .

● من الضروري الاحتفاظ بحقيبة أدوات طبية من أحدث الأدوات للميسورة .

● الغذاء والماء ، ويراعى بوجه خاص توافر احتياجات الأطفال .
ولا بأس من تخزين كميات اضافية من هذه الضرورات إذا دعت
الحاجة .

● يحتفظ بالأسلحة التي أعتيد الاحتفاظ بها في المنزل بهذه
الغرفة .

● قبل استعمال أى سلاح ناري ، ادرس أخطار إطلاقه في الأماكن
المحصورة . ويجب أن لا يستعمل الا كملأذ أخير .

● احرص على توفير لعب للأطفال لشغل انتباههم .

● تساعد نقط المراقبة من خلال الفتحات والمزاغل على تعريف
شاغلي الغرفة بما يدور في الخارج ، حتى يطلبون العون ،
أو يخطرون الشرطة على الفور ، والذين قد يكونون في طريقهم
لتقديم النجدة المطلوبة .

ان هذا هو آخر خط دفاعي تتحصن فيه ، ومن ثم فيجب ان تكون
النوافذ والأبواب مؤمنة بقدر المستطاع . ولتكت تبيت بجسدية اماكن
تصفيحها حتى اذا كنت لم تجر عمليات مماثلة في أى جزء آخر من
البيت .

وتعليم العاملين بالمنزل ، وتدريبهم حافل بالمشكلات ، وبخاصة اذا
كانوا برفقة الأسرة منذ عهد بعيد . ولكن لا تنسى أنهم ليسوا من
الأسرة ! بغض النظر عن الفترة الزمنية الطويلة التي أمضوها في
صحبتهم ، فليس بمقدورك أن تمنحهم نفس القدر من الثقة التي تمنحها
لزوجتك ، أو لأحد أبناء أسرتك ، ممن ترتبط بهم برباط حميم . عليك
أن تطبق مبدأ « الحاجة للمعرفة تطبيقا صارما » . اتبع قواعد بسيطة
عندما تنتقي العاملين بالمنزل ، فالمعلومات عن خلفيتهم ، باستطلاع رأى
من عرفهم قبلك أمر ضروري ، **ويجب التحقق منها** . ويتعين الاحتفاظ
بمستنسخات من جميع أوراقهم الشخصية في مكان آمن في خزانة
بالملاجئ ، أو في خزانة مستأجرة في البنك ، وفضلا عن ذلك ، فيجب أن
يعرف هؤلاء العاملون أنك قد اتخذت مثل هذه الاجراءات الوقائية .
حاول أن تتعرف على العاملين بمنزلك بقدر استطاعتك ، فقم بالتعرف على
أحوالهم الشخصية ، وادرس عاداتهم وتعايرهم ، لأن جميع هذه العوامل
لا يستبعد أن تكون ذات قيمة ، ونذيرا مبكرا لك ، قبل أن يتعرضوا
للتنكيل فيضطرون الى تقديم معلومات عنك وعن أسرتك . عموما فائنا:

نكرر أن العاملين بالمنزل من أكثر النقاط تعرضا للخطر . وكما يقول لنا التاريخ ، ان الكثير من عمليات الاغتتيال والاختطاف قد بدأت من عندهم .

وعلى الرغم من أن وجود الأطفال بعد الزواج يكون شيئا مبهجا ، الا أنه عندما ينشأ موقف تهديدي ، فانهم يصبحون مصدر اشكالات رهيبية . والأطفال مغرمون بالزهو ، وألذ شيء عندهم هو مضغ « المستيكا » والتفرج على الدراما . وإذا ذكرت سرا ما للأطفال فكأنك تخاطر بنشره في شتى الأتحاء ، وهذا أمر خطير ومحتوم أيضا . فأقبل هذا الأمر على علاته ، ولا تدع ذلك يدفعك للكشف عن جميع إجراءات الأمن لهم ، واكتفى بتوضيح الوقائع لهم بطريقة بعيدة عن التهويل ، وبالقدر الذي يسمح بتوعيتهم . وعليك أن تعرفهم بعض القواعد البسيطة ، التي يمكن عرضها جميعا بطريقة مستترة ، وإرجاعها الى أسباب مختلفة ، ويذكر أمثلة من باب المشابهة كأن تحدثهم مثلا عن أحداث التوضيح للتحرش والازعاج أو حتى عن التهديد بعملية سطو بسيطة .

يجب أن تصر دائما على معرفة أين ينهب طفلك أو أطفالك ، مع توضيح لماذا تحتاج الى هذه المعلومات ، وإذا فعلت ذلك فلا بد أن تعرفهم بالمثل بإخبارك ، وأن تخطرهم برقم تليفون المكان الذي يمكن أن يجدوك فيه ، لو اضطرت الى تركهم وحيدين بالمنزل . بذلك تكون قد اتبعت مبدأ المعاملة بالمثل . ففي هذا العالم الشذر نزر الذي يتعرض فيه الأطفال للأعمال الاجرامية ، لم يعد مستغربا الآن أن يتعلم الأطفال في المدرسة والمنزل على السواء عن الأخطار المترتبة على التحرش مع الأجانب أو قبول الركوب في سيارات الأغراب . ولا بأس من أن تتوسع في الكلام في هذا الموضوع بتحذير أطفالك وافهامهم أنهم قد يسألون عن أين يعمل والدهم والديتهم وعن تحركاتهم وعاداتهم . اغرس في أمخاثلهم أهمية تعريفك بالمحاولات التي جرت معهم للاستفسار عن بعض أشياء ، وشجعهم على تذكر أكبر قدر مستطاع عن المظهر الخارجي لمن وجها لهم هذه التساؤلات ، وطريقتهم في الكلام ، تذكر ميل الأطفال للنبالفة ، والاغراق في الخيال ، فانتبه لذلك اذا كان ما يقولونه لك سيؤدي الى اتصالك بالشرطة .

عرف الأطفال بأنك قد تلجأ الى احدي الجيل ، وهي نقل رسالة زائفة ، كثيرا ما تتخذ شكلا دراميا بقصد تخليص أحد العاملين بالمنزل ، أو أحد أفراد الأسرة ، ومساعدته على الخروج من باب أو بوابة محكمة

الحراسة - عرفهم اعتمادا على تعليمات بسيطة قن الرد على التليفون - وتأكد بوجه خاص أنهم لن يتخلوا عن اتباع هذه الطريقة عندما يتصادف وجودهم بمفردهم في المنزل ، عرفهم أوليات الوعي بما يحدث في الرحلات والتنقلات الخارجية - فبقدر الامكان عليهم أن لا يصعدوا الى الأوتوييس أو ينزلون منه في نفس النقطة كل يوم ، الا اذا احتتموا بصحبة أطفال آخرين أو بأولياء أمور هؤلاء الأطفال الذين يكونون في انتظارهم أو مرافقين لهم ، بلقهم الرسالة الآتية : اذا شسعت بأى شسك ، فلا تنزل من الأوتوييس ، واستمر في الركوب محطتين أخرتين ، ثم اتصل بوالديك .

وفيما يتعلق بالمرافقين ، فانه من المتعذر أن يعترفوا بما يفعله مختلف أصدقائهم ومعارفهم ، ومن ثم فانهم قد يستئون الظن في تصوراتك لما يليق وما لا يليق . وهذا أمر طبيعى . ولكن في هذه السن ، يتعين أن يكون الطفل قادرا على فهم أسباب اهتماماتك وأمالك في أن يتعاون معك . وربما كان ما سآذكره خاطرا مؤسفا من خواطر الثمانينات . ولكن - كما نعرف - ما أبشع انتشار المخدرات والتشوش الجنسى - وعن يقين يمكن القول بأن حالات ادمان المخدرات قمينة بالتسبب في وقوع الطفل في برائن الجريمة المنظمة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من زيادة في التعرض لأخطار اختطاف صفار الأثرياء . وليس هناك سوى القليل الذى يمكن أن يجرى في هذا السبيل . وأقصى ما يمكن القيام به هو تكرار النصائح المألوفة للأباء بمقاومة اغراء المخدرات وأوصائها ، والاحتراس والتنبه الى أية علامات أو اعراض تظهر على أبنائهم أو يشعرون بها ، حتى يمكن تحذيرهم قبل حدوث العلامة الكبرى والسقوط في هاوية هذا الخطر الويل .

كثيرا ما يثار سؤال حول هل يتعين على الطفل أن يقاوم محاولة اختطافه ؟ ان هذه نقطة حساسة بوجه خاص ، ويجب أن يترك أمر الليت فيها للوالدين ، وان وجب الالتفات الى بعض العوامل ، فمن المؤكد أن أى اعتداء على أحد الصفار أو النساء ، اذا سمع الناس به ، يحتمل أن يكون أكثر استجلابا للون من حالة الاعتداء على رجل . والمحك هنا هو هل المختطف المحتمل مسلح أم لا ؟ فاذا لم يكن مسلحا ، سيكون من المنطقى النصيح بالركل والصياح والحدش والمقر ، وبمهاجمة المناطق الحساسة عند المعتدى كعينيه أو خصيلتيه أو رسنه قدمه . وما أصعب الامساك بطفل صغير لديه لياقة بدنية عالية ! اذا صمم على الافلات من بين يدي المعتدى ، ولقد ذكرت المصادر الإيطالية عدة أمثلة استطاع فيها الصفار خداع المختطفين في الشوارع العامة باتباع تكتيكات الاعيهم الصبنيانية .

ومادما نتحدث عن الأطفال ، فماذا عن صغار صغار الأطفال ؟
ان مثل هؤلاء البراعم فى حاجة الى الهواء الطلق كالبالغين تماما . ومن
التهور تنزيهم فى مناطق شديدة الخطورة اللهم الا اذا استئجر لحراستهم
حراس شخصيون ، ومن أسف فى حالة عدم وجود حداثق أو مناطق
براح ، فلن تكون هناك وسيلة أخرى للترويح عنهم غير استضافتهم عند
الأصدقاء . ولا وجود لآى خطأ فى هذا الاجراء ، ولكن تذكر أيضا أن
لا يحدث ذلك بصفة منتظمة .

وستحدث مناسبات تكون فيها الأسرة برفقة الزوج ، أو فى غيابه
عائلة الى البيت الذى ترك لرعاية التابعين ، آنئذ ، ستعرف القيمة الحقيقية
لاحدى النصائح الهامة التى أوردناها ، وهل هى راسخة فى الأذهان ،
أم أنها عرضة للنسيان ؟ . عرف التابعين أخطار موقفك خلال هذه
اللحظات ، واتفق معهم على اشارة كودية لتنبهك الى وجود خطر داهم
بالمنزول . ويتمين أن تتخذ هذه الاشارات شكل فعل بمقدور أحد الخدم
القيام به دون تعرضه أو تعرضها للخطر كنقل احدى التحف من مكانها
أو فتح ستارة أو اغلاقها ، أو ائارة الأفرقة أو اظلامها ، واقرن ذلك بحديث
مستتر أو مبهوم متفق على معانيه الأصلية يجرى فى التليفون ، بحيث
تؤكد بعض العبارات البادية البرامة ظاهريا وجود خطر . فاذا قلت مثلا :
انى أطلع الى عودتك أو ما أشبه « كان ما تمنيه » لا تعد ! .

وثمة جانب ضرورى من الجوانب التى يجب تعريفها للأسرة ، ويخص
الاستعدادات التى تجرى لاطلاق سراح زوج مختطف أو طفل مختطف ،
وربما يكون قد أمضى فترة الاختطاف فى مكان كربه فترة طويلة من
الزمان . وعلى الرغم من أن هذه اللحظات يجب أن تتصف بالبهجة المسلم
بها ، فإنه فى معظم الأحيان ، قد تحدث مضاعفات ، ويتجه أغلب
الضحايا الى بذل جهد لمسيرة العصابة ، ومهاودتها فى شروط الافراج
بقدر المستطاع ، غير أن هذا ليس ضمانا كافيا بأن العصابة كانت صادقة
النية عندما قبلت الشروط ، عند حديثها هى والضحية . فهناك مناسبات
قد يسمع فيها الضحية حكايات فظيعة عن فظاظة الأسرة ، ورفضها دفع
الفدية المطلوبة ، والمماحكة على قروش قليلة . فاذا لم يتنبه الضحية الى
مبادئ التفاوض ، وأسبابها ، فإنه قد لا يستبعد أن يتولد لديه شعور
بالكراهية نحو عائلته . فلا تبالى بذلك . ان هذه مسألة مؤقتة .
والاهم من ذلك هو الاعداد لاستقبال لائق ، ويجب أن يوجد
طبيب تحت الطلب ، حتى اذا لم توجه تلميحات توحى بأن الضحية
يشعر بمرض ما ، وعلى الرغم من توقع شعوره العميق بالارتياح ،
وأن يكون هذا هو التعبير المعتاد فى مثل هذه الحالات ، فإن الحاجة تتطلب

وضع الضحية تحت الملاحظة لأيام قليلة ، على أقل تقدير . وربما شعر الضحية بتعذر النوم وبالتوتر العصبي - يقينا - ومن ثم فقد يحتاج الى مهدئات . وربما يكون الضحية - رجلا أو امرأة - كان يتناول وجبات هزيلة لبعض الوقت ، ومن ثم يجب التدرج لفترة من الزمن ، في زيادة المقادير التي يتناولها في غذائه . ومن الأفكار المستحبة ، تمضية أجازة صغيرة بصحبة أفراد العائلة وحدهم ، فئمة حاجة الى الابتعاد عن أسئلة الشرطة وردالة الصحفيين . وسيشعر الضحية « بضيق الخلق » في حضرة هؤلاء الناس ، نظرا لأنه حرم من الكلام لفترة طويلة بطريقة قاسية ، ولقد ظهرت حالات عاطفية متطرفة لها علاقة بما يدعى « أعراض استكهم » ، التي شعر فيها الضحايا باستهواء شديد نحو محتجزهم . ويحتمل أن تكون مثل هذه الحالات قد بدأت في محاولة لارتاحتهم وتيسير أحوالهم ، ولكنها تحولت الى هوى وهيام ، ويعتمد علاج هذا الموقف على قيام الخبراء بتوعية الأسرة ، وسيساعد ذلك على تعريفهم بما تحدثه « حالة استكهم » من أعراض ، ولماذا يتحول الأخذ والرد معهم الى مضيعة للوقت ، وهذا يدفعنا الى البحث عن الأبعاد المختلفة لفترات الاحتجاز ، وعلى الأسرة بعد ذلك أن تتخيل نفسها في نفس الموقف الذي كان فيه الضحية ، لأن هذا سيساعد على تعريف الآخرين بحالة البلبلة الشبهورية التي يمر بها الضحية لدى الإفراج عنه .

وباختصار ، فإن تأمين الأسرة يتبع - بصفة أساسية - نفس اتجاهات البداهة الفطرية ، التي تتبعها استراتيجية « تصعيب الهدف » عند الأفراد ، باستثناء أن هذا النطاق يحتاج الى مزيد من الانتباه الموجب للضغوط التي يحتمل أن تقع على الزوجات والأطفال من جراء الروايات التي سيرويها الضحية ، وما فيها من ازعاج . نعم ان هذه الحالة تتطلب الحصول على معرفة أعمق بأحوال العائلة والتابعين ، وأن تخوض هذه المعرفة الجوانب الأكثر اتساما بالطابع الشخصي أكثر مما يحدث في الجوانب الأخرى من الأمن ، وهناك حاجة الى قدر كبير من اللباقة والثقة بالنفس ، يجب أن تتوافر في المحيط المباشر للعائلة ، ولعل أصعب جانب يحتمل قبوله من الأسرة ، هو دعوتها الى عدم الوثوق بالتابعين ، الذين ربما يكونون قد أمضوا سنوات عديدة في خدمة البيت . والحكايات عديدة عن أناس طردوا لدوافع مختلفة ، « بعد أن كانوا من الخدم الموثوق فيهم » . « ولكننا كادت تكون واحدة من العائلة ! » . هذه بعض الصيحات التي يشترك الجميع في ترديدها ، فلا تدع ذلك يحدث لك .

الفهرس

صفحة

٥	• • • • •	اهداء
٧	• • • • •	اقرار بالفضل
٨	• • • • •	مقدمة المترجم
١٠	• • • • •	مقدمة
٢١	• • • • •	أولا : الارهاب الدولي ودرجاته
٢٣	• • • • •	١ - نظرة تاريخية
٣٥	• • • • •	٢ - الارهاب
٤٥	• • • • •	٣ - ميدان معركة الارهاب
٥٧	• • • • •	ثانيا : التهديد
٥٩	• • • • •	٤ - سيكلوجية الارهاب
٦٩	• • • • •	٥ - عقلية الارهاب
٧٧	• • • • •	٦ - من هم الارهابيون ؟
٨٥	• • • • •	٧ - أهداف الارهابي
٩٧	• • • • •	٨ - الاغتيال
١٠٦	• • • • •	٩ - أسلحة الارهابي
١١٩	• • • • •	١٠ - تكنولوجيا الارهاب
١٢٧	• • • • •	١١ - هوامش الارهاب
١٣٧	• • • • •	١٢ - الاعلام والارهاب
١٤٥	• • • • •	١٣ - التهديد الارهابي اليوم

صفحة

١٥٤	• • • • •	ثالثا : رد الحكومة على الارهاب
١٥٥	• • • • •	١٤- القانون الدولى والارهاب
١٦٣	• • • • •	١٥- مناهضة الارهاب
١٧٣	• • • • •	١٦- الرد المسلح على الارهاب
١٨٣	• • • • •	رابعا : الرد فى نطاق المؤسسة
١٨٥	• • •	١٧- توعية المؤسسات والتخطيط للطوارئ
١٩٧	• • • • •	١٨- حل الأزمات
٢٠٩	• • • • •	١٩- الدبلوماسيون والارهابيون
٢٢١	• • • • •	خامسا : حماية الفرد
٢٢٣	• • • • •	٢٠- تصعيب الهدف
٢٣٧	• • • • •	٢١- حماية المستولين
٢٤٧	• • • • •	٢٢- الأسر والأتباع

● ● كُتُبٌ صُلُوتٌ عَنْ مَشْرُوعِ الألفِ كِتَابِ (الثَّانِي)

اسم الكتاب	المؤلف
١ - أعلام الأعلام وقصص أخرى	برتواند رسل
٢ - الألكترونيات والحياة الحديثة	ي . وادونسكايا .
٣ - نقطة مقابل نقطة	ألنس هكسلي .
٤ - الجغرافيا في مائة عام	ت . و . فريمان
٥ - الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
٦ - تاريخ العلم والتكنولوجيا . ج ٢ .	ر . ج . فوربس
القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ليستر ديل راي
٧ - الأرض الغامضة	والتر آلن
٨ - الرواية الانجليزية	لويس فارجاس
٩ - المرشد الى فن المسرح	فرانسوا دوماس
١٠ - آلهة مصر	د . قدرى حفى وآخرون
١١ - الانسان المصرى على الشاشة	اوليج فولكف
١٢ - القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة	هاشم النحاس
١٣ - الهوية القومية فى السينما العربية	ديفيد وليام ماكداول
١٤ - مجموعات النقود	عزيز الشوان
صياقتها . . تصنيفها . . عرضها	
١٥ - الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق	
١٦ - عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى	
١٧ - ديLAN توماس	
مجموعة مقالات نقدية	جون لويس
١٩ - الرواية الحديثة . الانجليزية - والفرنسية	بول ويست
ج ١	
٢٠ - المسرح المصرى المعاصر . أصله وبدايته	د . عبد المعطى شعراوى
٢١ - على محمود طه . الشاعر والانتسان	أنور المعداوى
٢٢ - القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدنييت
٢٣ - فن الترجمة	د . صفاء خلوصى

المؤلف	اسم الكتاب
رالف في ماثلو	٢٤ - تولستوى
فيكتور برومير	٢٥ - مستندال
فيرنر هيزنبرج	٢٦ - رسائل وأحاديث من المنفى
فيكتور هوجو	٢٧ - الجزء والكل (محاورات في مضار الفيزياء النووية)
سدني هوك	٢٨ - التراث الغامض ماركس والماركسيون
ف . ع أدنيكوف	٢٩ - فن الأدب الروائي عند تولستوى
هادي نعمان الهيتي	٣٠ - أدب الأطفال . (فلسفته - فنونه - وسائطه)
د . نعمة رحيم العزاوي	٣١ - أحمد حسن الزيات . كاتباً وناقداً
د . فاضل أحمد الطائي	٣٢ - أعلام العرب في الكيمياء
فرنسيس فرجون	٣٣ - فكرة المسرح
هنري باربوس	٣٤ - الجحيم
السيد عليوة	٣٥ - صنع القرار السياسي في منظمات الإدارة المصانة
جوكوب برونوفسكي	٣٦ - التطور الحضاري للإنسان (ارتقاء الإنسان)
د . روجر ستروجان	٣٧ - هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟
كاتي فير	٣٨ - تربية الدواجن
ا . ميسر	٣٩ - الموتى وعالمهم في مصر القديمة
د . ناعوم بيتروفيتش	٤٠ - النحل والطب
جوزيف داهموس	٤١ - سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
د . لينوار تشامبرز رايت	٤٢ - سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
د . جون شندلر	٤٣ - كيف تعيش ٣٦٥ يوماً في السنة
بيير ألبير	٤٤ - الصحافة
الدكتور غبريال وهبه	٤٥ - أثر الكوميديا الالهية لدانتى في الفن التشكيلي
د . رمسيس عوض	٤٦ - الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها
د . محمد نعمان جلال	٤٧ - حركة علم الانحياز في عالم متغير
فرانكلين ل . باومر	٤٨ - الفكر الأوروبي الحديث ج ١

اسم المؤلف	اسم الكتاب
شوكت الريسى	٤٩ - الفن التشكيل المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ - ١٩٨٥
د . محيى الدين أحمد حسين	٥٠ - التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
تأليف : ج . داني أندرو	٥١ - نظريات الفيلم الكبرى
جوزيف كونراد	٥٢ - مختارات من الأدب القصصى
د . جوهان دورشنر	٥٣ - الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد ؟
	٥٤ - مبادرة الدفاع الاستراتيجى
	حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة
طائفة من العلماء الأمريكىين	واستراتيجيات حرب الفضاء)
	٥٥ - ادارة الصراعات الدولية (دراسة فى
د . السيد عليوة	سياسات التعاون الدولى)
د . مصطفى عناني	٥٦ - الميكروكمبيوتر
مجموعة من الكتاب	٥٧ - مختارات من الأدب اليابانى (الشعر -
اليابانيون القدماء والمحدثين	الدراما - الحكاية - القصة القصيرة)
فرانكلين ل . باومر	٥٨ - الفكر الأوروبى الحديث - ج ٢
	(الاتصال والتغير فى الأفكار) من
	١٦٠٠ - ١٩٥٠
جابريل باير	٥٩ - تاريخ ملكية الأراضي فى مصر الحديثة
أنطونى دى كرسينى	٦٠ - أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة
وكينيث مينوج	
فرانكلين ل . باومر	٦١ - الفكر الأوروبى الحديث - ج ٣
دوايت مويين	٦٢ - كتابة السيناريو للسينما
زافيلسكى ف . س	٦٣ - الزمن وقياسه
ابراهيم القرشاوى	٦٤ - أجهزة تكييف الهواء
بيتر و . داي	٦٥ - الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى
جوزيف دامبوس	٦٦ - سبعة مؤرخين فى المصور الوسطى
س . م بورا	٦٧ - التجربة اليونانية
د . عاصم محمد رزق	٦٨ - مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية
رونالد د . سمبسون	٦٩ - العلم والطلاب والمدارس
و نورمان د . أندرسون	
د . أنور عبد الملك	٧٠ - الصراع المصرى والفكر

المؤلف	الاسم
والث روستو	٧١ - حوار حول التنمية
فريد هيس	٧٢ - تبسيط الكيمياء
مون بوركهارت	٧٣ - العادات والتقاليد المصرية
آلان كاسبر	٧٤ - التدفق السينمائي
سامي عبد المعطي	٧٥ - التخطيط السياحي
فريد هويل	٧٦ - البذور الكونية
شندرا ويكرا ماسينج	٧٧ - دراما الشاشة
حسين حلمي المهندس	٧٨ - الهروين والاينز
فرانكلين ل. بلومر	٧٩ - الفكر الأوروبي الحديث ج ٤
هاشم النحاس	٨٠ - نجيب محفوظ على الشاشة
دوركاس ماكلينتوك	٨١ - صور افريقية
د. محمود سرى طه	٨٢ - الكمبيوتر في مجالات الحياة
حسين حلمي المهندس	٨٣ - دراما الشاشة ج ٢
بيتر لوري	٨٤ - المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية
بوريس فيدوروفيتش سيرجيف	٨٥ - وظائف الأعضاء من الألف إلى -
ويليام بينز	٨٦ - الهندسة الوراثية
ديفيد المذنون	٨٧ - تربية أسماك الزينة
أحمد محمد الشنواني	٨٨ - كتب غيرت الفكر الانساني
جمعه : جون . ر . بورر	٨٩ - الفلسفة وقضايا العصر ج ١
وميلتون جولد ينجر	٩٠ - الفكر التاريخي عند الاغريق :
أرنولد توينبي	٩١ - قضايا وملامح الفن التشكيلي
د. صالح رضا	٩٢ - التغذية في البلدان النامية
م. هـ. لنج واخرون	٩٣ - الفلسفة وقضايا العصر ج ٢
جمعه : جون . ر . بورر	٩٤ - بداية بلا نهاية
وميلتون جولد ينجر	٩٥ - الحرف والصناعات
جورج جاموف	من مصر الإسلامية
د . السيد طه أبو سديرة	٩٦ - حوار حول النظامين الرئيسيين
جاليليو جاليليه	للكون ج ١
جاليليو جاليليه	٩٧ - حوار حول النظامين الرئيسيين
جاليليو جاليليه	للكون ج ٢
جاليليو جاليليه	٩٨ - حوار حول النظامين الرئيسيين
جاليليو جاليليه	للكون ج ٣

استدراك

ص ٢٠٢ - سقط السطر التالى بين السطرين الخامس والسادس •
من بين ايديهم * وفى حالة بلونديل ، ليس هناك أى صك
تأمين (بالرغم
ويشطب السطر السابع لتكراره •

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٢١٧٥

ISBN — 977 — 01 — 2681 — 0

يتناول كتاب الإرهاب (التهديد والرد عليه) مشكلة تعد
بحق الله عصرنا الحالى . ويبدأ الكتاب ببحث اصل الإرهاب .
وصوره المختلفة ، بعد انتشاره إلى درجة تهدد حضارتنا ، وبخاصة
بعد أن تبنته بعض الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء .
ويجدد الكتاب مواطن أخطار الإرهاب ، ويذكر وصايا عملية
للمسافرين إلى هذه المواطن ، ويذكر أيضا إرشادات هامة عن كيفية
حماية المرافق والسفارات والمؤسسات . وما يتعين القيام به في
شتى حالات الاختطاف والمطالبة بالفدية .

٣٧٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية

Bibliotheca Alexandrina



0700904